منتدى أدبي ثقافي أسس بجدة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الأعمال الشعريّة والنثريّة الكامِلة
للشاعر والأديب الكبير
حسين عبدالله سراج

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاثنينية

(١٨)

الأعمال الشعريّة والنثريّة الكامِلة

للشاعر والأديب الكبير

حسين عبدالله سراج

الجزء الثالث

المسرحيّات الإذاعيّة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدّة

ⓒ عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سراج ، حسين عبدالله

الأعمال الأدبية الكاملة / حسين عبدالله سراج .- جدة ١٤٢٤هـ

٥٣٠٨ص ؛ ١٧×٢٤سم (ج٣ ، ٤٩٢ص ؛ ١٧×٢٤سم)

ردمك ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

١ - الأدب العربي أ- العنوان .

ديوي ٨ ,٨١٠ ١٤٢٤/١١٢٢

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١١٢٢

ردمك : ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

المسرحيات الإذاعية

أمجاد الجزيرة

الحلقة ـ ١ ـ

المذيع: أمجاد الجزيرة برنامج تمثيلي يروي قصة الجزيرة العربية منذ فجر تاريخها المجيد..

(موسيقى المقدمة)

مزنة: أماه!

سلمى: ما بك يا مزنة؟

مزنة: لقد رجوتك أماه مراراً وتكراراً أن تحدثيني عن أمجاد بلادي الجزيرة العربية فكنت ترجئين وتسوفين وأنا أنتظر وكلي رجاء فهل آن لك الوفاء بوعدك؟

سلمى: إن أمك سلمى ليسعدها أن ترى الجيل الصاعد من فتياتنا وفتياننا ينزعون إلى التعرف بأمجادهم الغابرة وتراثهم الخالد بعد أن طغى عليهم حبهم بكل مستورد من الغرب وليس ذنبك يا مزنة بل هو تيار المدينة الزائفة..

مزنة: فعلاً يا أماه والبركة في همتك وسعة اطلاعك فأوف لنا بوعدك..

سلمى: سأكون عند حسن ظنك ولك مني كل يوم حكاية شهدتها الرمال السمراء التي ملأت الدنيا إباء ومجداً ومكرمات.. فقد تغيّرت

الأيام وتبدلت الأزمان وهذه الحكايات باقية تتنقل من قلب تروي للمجد الحاضر قصة المجد الغابر.

ـ موسيقى انتقال ـ

(تستمر الأم في حديثها):

قصتنا اليوم يا مزنة تبدأ قبل بزوغ فجر الإسلام بأعوام وأعوام: في أحد مواسم سوق عكاظ.

ـ موسيقى دخول التمثيلية ـ

عروة: أرى المحكمين قد انتظموا في مكانهم على مرتفع من الساحة يا قيس بن زهير..

قيس بن زهير: وأرى الخنساء بين المحكمين يا عروة.. وإننا لنتشرف أن يكون هذا الموسم من مواسم عكاظ الخالدة.

حسان بن ثابت: انظر النابغة يعتلي المنبر ليقدم الشعراء يا علقمة..

علقمة: لله در النابغة يا حسان بن ثابت فقد أسهم في إشراق هذا الموسم وأضفى عليه من حذقه وتجاربه على المنابر ما يبشر بنجاح هذا اليوم وسنسمع بعد قليل نوابغ الشعراء يشتركون في رفع أعلامه..

عامر بن الطفيل: ما رأيت مثل هذا العدد من فرسان الشعر في مواسم عكاظ السابقة.

عروة: خذ موقعك من الحفل يا بن الفريعة.

حسان بن ثابت: وماذا أنا من هؤلاء النوابغ..

عروة: أنت الشاعر النابه فتقدم..

(همسات بين الجماهير.. موسيقى مصاحبة)..

النابغة: أيها القوم! سنتلمس في هذا الموسم روعة الصحراء في إفساحها وانبساطها.. في دفء حبها وعاطفتها في لياليها وجمالها في كبريائها وعتوها.. وستبرز أمامنا ملاحم هي صفحات مشرقة لهذا الوطن الذي أحببناه، وسجل لأمجاده ومفاخره التي نعتز بها ونورثها جيلاً بعد جيل..

أصوات: مرحى للنابغة.. مرحى.. مرحى..

النابغة: في هذه الصحراء التي تغلف حياتنا نبتت أعراف الحب، وترعرعت في واحاتها أزاهيره، وعلى قممها خفقت بنوده وتسامقت راياته.. إنها دنيا غير مقفرة من الندى.. لقد سقا شعراؤكم مجاهلها فأينعت شمائل ومكرمات. وأنبتت فيافيها فضائل ومروءات.. لقد تمزقت على أبوابها جحافل الغزاة والفاتحين وان طمرت بين تلافيف رمالها جيوش الجبابرة والعاتين أن هذه الصحراء صفحة وضاء في تاريخ الإنسانية يحدثكم عنها شعراؤكم في هذا الموسم.

أصوات: مرحى.. مرحى.. مرحى.. مرحى

النابغة: أيها الإخوة إذا كان الشعر هو الأداة الصالحة للتعبير عن خلجات النفس واستنفار القوى الخيرة في النفوس فهو أيضاً النافذة التي يطل منها الفكر على العالم. ومن هذه الربوة ذات المنبر الحر سوف يطل علينا طرفة بن العبد بحصيلة جديدة من الفكر الإنساني.. تقدم أيها الشاعر النابه فكلنا آذان صاغية..

(يعتلي طرفة المنبر وعيون الجماهير تشخص إليه):

طرفه:

لخوله أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي عليَ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

إذا القوم قالوا من فتى خلت إنني ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
وإن أدع للجلَّىٰ أكن من حماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعاً إذا بلت بقائمة يدي
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أصوات: مرحى.. مرحى.. فلتعلق على أستار الكعبة..

النابغة: ما رأي المحكمين..

أحد المحكمين: لقد لفظ الجمهور حكمه وما أعدل حكمه..

أصوات: مرحى يا طرفه.. مرحى.. (وأهازيج تتبع ذلك)..

النابغة: تقدم يا زهير بن أبي سلمى وأنشدنا من حولياتك:

زهير بن أبي سلمى:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم
ألا ابلغ الأحلاف عني رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن اللَّه ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومهما تكن عند أمرىء من خليقة ... وإن خالها تخفي على الناس تعلم

أصوات: مرحى يا زهير.. حلقت وأجدت..

النابغة: ما رأي المحكمين؟

أحد المحكمين: تعلّق على أستار الكعبة..

أصوات: مرحى للمحكمين.. مرحى..

النابغة: تقدم يا بن كلثوم (يعتلي المنبر)..

أحد الأصوات: نريد قصيدتك أبا هند فلا تعجل علينا فقد سارت بذكرها الركبان.

عمرو كلثوم: سأقول من حيث أردت يا أخا العرب:

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأمهلنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا
ونشرب أن وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقد علم القبائل من معد ... إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا ... وأنا النازلون بحيث شينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملأه سفينا

أصوات: مرحى يا عمرو.. مرحى للشاعر البطل..

النابغة: ما رأي المحكمين..

أحد المحكمين: تعلّق على أستار الكعبة..

أصوات: عاش المحكمون.. حييت يا عمرو (وأهازيج تواكب ذلك)..

النابغة: تقدم يا بن الفريعة وأنشدنا من طيب شعرك..

أحدهم (١): ما لحسان يصعد المنبر وفرائصه ترتعد..

الثاني (٢): أرى الاصفرار يعلو وجهه ويكاد يقع مغشياً عليه..

أحدهم (٣): إن رهبة الموقف..

حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف ألاَّ تكلما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا عمَّا

الخنساء (مقاطعة): صه يا حسان.. لقد أجدت ولولا قليل من الضعف لكنت في الطليعة..

حسان: ما أظنك تريدين التعريض لي يا أخت صخر.. أين الضعف فيما قلته يا خنساء؟..

الخنساء: لقد قلت الجفنات الغر فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أبلغ..

حسان: أو تأخذين على غير هذا يا خناس؟..

الخنساء: وقلت يقطرن من نجدة دماً فدللت على قلة القتلى..

حسان: هل بقي لديك شيء؟..

الخنساء: بلى.. لو أنك قلت يجرين من نجدة دما لكان أفصح.. ثم إنك فخرت بمن ولدت ونسيت من ولدك..

حسان: هلا ترفقت بي يا أخت صخر..

الخنساء: إننا لا ننكر سبقك في مواقف كثيرة.. ولعلّك تكون أمتع في موسم آخر..

(أصوات متداخلة من الجمهور.. يبرز منها صوت واحد يقول):

أحسنت يا أخت العرب..

(ينسحب حسان خجلاً حين يسمع صوتاً آخر يقول):

أحدهم: انسحب يا حسان فلست المجلي في هذا اليوم.

(ضجيج وهرج ومرج وأصوات ترتفع بالنداء):

نريد عنترة.. نريد فارس بن عبس.. نريد البطل.. نريد بطل الأبطال..

ـ خبطة موسيقية قوية ـ

مزنة: استمري يا أمَّاه.. فحديثك شيّق.. أرجوك.. ماذا قال عنترة؟

سلمى: لا يا مزنة.. لا يا مزنة.. لقد حان موعد نومك فهيا إلى مخدعك وغداً إن شاء الله سنعود للتحدث عن أمجاد الجزيرة..

ـ موسيقى ـ

الحلقة ـ ٢ ـ

مزنة: لقد انتهيت يا أماه من تحضير دروسي وأتممت واجباتي وكلّي آذان صاغية للاستماع إلى بقية قصة الأمس.

سلمى: إلي أين وصلنا يا مزنة؟

مزنة: وصلنا إلى عنترة.. عنترة يا أماه فارس بني عبس..

ـ موسيقى انتقال ـ

(ضجيج وهرج ومرج وأصوات ترتفع تنادي: نريد عنتره.. نريد فارس بني عبس.. نريد البطل نريد بطل الأبطال..)..

ـ موسيقى دخول التمثيلية ـ

النابغة: هذا هو عنترة فارس بني عبس وشاعرها فاستمعوا له وأنصتوا:

(تعلو الأصوات وهي تقول):

الأصوات: أنشدنا يا بطل الحب والحرب..

عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أصوات: مرحى.. مرحى.. هذا هو الشعر.. لا أحلى وأندى.. ولا أجمل..

أحدهم: خيال ما مرّت بالبال حلاوة كحلاوته..

إحدى الحاضرات: عبلة.. عبلة.. إياك أعني وأسمعي يا جارة..

هذا الكلام لك يا عبلة..

(تقول ذلك وهي تنته)..

عبلة: أسكتي يا هذه فليس الوقت وقت مزاح..

(يستمر عنترة في إلقائه)

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

لـمـا رأيـت الـقـوم اقـبـل جـمـعـهـم يـتـذامـرون كـررت غـيـر مـذمـم
يـدعـون عـنـتـرة والـرمـاح كـأنـهـا أشـطـان بـئـر فـي لـبـان الأدهـم
ولـقـد شـفـى نـفـسـي واذهـب سـقـمـهـا قـيـل الـفـوارس ويـك عـنـتـر أقـدم

* * *

أحد الأصوات: أنطقه الحب فكان المجلي في هذا اليوم..

أصوات: المجد للبطل.. المجد للشاعر.. المجد لعنترة..

النابغة: لقد خصتك غسان بهديتها في هذا الموسم ولعمري أنت جدير بهدايا ملوك غسان..

ما رأي المحكمين فيما سمعوا؟..

أحد المحكمين: إنها جديرة أن تعلق على الكعبة..

أصوات: مرحى لغسان.. مرحى للمحكمين (أهازيج)..

النابغة: يا قوم لقد استمعتم لروائع من الشعر هي لا شك صدى العواطف المتدفقة، والأحاسيس الصادقة، والشعور العميق الذي يصل جيلنا الحاضر بالأجيال المقبلة بوشائج من الفخر والعزة والكرامة.. إن هذه الروائع ثروة كبيرة من الأدب والفن ستبقى نبراساً يضيء مسيرة الأزمنة القادمة..

أحد الأصوات: بخ.. بخ.. أصبح النابغة لعمري خطيب الموسم أليس كذلك يا أعشي؟..

الأعشى: صدقت يا أخا العرب..

(ثم ينادي)

يا نابغة.. يا نابغة،

النابغة: من المنادي؟.. الأعشى.. الشاعر الجوابة.. أتريد أن تسمعنا من دروسك..

ثم ينادي.. يا غلام.. خذ بيده إلى قمة الربوة..

الأعشى: أيها القوم، إننا نجد في هذه الروائع حرارة الشمس التي تلفح وجوهنا ومشاعل تنير مسارح بيدنا.. وفي أنغامها نفحات تهز كياننا، وصوب يزرع الأمل في نفوسنا.. إنها قصة حياتنا بيدنا.. في شعرنا.. في حبنا.. إنها قصة تتلاحق فيها نوازع الخير وتتسائد في عبورها مجرى التاريخ.. إن موسمنا هذا لعمري مشهد من الرواية الإنسانية الكبرى.. وقافلة من موكب التاريخ.

أصوات: مرحى للخطيب.. مرحى.. مرحى يا أعشي..

(تسمع ضجة في صفوف الجماهير)

النابغة: من هذا الذي يكدر صفو هذا اليوم ويسيء إلى سمعة هذا الموسم وروعته؟..

(يبرزعدي بن زيد من بين الجماهير ويقول)..

عدي بن زيد: أنا هو.. قل لأبي سفيان يرد على امرأتي ووليدتها..

أبو سفيان: إنهما في حمايتي يا عدي بن زيد..

عدي بن زيد: أقسمت لأقتلنّها وأئد وليدتها..

النابغة: خذوا يا قوم منه سلاحه فقد خالف عادة هذا الموسم..

ورقة ابن نوفل: أو يحزنك أيها الرجل أن تضع امرأتك طفلة..

عدي بن زيد: ماذا تقول يا بن نوفل..

ورقة: أنسي هذا الحقد الذي يفترس قلبك يا عدي.. وأذكر أنك أب

لمخلوق ضعيف يحتاج إلى عطفك وحنانك.

عدي: ولكنني مصرّ ـ وليس في قدرتي أن أكفل حياة الطفلة..

ورقة: أهو البؤس الذي قتل الرحمة في قلبك؟..

عدي: أو تدري ما هو البؤس أيها الرجل الوقور..

ورقة: ما علاقة الطفلة ببؤسك وفقرك وسوء حالك؟

عدي: البؤس يا سيدي قلب مات فيه الإحساس وقبر جائع يفتح فمه للفريسة الضائعة..

ورقة: هات يدك أيها الرجل!

عدي: ماذا تريد أن تقول..

ورقة: دع عنك هذه الأفكار التي تغطي عقلك بضباب يمنع وصول النور إلى نفسك..

عدي: وماذا لو فعلت؟

ورقة: ستغدو إنساناً يخفق قلبه، بالرحمة ويتسع صدره لآلام الحياة ويحتضن الطفولة بالحنان والحب..

عدي: وما هو سبيلي لأكون الأب الشفيق والزوج الصالح؟

ورقة: أسع إلى عمل يصلح شأنك..

عدي: وأين العمل؟

ورقة: قل لها إني أرسلتك إليها، وستجد عندها ما يعوّض عنك ما لقيت في أيامك الخالية ولعلّها تبعثك في قافلة لها إلى الشام..

عدي: شكراً لك وسأذكرك ما حييت..

ورقة: كن عطوفاً بأهلك يا عدي، كن إنساناً رحيماً..

عدي: بورك عليك فقد أنقذت نفسين كانتا على وشك الهلاك..

ورقة: أذهب الآن وعد إذا كنت في حاجة إلى المساعدة..

عدي: جزاك الله عنا خيراً..

«يعلو النابغة المنبر خاطباً في الجماهير المحتشدة»..

النابغة: أيها القوم لقد استمعتم أمس واليوم إلى شعرائكم يصوغون من أكبادهم نغمات حلوة تكرّم الحب والخير والحق والجمال..

أصوات: مرحى.. مرحى.. (أهازيج)..

النابغة: إن هذه الجزيرة كانت في الماضي تمور بأصداء المعارك وهاهي اليوم تستقبل في واحاتها الضاحكة أناشيد جديدة تحدثنا عن عالم جديد تفوح منه أعراف المستقبل الباسم..

صوت أحدهم: ولكن عدي كدر صفاء الموسم..

صوت الثاني: لقد خالف عدي أنظمة الموسم وأفسد علينا يومنا هذا..

النابغة: لقد انتهى حادث عدي إلى تحقيق معاني الإنسانية في تكريم الطفولة وستعودون إلى دياركم بروعة الموسم وجلاله.. وستتحدثون عن المستقبل الضاحك الذي تنتظرون..

أحدهم: وماذا تخبيء لنا الأيام إننا في لهف للسماع عن أيام جميلة تقبل علينا..

النابغة: إني لأشعر بأن حدثاً عظيماً سيملأ هذه الصحراء بالحياة والندى فتهيئوا له وعودوا إلى قومكم وأحمدوا إليهم هذا الأمل..

أمية: وما هو هذا الحدث العظيم؟ والأمل المرتجى؟

النابغة: لقد ملأ القلق نفسك يا أمية ابن أبي الصلت ولكنك لست صاحب هذا الحدث..

أبو سفيان: ومن يحدثنا عن هذا الحدث الجلل؟

لنابغة: أذهبوا إلى سطيح ـ فهو أدرى مني بالمعرفة..

حسان: وماذا سيقول لنا سطيح؟..

النابغة: إنه سيحدثكم عن دور هذه الصحراء في العالم الجديد..

أصوات: هيا بنا إلى سطيح.. هيا بنا إلى سطيح.. (أهازيج)..

هيا يا رجال..

مزنة: ما أروع هذه القصة ولكن..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: ولكن ماذا يا مزنة؟

مزنة: إنك تصلين بي إلى أجمل موقف وتقطعينه..

سلمى: انتهى وقت القصص وجاء وقت النوم وغداً إن شاء الله سنعود للتحدث عن أمجاد الجزيرة..

الحلقة ـ ٣ ـ

مزنة: أنا قادمة إليك يا أماه..

مؤثرات: (صوت مشيتها في خفة وسرعة وهي تخطو إلى أمها.. صوت جلوسها ثم تتابع كلامها)..

مزنة: ها أماه أين انتهى بنا المكان في قصة الأمس..

سلمى: وصلنا إلى..

(موسيقى انتقال)..

أصوات: هيا بنا إلى سطيح.. هيا بنا إلى سطيح.. (أهازيج) هيا بنا يا رجال..

مزنة: من هو سطيح يا أماه.. وما هي هذه الشخصية..

سلمى: سطيح كاهن من كهان العرب.. كان يسكن في إحدى القرى الواقعة على مشارف الشام اشتهر بالعرافة أي بالتنجيم والإخبار عن الماضي والمستقبل.. وكانت العرافة منتشرة قبل الإسلام فلما ظهر الإسلام زالت دولة التنجيم والعرافة وعرف الناس أنه لا يعلم الغيب إلا الله وأنه كذب المنجمون ولو صدقوا.

أصوات: هيا بنا.. هيا بنا.. إلى سطيح.. إلى سطيح..

(موسيقى)

أبو سفيان: هانحن شارفنا منازل سطيح يا حسان..

حسان: (ضاحكاً) وأمية بن أبي الصلت يسير معنا كالمسحوب على جلدة وجهه (يشاركه في الضحك)..

أبو سفيان: أراك يا أمية سادراً تسبح في بحر خيالاتك أما تزال منتظر الوحي يهبط عليك من عل..

حسان: ما أنت ابن بجدتها يا أمية لقد حاولت أن تقول شعراً ففشلت، وهاأنت تحاول أن تكون نبياً ولن تبلغ مرتبة النبوة أبداً..

أبو سفيان: حسبك ما قضيت من العمر وأنت تلاحق السراب الخادع..

أمية: إليكما عني فلست بذاهب إلى هذا الدّجال..

حسان: ويحك يا أمية أو تحسب كل هؤلاء الناس وفيهم الشعراء والأبطال

وأرباب الحكمة ويخدعهم سطيح وأنت تترفع عن سماع أقواله أجننت يا هذا؟

أبو سفيان: قيل لي إن نوبات تأتيك في الليل فتسرح في البيداء حتى يبعث الله إليك من يعيدك إلى أهلك أليس هذا شأن المجانين؟..

أمية: إليكما عني.. إليكما عني..

حسان: لن نتركك والله ولا بد من أن تصحبنا إلى سطيح..

أبو سفيان: يمسك بساعد أمية ويصرخ قائلاً هيا.. إلكز فرسك.. فقد أبطأ وأخشى أن نفقد أثر القوم..

حسان: ستجد ضالتك عند سطيح هيا «أصوات حوافر الخيل وصهيلها وأصوات حداء بين آونة وأخرى تسمع من صفوف الجماهير»..

حسان: هيا قل شيئاً يا أمية ألا يطربك صوت الحادي..

أبو سفيان: قاتلك الله يا أمية فقد ملأ الحقد قلبك..

(يتابع موكب الجماهير سيره والفرسان الثلاثة من ورائهم)..

أبو سفيان: ماذا ترى يا ابن الفريعة..

حسان: أرى الجماهير قد وفدت من كل صوب وحدب ولقد أرادنا النابغة أن نستمع مع هذه الجماهير إلى سطيح..

أبو سفيان: أو تصدق أنت ما يقوله هذا العراف، لعلّ أمية كان على حق..

أمية: لو اتبعتما رأيي لوفرتما عناء هذا السفر في الشمس المحرقة..

حسان: ومن يدري أننا لن نسمع ما يرضي نفوسنا، ليس في وسعي أن أعري سطيح من الصدق..

أبو سفيان: قيل لي إن سطيحاً يبشر العرب بحياة وادعة «كلها حب وسلام»..

أمية: ومن أدرانا أن لا يكون سطيح من الهازلين. وإنه يغتنم البساطة في قلوب الناس.

أبو سفيان: إنه ليس ببعيد عنا فإذا تبين أنه كاذب جفوناه.

أمية: ماذا ستسأل سطيح يا حسان..

حسان: سأسأله عن الماضي والمستقبل..

أمية: وما تظنه سيقول؟..

حسان: سيقول كل ما يجعل حلمك سرابا..

«يرتفع هتاف الجماهير وضجيجها مع»..

(الموسيقى الصاخبة)

حسان: هذا هو سطيح.. هذا هو سطيح.. انظر إليه يا أمية..

أمية: يا له من مشوه يبعث مشهده على الرعب..

أبو سفيان: إنه أخطب العرب بعد قس ابن ساعدة الأيادي..

حسان: بل يقال إنه أبرع من النابغة في استمالة النفوس إلى الأغراض النبيلة..

أمية: بل هو ساحر دجّال..

حسان: أنت تخشى سطيحاً بل إنك قلق مما سيقول..

أبو سفيان: وعما نسأله؟..

حسان: عن الحديث الذي سيقلب أوضاع هذه الصحراء..

(موسيقى فاصل لحظات)..

حسان: سلام على حكيم العرب وعرافها لقد أوصانا النابغة أن نستمع لك عن حدث جديد تتنبأ عنه. وتوصي بأتباع صاحبه، هل كان ما بلغنا صدقاً..

سطيح: ممن القوم..؟

أبو سفيان: من وجوه العرب في جوار البيت العتيق.

سطيح: إذن أنتم الذين ستقودون الزحف المبارك..

حسان: وأي زحف تعني؟..

سطيح: يا لكم من أغبياء.. افتحوا عيونكم وقلوبكم لهذا الفجر الجديد فإن ظلاله ستمتد إلى أبعد من بادية الشام وأرض العراق..

حسان: وما هو نصيبنا من هذا الفجر المضيء..

سطيح: سيضيء نوره طريقكم إلى العالم كله..

(خبطة موسيقة قوية)

أمية: أمن هذه الصحراء المحرقة أتنتظر أن يكون كل هذا!

سطيح: إن هذه الصحراء ستنحسر قريباً عن روح سامية تسيركم إلى شتى الآفاق..

أمية: وماذا نفيد منه..

سطيح: سيتسنى لكم العقل والفكر والذكاء..

أبو سفيان: وبعد ذلك؟..

سطيح: سيرتفع شأن الأسرة ويقوم الحب مقام البغض فلا ثأر ولا اعتداء..

أمية: إننا أمة فقيرة فأرضنا لا تنبت زرعاً.

سطيح: سيكون لكم الخصب وستكون لكم العزّة..

حسان: وما هو دورنا البارز في الأحداث المقبلة..

سطيح: ستجدون موكباً يسير فوق رؤوس العصور ليظل عليكم فجر جديد، وستمشون في ظله إلى المجد إلى العزة والكرامة.

أمية: واللات والعزى..

سطيح: ستنهار لأنها تعيش بينكم في غير فضيلة..

أمية: ولكنها الآلهة التي تعبد وتقدس..

سطيح: إنها لا تملك لكم ولا لنفسها ضراً ولا نفعاً..

حسان: هل لك أن تقرأ في خطوط يدي!..

سطيح: مد يدك وأدر عينيك إلى ناحية الصحراء..

أمية: قل تحدث ما ترى؟..

سطيح: وهو ينظر في كف حسان ستكون الشاعر الذي يأتيه الإلهام ويدافع عن الحق والفضيلة وسيكون لك شأن كبير يا حسان.. شأن كبير (مبتعداً حتى يتلاشى صوته)..

أمية: لأبي سفيان إن به لجنة..

أبو سفيان: ليس في سحنته الهادئة ما يدل على ما تقول.

أمية: ألم تسمع حديثه؟ ألم تشعر بأنه بدأ يهذي..

أبو سفيان: لقد تكلم بما يؤلمك فأنت غير راضٍ عنه..

أمية: ولكن هذا المسخ يكذب..

أبو سفيان: أسكت إن له أنصاراً في صفوف الجماهير وأخشى أن تسحقك هذه الجماهير بأقدامها.

حسان: ألا ما أحفل هذا النهار بالروائع..

أبو سفيان: لقد نصحتك من قبل يا أمية أن لا توغل الإصغاء إلى الذين يقولون سيكون لي شأن كبير..

أمية: ولكنهم يتحدثون بمثل الذي تحدث به سطيح..

أبو سفيان: في كلا الحالتين لست أنت الذي ترتقب هذه الصحراء مجيئه.

أمية: يا للحلم الموجع، يا لخيبة الأمل وامصيبتاه.

(صوت وقوعه على الأرض)

أصوات: أدركوا الرجل إنه يموت.. إنه يتلوى من الألم..

(يسمع صوت شخير للمغمى عليه وكأن شيئاً ما يخرج من فمه).

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: (بلهفة وحزن) أمات الرجل حقاً يا أماه قولي.. قولي..

سلمى: غداً إن شاء ستعرفين كل شيء عنه..

مزنة: ولكن..

سلمى: قلت غداً.. يعني في الغد تعرفين ما تودين يا مزنة..

الحلقة ـ ٤ ـ

مزنة: ما رأيت أطول من نهاري هذا، لقد كنت أحصيه بالثواني وأنتظر في لهفة موعد الحديث عن أمجاد الجزيرة ـ هيا يا أماه هيا..

سلمى: حاضر يا بنتي..

(موسيقى انتقال)

أصوات: أدركوا الرجل.. إنه يموت.. إنه يتلوى من الألم..

أبو سفيان: أعينونا علي حمله أيها الرجال إلى أقرب مكان فقد جاءته نوبة الصرع والخبال وأراها في هذه المرة أشد منها في كل مرة..

حسان: يا للمسكين! لن يكون له مكان في المواكب الفردة..

أبو سفيان: وسيظل هائماً في بيداء أوهامه..

«يختلج أمية.. ثم يصرخ بحجرشة قائلاً»..

أمية: دعوني.. دعوني..

أحدهم: إلي بشربة ماء وقدح من اللبن الممزوج بالعسل..

(يؤتى بهما ويتابع الرجل كلامه)..

«أشرب يا أمية، فستشعر بالراحة.. لقد أضعفك طول الطريق.. وأضنتك وعثاء السفر.. هيا اشرب.. اشرب..

(يسمع صوت أمية وهو يشرب)..

حسان: وستقضي عليه أوهامه وأفكاره..

(لغط وصخب بين الجماهير وأصوات تقول):

أصوات: انظروا إلى الغبار الهائل إنه ينشق عن كوكبة من الفرسان قادمة إلينا..

(صوت وقع حوافر الخيل.. وصهيلها وانقطاع الصوت حين وصلت كوكبة الفرسان)..

أحدهم: إنهم فرسان طيىء.. من أين جئتم أيها القوم؟

أحد القادمين: من دارة قريش من مكة..

أبو سفيان: وكيف القوم والأهل هناك؟

أحد القادمين: أأنت أبو سفيان..

أبو سفيان: نعم..

أحد القادمين: إنهم بخير يا أخا العرب.. إنهم لا حديث لهم إلا عن فتى يتيم الأبوين اسمه «محمد»..

أبو سفيان: (باهتمام ظاهر) وما شأن هذا الفتى يا هذا؟..

أحد القادمين: إنه يدعو إلي دين جديد.. إنه يدعو الناس إلى عبادة إله واحد لا شريك له.. إنه يسحر الناس بحديثه.

رجل آخر من القادمين: لقد استمعت إلى حديثه وكدت أصبو إلى ما يقول.. إن عاش هذا الفتى فسيتسيد بل والعرب جميعاً..

أبو سفيان: بانفعال، كذبت يا هذا.. إن لقريش شيوخها وأعلامها وسيعرفون كيف يؤدبون هذا الفتى وأمثاله..

سطيح: لا عليك أيها الأخ العربي من كلام أبي سفيان.. فإنه يخشى علي زعامته من هذا الفتى حدثني عن محمد في مكة.. حدثني..

رجل آخر من القادمين: إليك يساق الحديث.. إن اسم هذا الفتى ليملأ الأسماع والأبصار.. رأيته يحب الفقير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير.. أتباعه الضعفاء والمساكين والأحداث الغلمان والنساء قلّما يتبعه أحد فيفارقه، يصل الرحم، ويحمل الكل ويكسو المعدوم ويقري الضعيف ويعين على نوائب الدهر..

سطيح: كفى.. كفى.. إنها صفات النبي الذي ننتظره.. ما موقف قريش منه؟..

رجل آخر من القادمين: إنهم لفي دهشة مما يقول علي إنهم يأبون أن يتخلوا عن آلهتهم..

سطيح: أما تزال قريش ترجو الخير من حجارة لا تتحرك؟..

سطيح: أسكت يا أمية لقد أعمى الحسد ناظريك، وأصم الحقد أذنيك..

حسان: إذن ستخضل أعراف هذه الصحراء بالنبي الجديد وستقول شعراً يهز مسمع هذا الوجود..

سطيح: هذه فرصتك يا حسان.. ستنثال عليك معان جديدة لم يكن لك عهد بها من قبل..

حسان: زدنا يا سطيح حديثاً عن هذا النبي القائد..

سطيح: ستقولون غير الذي قاله الناس في الجاهلية.. وستتحدث عنكم الأمم.. وستمتلىء هذه الصحراء بالرياحين والأزاهير..

أمية: أتؤمن بمحمد نبياً ورسولاً؟..

سطيح: إن رياحاً جديدة تهب على وجهي ليس فيها نفحة من دنياكم.. إنها نسمات ربيع جديد..

حسان: يا لها بشرى لعالم جديد.. يا لها بشرى لعالم جديد..

أبو سفيان: ما هذا الذي تحدثنا به يا سطيح؟..

سطيح: كنتم تسيرون في رحلات قصيرة وحملكم متاع من الدنيا قليل.. وغداً ستسيرون إلى آفاق الدنيا وبضاعتكم الهدى والرحمة..

أمية: على رسلكم يا قوم، إن سطيحاً يهذي ولعلّه قد أصابته الحمّى..

سطيح: بل إنك أنت الذي أصاب عقله الخبل ـ لقد كنت تحلم بالذي أتى محمداً ولكنك أعجز من أن تحمل مثل رسالته..

أمية: أو يكون صاحب رسالة ودعوة؟..

سطيح: أجل وسيقودكم إلى عالم جديد يسوده العقل وتملأ الرحمة رحابه.. سيحب بعضكم بعضاً وستسيرون صفوفاً تحملون رايته وتبشرون برسالته..

حسان: مرحى.. مرحى.. وأهلاً بالنبي الكريم..

سطيح: هيىء نفسك يا حسان لأناشيد جديدة تقولها وألحاناً تنتعش الدنيا بجرسها..

الأعرابي: لقد ظهر محمد.. لقد ظهر محمد..

سطيح: وأنه لخير نبي وخير رسول..

(يركض أمية هائماً على وجهه في الصحراء ويلحق به أبو سفيان وحسان)..

أبو سفيان: إلى أين تجري يا أمية؟..

أمية: إلى راهب دير بصرى..

أبو سفيان: وماذا تؤمل أن تجد عنده؟..

أمية: سأجد عنده هدوء البال وراحة النفس..

حسان: لقد زاد سطيح في قلقك يا أمية ولكنني أقول بأنك لن تشفي من عاتك قبل أن تطرح الأوهام من رأسك.. لن تكون نبياً..

أبو سفيان: عد يا أمية إلى قول الشعر عسى أن تحسنه فيرتفع ذكرك..

حسان: ولن يكون شاعراً.. فقد مس عقله الخبل..

أمية: ألا تتركاني وشأني؟..

أبو سفيان: لن نزعجك بعد الآن وليس لنا ما نقوله لك فقد تركنا ذلك إلى راهب بصري..

(موسيقى صاخبة)..

حسان: أظن أننا لا نلبث أن نصل إلى الدير ـ فهذه معالمه تطل علينا..

«تبدأ حركة الفلاحين الذاهبين إلى الدير تنعش نفس أمية»..

أبو سفيان: ها قد وصلنا.. هيىء نفسك يا أمية للقاء جديد مع الراهب.. عسى أن تطمئن نفسك إلى حديثه..

(يبرز راهب الدير من البوابة الكبيرة)..

الراهب: أهلاً بالضيوف.. أهلاً بكم أحبتنا وأصدقائنا..

أبو سفيان: لقد عودتنا جميل الضيافة فأطمعتنا أن نمر بالدير كلما جئنا في طريقنا إلى دمشق..

الراهب: أهذا أنت أبا سفيان أين هي قافلتك؟ لعلّك جئت لغير التجارة في هذه المرة أليس هذا أمية الذي معك؟ ومن الرجل الآخر؟

أبو سفيان: إنه لأمية والآخر حسان ابن ثابت الشاعر النابه..

الراهب: أهلاً بكم ولقد سرني أن يكون الشاعر في صحبتكم.. لقد سمعت الكثير عنه.. لعلّكم قادمون من عكاظ..

أبو سفيان: أجل.. ولقد كان موسماً خصباً تألق فيه الشعراء، ثم أوصانا النابغة أن نمر على سطيح..

الراهب: بماذا حدثكم سطيح؟..

أبو سفيان: حدثنا عن نبي يقلب وجه هذه الدنيا إلى عالم جديد..

الراهب: هل ذكر لكم اسمه؟..

أبو سفيان: قال إنه محمد وأنه من قريش من آل عبد المطلب..

الراهب: لم يخب ظني.. فقد مر بنا أبو طالب ومعه محمد ولقد وجدت فيه الصفات التي تذكرها كتبنا عن نبي منتظر.. ولقد حذرت أبا طالب أن يحرص على محمد من اليهود..

حسان: أو تظن أن كلمته ستعلو وأن رسالته ستنتشر؟..

الراهب: سيكون ملء سمع الدنيا..

حسان: يا للبشرى.. يا للبشرى..

أمية: يا لخيبتي.. يا لخيبتي..

(يركض هائماً على وجهه فيلحقه أبو سفيان وحسان قائلين)..

أبو سفيان وحسان: مكانك يا أمية.. أيها المجنون.. أيها المجنون.. مجنون..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: حقيقة يا أماه إنه لمجنون.. يا ليته يموت فنستريح منه.. طمنيني يا أماه هل سيموت؟..

سلمى: (ضاحكة) غداً ستعرفين كل شيء إن شاء الله..

الحلقة ـ ٥ ـ

مزنة: طمنيني يا أماه.. هل سيموت أمية ابن أبي الصلت؟..

سلمى: لا تتعجلي الحديث..

مزنة: ولكن يا أماه.. سؤال فقط؟

سلمى: ستعرفين كل شيء في أوانه..

مزنة: حاضر يا أماه..

سلمى: إلى أين وصلنا في قصة أمس..

مزنة: وصلنا يا أماه إلى أمية بن أبي الصلت يركض كالمجنون وأبو سفيان ينادي..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

أبو سفيان: مكانك يا أمية.. مكانك أيها المجنون.. أيها المجنون..

الراهب: لقد صفعه الخبر وأعمى الحسد عقله والبصر.. وأرى داء الحقد به استشرى وسيرد به عما قريب لا محالة..

حسان: فلندع أمية يا أبا سفيان يهيم على وجهه في القفار والوديان فقد وكدنا وأتعبنا فهيا بنا إلى جلّق ما دمنا نتشرف غوطتها الفيحاء..

أبو سفيان: وكيف نترك رفيقنا! أتريدنا نصبح سبة تلوكها ألسنة العرب؟

حسان: أسرع بنا إذن ندركه قبل أن نفقد أثره..

(صوت حوافر الخيل وهي تعدوا قليلاً ثم لا تلبث أن تتوقف وصوت أبي سفيان يقول):

أبو سفيان: قاتلك الله يا أمية لقد قطعت نياط خيلنا ونحن نطاردك فهلا ثبت إلي رشدك يا هذا؟

أمية: دعوني.. لا أباً لكما.. دعوني..

أبو سفيان: وكيف ندعك.. هيا.. هذه دمشق.. هذه الفيحاء..

حسان: انظر.. يا للمشهد الرائع.. الأنهار تخترق الخبائن والحقول.. والدنيا تبسم للربيع المطل.. أين دنيا الصحراء من هذا الجمال الساحر؟..

أبو سفيان: أرأيت أيها الشاعر كيف تسابقنا المياه وكأنها لا تدري ما بنا من عطش..

حسان: إنها تسير إلى أعراف دمشق وعطورها.. ماذا تقول يا أمية؟..

أمية: دعني فأنا في شغل عن سماع ألحان قيثارتك..

حسان: كان عالم الشعر لا يستهويك.. لعمري ستعيش عمرك كله أسير هواجسك وخيالاتك السوداء..

أبو سفيان: دع أمية يحلم بالسراب الخادع والبرق الخلب..

حسان: أما أنت وأنا فإلى رياض الشام.. وليبق أمية تائهاً في غياهب أوهامه.

أمية: ليس لأحد أن يردني عن وحدتي التي أوثرها على صحبتكم.

أبو سفيان: إلى قصور آل حفنه.. إلى ليالي الفن والحب والشعر..

«حوافر خيل ثم موسيقى انتقال»..

حسان: ما أحلى ما أسمع.. إنه يهز أوتار القلوب يا أبا سفيان..

أبو سفيان: إن لنا في ضواحي دمشق ذكريات جميلة لا نمل حديثها..

(يجري الحديث التالي بين فتاتين كانتا تملآن جرارهما من العين الجارية وقد رأتا الفارسين يقصدان مكان العين)..

الفتاة (١): يلوح لي أن الفارسين غريبان..

الفتاة (٢): وكيف عرفت ذلك يا أختاه؟..

الفتاة (١): انظري الوسم الذي يزن كفل فرس كل منهما.. إنهما إن صدق ظني من عرب الحجاز..

حسان: (وقد اقترب من الفتاتين) طاب صباحكما يا فتاتي..

الفتاتان: طاب صباحكما..

أبو سفيان: أتأذنان لنا بأن نسقي خيلنا فقد أرهقها العطش وطول السرى؟

الفتاة (١): الماء دونكما فانهلا منه ما شئتما أيها الغريبان.. ودار أبينا على الربوة المطلة أمامكما ترحب بكما ضيوفاً أعزاء فيها..

أبو سفيان: شكراً لكما.. بورك فيكما.. وفي أبويكما..

أبو سفيان: بودنا قبول الضيافة لولا أننا على عجل..

الفتاة (٢): إذن رافقتكما السلامة.. رافقتكما السلامة..

(يحملون جرارهما ويمشين في طريقهما)..

حسان: ما أجمل دنيا هؤلاء القوم.. إنها تثير قرائح الشعراء..

أبو سفيان: هيا بنا إلى ظل شجر الجوز الوارف..

حسان: ليت لنا مثل هذا الماء والظل في صحرائنا..

أبو سفيان: يا ليت.. يا ليت..

(يفاجآن بعودة أمية ابن أبي الصلت)..

حسان: أراك عدت إلينا يا أمية والعود أشأم..

أمية: ما هذه الحصى التي تتناثر من فيك يا بن الفريعة؟..

أبو سفيان: قليلاً من الحلم يا رفيقي.. هيا بنا نتخذ طريقنا إلى دمشق..

حسان: هيا بنا وليكن سيرنا في صحبة هؤلاء الكرماء..

أبو سفيان: ترفق بالحديث عنهم فقد يصيبنا رشاش من تهكمهم..

حسان: لا تخف فإني بهم لخبير..

(ضحكات متواصلة من جماعات الفلاحين.. موسيقى مصاحبة)..

حسان: (يخاطبان إحدى الفتيات)..

لمن هذا الزهر الذي تحملينه يا أختاه؟..

الفتاة: هدية أحملها للفارس البطل جبلة ابن الأيهم..

حسان: أو تعرفينه؟..

الفتاة: إنه ريحانة غسان وفارسها.. من يجهل جبلة وهو الكريم المضاف؟..

(صوت الأبواق تتعالى في الفضاء)..

الفتاة: أسمعوا إن البطل يقود فرسانه إلى ساحة العرض..

أبو سفيان: وهل تحتفل بلاد الشام اليوم؟..

الفتاة: أجل.. إنها تحتفل بوداع سيد غسان في زيارته للقيصر في القسطنطينية..

أبو سفيان: هذا يومك يا بن الفريعة، ستكون فرصتك في الإنشاد، ولعلّ أمية يقول شيئاً..

أمية: دعك من هذا السخر فلست شاعراً في المديح أو الرثاء..

حسان: أو تعني أنك تقول الحكمة وتنشد الفضيلة؟..

أمية: أنا لا أتكسب مثلك في الشعر ولا أتزلف مثلك للأمراء والقوّاد..

حسان: في نفسك موجدة على الأمراء والقوّاد فهم لا يمدون يدهم لمصافحة أمثالك..

أمية: أنا أقول خيراً منك..

حسان: ولكن ما تقوله جاف لا ينبض بالحياة..

أمية: لقد مللت صحبتكما وسأفترق عنكما وأذهب في طريق آخر..

حسان: ستسير في طريق مملوء بالشوك.. وسنسير نحن في أرض مفروشة بالزهر والرياحين أذهب فإنك لم تبق في قوس صبرنا منزع..

(ينطلق أمية في طريق جانبي، وقع أصوات أقدام فرس أمية وهي تعدوا به):

أبو سفيان: لقد خاشنته يا بن الفريعة فنفر، وكان الأولى بك أن تترفق به.

حسان: أو تريد أن نقضي عمرنا في غمرة هذيانه؟ نحن نعيش في عالم يختلف عن عالمه. (صمت يسود الغابة والخيل تدق بأقدامها على الأرض، ريح تسير قليلاً من التراب ويقوى صوت حفيف الأشجار)..

أبو سفيان: يخاطب أحد الفلاحين.. متى نصل يا فتى؟..

الفلاح: نحن على بعد ثلاثة فراسخ، ولكن لن يأخذ بكما الملل، إنكما تقتربان من حياة المدينة..

أنظر.. انظر.. هذه رايات غسان تطل علينا.. مفرزة من الفرسان وعلى رأسها القائد..

حسان: بارك الله لغسان في فتيانها إنهم يتطاولون كالنخل الباسق..

أبو سفيان: أرى شيطان شعرك قد تحرك يا بن الفريعة.. أنت تتحمس دائماً لآل جفنه..

حسان: إنهم أكرم العرب في صحبتهم، ثم أنظر ألا يستهويك هذا المنظر (المشهد) الفاتن؟.. تالله إني لأشعر بالفخر والاعتزاز..

أبو سفيان: حقاً ليس أروع من منظر الفرسان والرايات والأعلام تظللها..

حسان: هذه الرايات يجب أن تعلو هذه الأرض وحدها، إنه ليؤلمني أن ترتفع رايات قيصر أمام رايات قومي..

أبو سفيان: ولكنها المرونة والسياسة، وغسان تحالف قيصر لترد عاديات الفرس عن هذه الأرض.

حسان: لماذا لا يقوم تحالف بين غسان والمناذرة.. متى نتحرر من سيطرة الفرس والرومان معاً؟..

أبو سفيان: لعلّ هذا يكون قريباً.. فغسان قلعة من جفوة بينها وبين قيصر وكذلك حال ملوك الحيرة مع كسرى..

حسان: أو تظن أن لسفر سيد غسان إلى القسطنطينية علاقة بما يقول؟..

أبو سفيان: أقدر أننا سنشاهد أحداثاً قريبة بعيدة الأثر (ترتفع أصوات البواق من ناحية جيش غسان)..

حسان: أسرع الخطى علّنا ندرك الموكب الملكي، ولا يفوتنا مشهد الأبطال.

أبو سفيان: هيا بنا..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: ما أجمل هذه القصة، ولكن يا ليتك أكملت..

سلمى: غداً سنتابع حديثنا في أمجاد الجزيرة العربية فهلمي الآن إلى مخدعك..

مزنة: حاضر يا أماه..

الحلقة ـ ٦ ـ

سلمى: هيه يا مزنة! بم تفكرين؟

مزنة: أفكر في مصير أمية بن أبي الصلت المجنون وأرجوك أن تحدثيني عنه قليلاً قبل أن تشرعي في تكملة قصة الأمس..

سلمى: لك ما تريدين فاسمعي: أمية بن أبي الصلت من قبيلة ثقيف التي تسكن الطائف، كان من عقلاء قومه وعشيرته.. وكان يتجر إلى بلاد الشام فيلقى أهل الكتاب من النصارى واليهود فيجالسهم وينمي معرفته بصحبتهم.. وقد علم منهم أن نبياً سيبعث في العرب فطمع أن يكون هو.. فلما بعث رسول الله ﷺ اغتاظ وتأسف وظل على هذه الحال من الشرود والخبال كما سمعت في الحلقات السابقة.

مزنة: ولكن أمية فارق صحبه في الحلقة الماضية فأين ذهب يا أماه؟..

سلمى: عاد إلى الطائف وراودته نفسه مرة أن يسلم ولكن الحسد الذي استبد به حال دون ذلك فرجع إلى بلده ثانية حيث وافته المنية ويروي أنه ندم على كل عمل فأنشأ يقول قبل وفاته..

إن يوم الحساب يوم عظيم ... شاب منه الصغير شيباً طويلا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وإن تطاول دهرا ... صائر مرة إلي أن يزولا

ثم شهق شهقة كانت فيها نفسه..

مزنة: مسكين.. مسكين.. لم تكتب له الهداية.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

سلمى: والآن إلى أين وصلنا في قصصنا أمس يا مزنة؟..

مزنة: وصلنا إلى أبي سفيان يا أماه وهو يقول..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

أبو سفيان: هيا بنا يا حسان!

(يشتد وقع حوافر الخيل)..

حسان: على رسلك يا أبا سفيان.. أرى الجماهير تسد منافذ المدينة.. فهلا تمهلت حتى تتبين طريقنا..

أبو سفيان: إني أبصر شيخاً وقوراً عليه سيماء النعمة واليسار فلنعرج عليه نسأله..

(يصلان إلى الشيخ فيبتدره أبو سفيان قائلاً)..

أبو سفيان: عم صباحاً يا أخا العرب!

الشيخ: عما صباحاً.. ممن القوم؟..

أبو سفيان: من الحجاز.. نريد مشاهدة موكب العزة والكرامة.. موكب الملوك.. الصيد من آل جفنة.. فهلا أرشدتنا إلى أقصر الطرق إليه؟

الشيخ: أنتما الآن على المنفذ الجنوبي للمدينة.. والمهرجان ما يزال في بدايته.. والاستعراض لم يشرع بعد.. إن سيد غسان يستعرض جيشه ليطمئن على قوته قبل مغادرته دمشق إلى القسطنطينية؟..

حسان: أرى في حديثك ما يدل على احتمال وقوع أحداث خطيرة!

الشيخ: إننا نعيش في حذر من أتباع قيصر، وأهبة للذود عن بلادنا ومليكنا..

أبو سفيان: وهل وقعت هنالك اصطدامات؟..

الشيخ: كلا.. ولكن النفوس معبأة.. وكل فريق ينام وهو شاك سلاحه..

حسان: أو مرّ بك أحد قبلنا؟..

الشيخ: مرّ بي الأعشى في الصباح الباكر ووجهه ينم عن قلق كبير.. كان يتكلم عن أحداث تتمخض بها أرض العراق.

أبو سفيان: هل أفصح بشيء عن طبيعة هذه الأحداث؟..

الشيخ: سمعته يقول: إن كسرى يهدد ملك الحيرة ويرهقه بطلباته..

حسان: إني لأخشى أن يتحالف كسرى وقيصر على العرب..

أبو سفيان: لن يكون هذا فاطمئن.. إن كل واحد منهما يضمر الشر للآخر.. وإذا وقع ما تقول فسيكون لا محالة سبباً في توحيد الكلمة ورأب الصدع بين غسان وملوك الحيرة..

حسان: لقد سرقنا حديثك العذب يا أخا العرب عما جئنا إليه.

الشيخ: إنه ليوم شديد الزحام وأخشى أن تضلا الطريق وسأبعث معكما غلامي ليوصلكما إلى ساحة الاستعراض..

أبو سفيان: شكراً لك يا شيخ العرب.. طاب يومك..

الشيخ: طابت أيامكما يا ضيوفنا الأعزاء..

(صوت وقع حوافر الخيل على الأرض)..

الغلام: انظرا.. لقد اقتربنا من ميدان الاستعراض..

أبو سفيان: بورك فيك أيها الغلام..

الغلام: سآخذكما إلى دار ابن سيدي ومن شرفاتها تشهدون العرض الرائع وزغاريد تنطلق من إحدى الشرفات يدور بعدها الحوار التالي بين فتاتين كانت تقفان مع المزغردات)..

الفتاة (١): لقد ألهب الحماس كفي وفمي وأنا أرى شبابنا الغر الميامين يمرون أمام منصة الملك رافعي الرأس والصدر.. والأرض تهتز من تحت أقدامهم.

الفتاة (٢): إن جيشنا يزخر بالفتية الأشداء وبالرجولة الشماء.. فلا عجب إذا ما رأينا مليكنا مزهواً وفخوراً بجيشه الباسل.

الفتاة (١): (تقول وهي تضحك) ألم تشاهدي عامراً بين الجنود البواسل أخال عينيك لم تبصر أروع ولا أنضر ولا أشد منه فتى!..

الفتاة (٢): أف لك يا «ندى» حتى في هذه المواقف لا تملين المزاح..

(يصل أبو سفيان وحسان والغلام الدار ويخرجان إلى الشرفة فيقول أبو سفيان):

أبو سفيان: ما أجملها شرفة.. إنها تطل على ساحة الشرف والبطولة..

(صوت أناشيد الحرب والأبواق وقعقعة السلاح وضجيج الجماهير المحتشدة):

حسان: انظر يا أبا سفيان!.. انظر هذا هو المنذر ملك غسان يستعرض الجيش ووراءه جبلة بن الأيهم وولده الحارث.. ما أروع المشهد وما أعظمه..

(تعلو الأصوات وتختلط بالموسيقى الحماسية فيقول حسان):

حسان: إنها لأنغام شجية تلهب النفوس حماساً وتملأ القلوب فخراً واعتزازاً..

أبو سفيان: أراك تحلق في كلامك يا بن الفريعة.. إن شيطان الشعر تلبسك..

حسان: وهل هنالك ما يطرب النفس ويشجعها أكثر من أن ترى عزة قومها

ومنعتهم.. إننا بعد اليوم لن نرهب كسرى أو قيصر ما دام عندنا هذا الحشد من الأبطال..

الغلام: انتهى الاستعراض وعاد الملك مع الأمراء والقواد والحاشية إلى القصر..

أبو سفيان: ولكن الميدان ما يزال يغص بأمواج الجماهير..

الغلام: إن الجماهير تتطلع إلى معرفة نتيجة الاجتماع الذي سيعقده الملك المنذر مع أمرائه وقواده ومستشاريه بعد نهاية هذا الاستعراض مباشرة..

(نقلة صوتية)..

المنذر: أيها السادة.. لقد دعوتكم لأستطلع رأيكم في دعوة تلقيتها من قيصر..

جبله: أو يتطير الملك من لقاء قيصر؟..

المنذر: أظنه يبيت أمراً فنحن نعيش هنا مع أتباعه في حذر دائم..

جبلة: ما عساه يفعل وهو يعلم مكانتك في العرب ولا يجهل حاجته إلى سيوفنا..

المنذر: إنه لا يملك تعقل عمه جوستنيان، وإني لأخشى أن يجره الحمق إلى ما لا تحرر عقباه..

جبلة: إذا أرغمنا قيصر على القتال فليس لنا أن نختار..

المنذر: هذه الحماسة تطربني ولكني ضنين بالدماء أن تراق.. دعوني أفكر قليلاً..!!

جبله: أخشى أن يفسر أحجامنا بالجبن والضعف..

الحارث: أنا على رأي ابن عمي فلا يجب أن نتردد في مجابهة قيصر وسنكون هنا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي تحدي..

جبلة: وستنفر غسان لنصرة مليكها..

المنذر: أريد أن أطمئن علي وحدة صفوفكم..

جبلة: ستبقى كما تعهدنا صفاً واحداً فكن مطمئناً..

المنذر: يسرني أن تتفق كلمتكم على من يقود غسان في غيابي..

جبلة: ليس غير الحارث من يقوم مقام الملك في غيابه..

المنذر: لقد قطع ابن عمنا ألسنة السوء قبل أن تمتد..

الحارث: إنه عودنا الحب والوفاء وإليه نرجع في الملمات..

جبلة: ليس أجدر من الحارث على رعاية غسان في غياب مليكها فهو المجلي..

المنذر: ولكنه بحاجة إلى تعضيدكم ومساندتكم له..

جبلة: كلنا جنود الملك نضرب بسيفه وسيف خليفته..

المنذر: سيطلبنا قيصر بدم قائده هيباس..

جبلة: ولكن هيباس قد حكم على نفسه بالموت بعد أن اعتدى على كرامة الناس..

الحارث: لو أن قيصر نفسه كان المعتدي للقي جزاءه..

المنذر: هذه الغيوم تتجمع وتعكر صفاء الرحلة إلى قيصر وفي هذا ما يبعث على التفكير بالأمر..

جبلة: هل يعني هذا..؟

المنذر: كلا ـ لم أتردد بعد الذي سمعته منكم ولكنني أبسط الأمور جلية أمامكم..

جبلة: إننا نقدر مسؤولياتنا حق قدرها..

الحارث: غسان يقظة ولا خوف عليها..

المنذر: أخشى أن يستفزكم الحمقى من قادة الروم..

جبلة: سنداريهم جهدنا، والويل لهم إذا تناولوا الملك بسوء!

المنذر: أنتم أقوياء ما دمتم على حق وسيتهيبكم قيصر..

جبلة: سيوفنا لا تشرع إلا لنصرة الحق والعدالة..

المنذر: بارك الله في هذه الروح العالية إن ما أسمعه يثلج صدري ويزرع الاطمئنان في نفسي.

الحارث: لقد مل العرب سيطرة كسرى وقيصر وملوا أن يقاتلوا بعضهم في سبيلها..

جبلة: لا مصلحة للعرب في هذا الصدام الدائم بين كسرى وقيصر.

المنذر: إننا نشعر بجو جديد يحوم في سماء الجزيرة العربية..

جبلة: يشيع على ألسنة الناس أنه سيكون هنالك حديث جديد؟

الحارث: وإننا سننتقل إلى عالم جديد تكون لنا فيه الكلمة الأولى..

المنذر: ليس هذا العالم الجديد بالبعيد عنكم، وهاأنتم تسمعون أن الشعراء في عكاظ قد تحدثوا عن أفكار جديدة تعرض لها أصحاب المعلقات في موسم هذا العام..

جبلة: بلغني أن أبا سفيان وحسان ابن ثابت في ضيافتنا وسنعرف منهما الكثير عن هذا الذي يتحدثون عنه..

المنذر: وهل بلغكم اسم المجلي في الموسم..

جبلة: لقد ترأس النابغة الحفلة وحضر أرباب المعلقات وجاء الأبطال من كل ناحية..

المنذر: ومن أجاد؟..

جبلة: فاز عنترة بهدية غسان وأجاد زهير وعمرو ابن كلثوم..

المنذر: وحسان..؟ إني أتوقع لهذا الشاعر النابه مستقبلاً زاهراً..

جبلة: كلنا نحب غسان.. ولكن الحظ خانه فنقَّدته الحساد وأعتقد أن هذا النقد سيثير حماسته ولسوف نراه يحمل إلينا شعر جديداً لم نألفه من قبل.

المنذر: لعلّكم تسمعون إنشاداً جديداً عن العالم الجديد..

جبلة: سأبقيه ريثما يعود الملك ليسمعه.

الحارث: وأنا أحب هذا الشاعر فقد نذر نفسه لآل جفنة يشيد بمآثرهم ويترنم بشجاعتهم..

جبلة: لا شك بأنه يحمل روحاً جديدة وسيطرب الملك لسماعه..

منذر: وأمية ابن أبي الصلت، أليس من خبر عنه؟..

جبلة: إن أمية يحلم في هذه الأيام أحلاماً عميقة الغور وقد قيل لي إنه لم يطق صحبتهما فغادر دمشق إلى حيث لا رجعة..

الحارث: لا يعدم أبو سفيان وسيلة للإيقاع بين حسان وأمية..

المنذر: أو ما يزال أمية يحلم بأن يكون نبي هذا العصر؟..

جبلة: لا يصلح أمية لهذا..

الحارث: إنهم يتحدثون عن فتى من قريش من آل عبد المطلب..

المنذر: لا بد من أن يكون لغسان دورها في العالم الجديد وسننهي موقفنا مع قيصر.. فإلى الغد الباكر..

هتافات

عاش المنذر وعاشت غسان

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: قلت يا أمَّاه إنهم يتحدثون عن فتى من قريش.. فمن هو؟..

سلمى: لا تستبقي الحوادث.. ستعلمين كل شيء في حينه..

مزنة: حاضر يا أماه..

سلمى: إلى غد إن شاء الله يا مزنة..

مزنة: تصبحين على خير يا أمِّاه..

سلمى: وأنت من أهل الخير يا ابنتي..

الحلقة ـ ٧ ـ

مزنة: أمَّاه.. وعدتني أمس بأن تحدثيني عن فتى قريش.. فهلا وفيت بوعدك..

سلمى: بلى.. إنني عند وعدي! ولكنك نسيت يا بنيتي بقية كلامي..

مزنة: لا أذكره يا أماه..

سلمى: (ضاحكة) ألم أقل لك لا تستبقي الحوادث.. ستعلمين كل شيء في حينه..

مزنة: صدقت يا أماه.. هات فكلي آذان وأسماع..

سلمى: ولبَّىٰ المنذر الغساني دعوة قيصر الروم وتوجه إلى القسطنطينية..

(أصوات الرياح وهي تزأر والأمواج وهي تتكسر على الصخور كأنما هي نذر عاصفة)..

المنذر: يتمشى في أبهاء القاعة ووقع أقدامه يدل على قلقه ووحدانيته.. نسمعه يقول لنفسه ما لهذه الرياح ثائرة لا تهدأ وكأنها المقدمة للعاصفة المنتظرة في لقاء قيصر.. لقد كان تصرفه غريباً في حفل أمس وكأنه تعمد أن يبالغ في حفاوته ليبعدني عن جو الحذر الذي يقدره في نفسي.. يا لهذا القيصر الماكر أنه لا يشبه في قليل أو كثير أخلاق عمه جوستنيان.. إنه يشك في كل واحد حتى أقرب المقربين إليه ويراوغ في معاملته للجميع ولعلّ للمرض الذي يشكو منه أثراً فيما هو فيه..

(حركة خفيفة)..

المنذر: أنت هنا يا حنظلة الكندي؟..

حنظلة: نعم جئت متستراً بدواء أحمله لقيصر..

المنذر: وكيف وصلت إلى؟

حنظلة: كل من في القصر يعرفني.. فأنا أبيع العقاقير إلى المحتاجين من أهله حتى قيصر نفسه لا يمتنع عن التزود مني بما يقوله أو يسهل له النوم..

المنذر: ومِم يضطرب القيصر فيحتاج إلى الدواء لتسكينه..

حنظلة: إن القيصر لا يشكو من علة مرضية.. بل من قلق استحوذ عليه حتى أصبح مرضاً مزمناً..

المنذر: وكيف عرفت بمكاني هنا والطريق إليه محفوف بالمكاره..

حنظلة: لقد استعنت بفتاتين في هذا الحصن ولإحداهما دالة كبيرة على قائد الحرس..

المنذر: لله أنت يا حنظلة.. لقد جئت في وقت أنا فيه بأمس الحاجة إليك..

حنظلة: منذ وطئت قدماك القسطنطينية وأنا أشعر بالخطر عليك من القيصر وقد هرعت إليك لأدفع عنك هذا الخطر..

(صوت حركة من الخارج)..

المنذر: ما هذا؟..

حنظلة: أظنه القيصر.. سأختبىء في الزاوية اليسرى من القاعة حتى لا يراني..

(يفتح الباب وصوت يقول)..

الصوت: سيدي قيصر الروم..

(يدخل قيصر في عصبية تدل عليها وقع أقدامه وصوته حين يقول للحراس):

قيصر: انصرفوا عنا أيها الحراس فلست بحاجة إليكم..

(نسمع وقع أقدامهم وهم يخرجون.. موسيقى تدل على بداية عاصفة)..

المنذر: أهلاً بسيد الروم.. لقد شرفتني بزيارتك أيها القيصر العظيم..

قيصر: لست في حاجة إلى ترحيبك ولا مجاملتك.. أتريد أن تخدعني بهما..

المنذر: (مستاء) أنا.. أنا..

قيصر: لقد عرفتم أيها العرب بقوة اللسان وسحر البيان.. وأظنك تود أن

تداري سوء خيانتك بفضيح قولك وبراعة منطقك..

المنذر: أنا خنتك.. أنا..

قيصر: (مقاطعاً) أنت ومن قبل خان أبوك عمي جوستنيان..

المنذر: (يضغط على أعصابه ويقول).. أرى قيصر اليوم غير الذي شهدته يشيد بمآثر غسان في احتفال أمس..

قيصر: كرمناك بالأمس كضيف دعوناه.. ونحاسبك اليوم كتابع مقصر في ولائه..

المنذر: (يضبط أعصابه) وعلام يحاسبني قيصر؟..

قيصر: سأذكر ذنوب أبيك ثم أعود إلى ذنوبك..

المنذر: ماذا يأخذ قيصر على والد الملك الحارث؟

قيصر: لقد تقاعس أبوك عن نصرة (بلزاريوس) قائد جيوشنا في قتالها مع جيوش كسرى الفرس وسبب لنا الهزيمة..

المنذر: لقد أراد قادة الروم الاستئثار بمجد المعركة وحدهم فخانهم الحظ..

قيصر: ولكن امتناع والدك عن نصرة جيوشنا أغرى ملك العراق بالزحف صوبنا حتى بلغت جيوشه مشارف القسطنطينية..

المنذر: ولكن الصلح تم أخيراً..

قيصر: وكان حصاد هذا الصلح حصناً أقامه المنذر النعماني على الشاطىء الآسيوي..

المنذر: وكان ذلك بموافقتكم..

قيصر: ألا تعذر أنه يذكرنا بذل الهزيمة في كل صباح.. ألم تره؟ إنه يقوم

أمام هذا الحصن (ثم يحتد في صوته فيصرخ) ألم تره؟..

المنذر: هذه أحداث طواها التاريخ..

قيصر: ولكنها صفحات من التاريخ مذلة لنا لا تطوى.. وستبقى حديث الأجيال..

المنذر: ولكن قيصر ما يزال ينعم بمجد السلطان..

قيصر: (بحدة) وأنت تنعم بالسخر من قيصر.. أي مجد هذا الذي تعنى.. أهو في حلفي معك؟.. وقواد جيشي يقتلون في ديارك..

(يزداد زئير العاصفة في الخارج)..

المنذر: أراك تذهب بعيداً في حقدك على غسان..

قيصر: ولكن غسان لم تفكر في الإهانة التي لحقت بقيصر..

المنذر: لو أن جوستنيان كان حياً لما عامل ابن الملك الحارث يمثل هذا الجفاء..

قيصر: كان عمي طيب القلب..

المنذر: بل كان شجاعاً وشريفاً..

قيصر: ما معنى هذا الذي تقوله..

المنذر: (يثأر لنفسه وللإهانة التي لحقت به فيقول) فسرها كما تشاء..

قيصر: (بحدة) ماذا تقول.. ماذا تقول؟..

المنذر: (يندفع في هجومه) معناه أن قيصر يهدم بيديه ما يحتاج إليه من صداقة غسان..

قيصر: حذار أن تلقي علي درساً فقد مللت هذا منك..

المنذر: ولكنك لن تستغني عن المشورة الصادقة لتدعيم ملكك..

قيصر: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

المنذر: (مندفعاً في كلامه) أقول إن قيصراً يهدم بيديه صرح بناء أقامه جوستنيان الكبير..

قيصر: ماذا تقول.. ماذا تقول؟..

المنذر: أقول إن قيصراً يتناسى يوم (تدمر) وما هو ببعيد..

قيصر: (بصوت عالٍ) أتمن علينا بذلك اليوم؟..

المنذر: كلا ولكن أحببت أن أذكرك بالضوء الذي نشرته غسان في ظلام ذلك اليوم..

المنذر: أعني أنه كان في وسع ملك العراق أن يواصل الزحف حتى يحتل القسطنطينية لو مساعدة غسان لقيصر..

قيصر: إذن أنتم تمنون على قيصر أنكم حفظتم ملكه من الانهيار..

المنذر: إنها الدماء العربية التي روت أرض المعركة..

قيصر: أمهدي أنت؟..

المنذر: لقد حمى الحارث ملك عمك جوستنيان من قبل ولم نتردد نحن في القيام بما تمليه هذه التقاليد التي ورثناها عن أبينا..

قيصر: أنسيت أنك تدير وجهك عن قيصر منذ ثلاث سنوات..

المنذر: وددت لو تذكر ظلم قوّادك وعمالك..

قيصر: وبسبب ما تزعم من ظلمهم قائدي (هيباس)..

المنذر: أو تريد أن يعتدي (هيباس) على العذارى ويبقى حياً..

قيصر: ليس ما تتهمونه به صحيحاً..

المنذر: لقد تعرض (هيباس) لفتاة كريمة من أرفع البيوت وأرفعها في غسان وقد أعطته غسان درساً يليق بوحشيته..

قيصر: ليس هذا صحيحاً (وهيباس) ذهب ضحية الغدر..

المنذر: ليس من عادتنا أن نغدر..

قيصر: لقد مكر قومك وكنت أول الماكرين..

(يزداد زئير الرياح في الخارج وصخب الأمواج يعلو)..

المنذر: أحذر يا سيد الروم أن تسيء إلى قومي فإنهم يغضبون سواء أكان صاحب الإساءة كسرى أم قيصر..

قيصر: أتهددني يا هذا؟..

المنذر: بل أذكرك أن غسان من درائبي وأن فتياتنا ليسوا أقل حماسة لمليكهم من فتيان الروم..

قيصر: أمهدي أنت بهؤلاء الحفاة العراة؟..

المنذر: ولكن هؤلاء الحفاة العراة كانوا دائماً سياج ملك قيصر..

قيصر: سوف أسحقك وإياهم..

المنذر: لقد أنذرتك من قبل.. وأنا أعيد لك النصيحة.. لا تغرر بمستقبل إمبراطوريتك فإنها تقف على حافة الهاوية..

(يصفق قيصر بيديه بشدة ويكرر ذلك.. يزداد صفير العاصفة)..

المنذر: أحذر الغدر يا قيصر..

قيصر: وهل يسمى قتل الخائن غدراً؟..

المنذر: أنت تخون شعبك باتباعك هذه السياسة الخرقاء وتبعد عنه أقوى حلفائه..

قيصر: لا بد من قتلك وسيحتفل شعبي بمراسم دفنك..

المنذر: لن يرضى شعبك عما تفعل..

قيصر: أنا صاحب الأمر هنا وسترى كيف ينفذ أمري.. ليس لأحد أن ينصح قيصر..

المنذر: ليس ملك غسان بالشخص العادي ليترفع قيصر عن الأخذ بنصائحه..

قيصر: لقد تقرر مصيرك وكلمتي هي الأخيرة..

المنذر: وقد يتقرر في هذا الموقف مصير الإمبراطورية كلها..

(يهتاج قيصر ويطوف في أرجاء القاعة بعجلة وهو يصفق ثم يقف ويقول انتهى الأمر ثم يعود للتطواف وهو يصفق (كلمتي هي الأخيرة) ثم يسرع فيفتح الباب ليدعوا بنفسه الحراس وفيما هو يحاول يفتح الباب بعنف فيصطفق الباب بوجهه فيقع أرضاً وهو يصرخ)..

قيصر: آه.. (ثم يغمى عليه)..

(تدخل الفتاتان العربيتان المحظيتان: هند وسلافة وهند تقول للمنذر):

هند: لقد سقينا الحراس منوّماً قوياً وهم الآن في سبات عميق فأنج يا سيدي بنفسك..

(يخرج حنظلة من مكمنه وهو يقول):

حنظلة: بورك فيكما.. بورك فيكما..

(ثم يلتفت إلى سلافة قائلاً):

خذي هذه الزجاجة يا سلافة وأفرغي ما بها في جوف قيصر فإنه بحاجة إلى نوم طويل..

(تفرغ الزجاجة في جوفه):

المنذر: (وقد أذهله الموقف) وماذا سيكون موقفي مع الروم بعد أن أصاب قيصر ما أصابه..

حنظلة: ستنجو يا مولاي ولن يصيبك أذى..

المنذر: وهذه الجثة جثة قيصر.. ماذا تفعل بها؟..

حنظلة: سوف تدبر أمرها فلا تقلق..

(ثم يقول للمنذر)..

ولقد هيئنا لك زورقاً فيه عشرة من رجالنا الأشداء.. إنهم ينتظرون في الجهة الشرقية من الحصن..

(ثم يلتفت للفتاتين قائلاً):

خذا مولاكما إلى القارب..

سلافة: عجل يا مولاي..

هند: هيا بنا يا سيدي فإن الأمور تسير حسب الخطة المرسومة..

المنذر: ونترك حنظلة هنا ليفتكوا به..

سلافة: لا تخف عليه يا سيدي.. إنه سينسل من المؤامرة كما تنسل الشعرة من العجينة..

حنظلة: أسرع يا مولاي وسألحق بك بعد قليل..

(خبطة موسيقية قوية)

مزنة: وماذا تم بعد ذلك.. أكملي يا أماه.. أكملي..

سلمى: لقد أوغل الليل فإلى غد إن شاء الله يا بنيتي..

مزنة: أمرك يا أماه.. أمرك.. تصبحين على خير..

سلمى: وأنت من أهل الخير يا ابنتي..

الحلقة ـ ٨ ـ

مزنة: أماه!! أماه!! عجلي.. عجلي.. فأنا بأنتظارك..

سلمى: ما بك يا مزنة؟..

مزنة: لا شيء يا أماه.. ولكن هذا أوان جلستنا كل يوم للحديث عن أمجاد الجزيرة..

سلمى: حسناً.. إلى أين وصلنا بقصة الأمس؟..

مزنة: إلى المنذر.. يريد الهرب بالزورق من الحصن..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

المنذر: حسناً.. سننتظر إيابك على أحر من الجمر يا حنظلة.. أحذر الروم يا حنظلة.. إنهم لا أمان لهم..

حنظلة: شكراً لمولاي سأفعل..

سلافة: هل أبقى بالقرب منك يا حنظلة؟.. فربما احتجت إلي وأنت تعلم منزلتي من قائد الحرس..

حنظلة: لا عليك يا سلافة.. شكراً.. سأتدبر أمري.. اذهبوا الآن قبل أن تحدث أية مفاجأة ساعدني أنت وهند على حمل قيصر إلى الأريكة القريبة قبل أن تذهبا.

«ويحملون قيصر.. ويضعونه على الأريكة ويذهبون» (خبط باب)..

لقد حان يا قيصر تنفيذ القسم الأهم من هذه المهمة.. أجل.. سأعطيه دواء ينعشه..

(صوت انسكاب الدواء ثم صوت حشرجة وتنفس مخنوق)..

قيصر: أين أنا.. أين أنا.. ما هذا الصداع الذي يحطم رأسي؟..

حنظلة: أنت هنا في قصرك..

قيصر: وأنت ما الذي أتى بك إلى هنا؟..

حنظلة: رئيس حرسك يا مولاي.. فقد كنت معه ساعة وقوعك على الأرض.

قيصر: وملك غسان.. أين هو الآن؟.. لقد كان هنا.. هل فر؟..

حنظلة: حاول الفرار.. ولكن حرسك قبضوا عليه واحتجزوه..

قيصر: وأين قائد الحرس؟ أدعه حالاً..

حنظلة: سأفعل يا مولاي.. إنما الآن يجب أن تخلد إلى السكينة فقد أصبت بنوبة حادة وحياتك في خطر إن أتيت بأية حركة..

قيصر: هل لديك دواء لهذه الحال؟..

حنظلة: نعم.. نعم.. أهدأ قليلاً..

قيصر: إنني أثق بك وقد كان عمي يحبك ويقدر مواهبك..

(يخرج حنظلة قارورة علاج من صدره ويفرغ ما بها في قدح ماء ثم يقول لقيصر):

حنظلة: أشرب هنيئاً مريئاً يا مولاي فسترتاح بعد قليل..

(نسمع صدى صوت قيصر وهو يحتسى الدواء.. وحنظلة يتابع كلامه فيه الشفاء يا مولاي)..

قيصر: أدع قائد الحرس إلي..

حنظلة: سأفعل حالما أطمئن على راحتك..

قيصر: وأين هي الراحة يا حنظلة وكل من حولي جواسيس وحاقدون..

حنظلة: ومم يخاف قيصر؟..

قيصر: إنهم يؤهلون هرقل للعرش في أنطاكية والبطريرك هنالك يسهر على تربيته وإعداده.

حنظلة: هذه الأفكار تزيد في قلقك وتعبك فاطرحها جانباً..

قيصر: إنني أفضل طيباريوس على هرقل الفتى الصغير..

حنظلة: في مقدور قيصر أن يرسل هرقل إلى الصحراء..

قيصر: ومن يضمن أن لا يطلق ملك غسان سراحه خاصة وأنا لست على اتفاق معه..

حنظلة: لعلّك ذهبت بعيداً في مخاشنة المنذر وهو سيد قومه كما تعلم..

قيصر: كلا.. كلا..

(يشعر قيصر بألم شديد في معدته فيقول):

ألم شديد يا حنظلة... ألم شديد يا حنظلة..

حنظلة: إنه عارض بسيط لا يلبث أن يزول.

(صوت حشرجة)..

قيصر: إلي.. إلي.. أيها الحرس!! أين أنتم؟..

حنظلة: إنهم في سبات عميق يا مولاي..

قيصر: حتى أنت يا حنظلة..

حنظلة: نعم.. نعم.. وأنا أيضاً.. لقد انتظرت هذه الساعة منذ زمن بعيد.. إنني هنا لأنتقم لأمرىء القيس من قيصر الروم..

قيصر: سوف تنال جزاءك يا خائن..

حنظلة: (يهقهقه) إذا عشت يا قيصر.. هيا.. ناد خميسك العرمرم ليدفع عنك بلاء هذا البدوي الضعيف. لقد مات قيصر وطويت راياته وسكنت طبوله فلم تعد تهدر في أجواء الفضاء.

قيصر: (بصوت ضعيف).. كلا.. كلا..

حنظلة: لقد خمدت الأضواء في عيون شعبك ولن تقع إلا على الذل والهزيمة بعد اليوم.. لقد أفل نجم قيصر وهوى مجده فلن تقوم له بعد اليوم قائمة.

(يحاول قيصر الكلام فلا يستطيع ويجاهد للوقوف فيقع على الأرض مغشياً عليه..) ونسمع صوت وقوعه على الأرض.. يقف حنظلة على رأسه ويقول..)..

سيعتقد الناس أن قيصر قد مات إثر نوبة قلبية.. وغداً سيتقاتل الذئاب على الفريسة.. على النفوذ.. على الأطماع.. على الهزيمة.. وسترتفع رايات غسان عالياً.. وداعاً يا قيصر فقد لا نلتقي بعد اليوم..

(يسرع حنظلة في الخروج.. ويصحو قيصر بعد خروجه صحوة الموت فيقوم ويطوح في مشيته ويصرخ بصوت مبحوح غير مفهوم.. وما أن يصل إلى الباب حتى يقع على الباب.. ويسمع صوت وقوعه نسمع أصوات لغط وهرج ثم صوت انفتاح الباب.. وصوت يقول)..

الصوت: أدركوا قيصر! أيها الحرس!.. دقوا طبول الخطر واحرسوا أبواب القيصر ومداخله ومخارجه.

(يسمع أصوات كل ذلك مصحوبة بموسيقى.. ثم يسمع نفس الصوت يقول):

لقد مات قيصر!! وامصيبتاه!!

صوت ثانٍ: أدع الإمبراطور..

صوت ثالث: أدع طيباريوس..

(تعلو الموسيقى على أصوات الناس وتنتهي عنيفة حادة)..

المنذر: لقد تأخر حنظلة وإني لقلق عليه..

هند: هوّن عليك يا مولاي.. إن حنظلة خبير بمسالك الطريق إليك..

سلافة: لكأني ألمح شبحاً قادماً عن بعد..

رئيس البحارة: عسى أن يكون هو..

هند: لا تخف عليه يا رئيس البحارة.. إنه يعرف الطريق بالشبر..

المنذر: أرجو له السلامة..

سلافة: إنه هو.. إنه هو.. لم يخدعني ناظري..

(يصل حنظلة فيخاطبه المنذر قائلاً)..

المنذر: مرحباً بك أيها البطل.. لقد ساورنا القلق عليك يا حنظلة..

حنظلة: سأقص على مولاي أسباب تأخري فيما بعد.. والآن فلنتلمس طريقنا إلى النجاة فقد هلك قيصر..

المنذر: إلى أين نتجه يا حنظلة؟..

حنظلة: إن رئيس البحارة يعرف وجهتنا يا مولاي..

(يتحرك القارب.. صوت المجاذيف تضرب وجه البحر)..

سلافه: السماء صافية والنجوم متلألئة والريح رخاء..

المنذر: حبذا الغناء.. يا عذراء.. لو كنا على مسيرنا أمناء.. أليس كذلك؟..

(موسيقى)..

رئيس البحارة: أرجو القلوع.. فقد وصلنا.. وأنت يا جابر أحرص على مقدمة القارب أن ترتطم بالصخور..

(تسمع أصوات نزولهم من القارب وصوت يقول):

الصوت: من الراكب الليل؟

حنظلة: قيس..

الصوت: أدخلوا مرحباً بكم..

(يدخلون)..

المنذر: أنت هنا يا عمر بن الحارث.. متى كان وصولك؟..

عمرو: منذ هنيهة يا مولاي..

المنذر: وهل عرفت بموت قيصر؟..

عمرو: وصلت القسطنطينية اليوم.. وكنت في طريقي إليك في القصر.. وقبل وصولي إليه لاحظت حركة غير عادية حوله فتوقفت عن مسيري وأرهفت بسمعي إلى أحاديث المشائين فإذا بهم يتهامسون في حذر وخشية بموت قيصر وفرار المنذر.. فقلت إذا صح ذلك فإن وجهتك لن تكون إلا إلى هذا المكان..

المنذر: كان الفضل لهؤلاء الأبطال في نجاتي.. هل لك يا حنظلة أن تترصد أنباء الحدث الذي خلفناه وراءنا؟

حنظلة: لقد بعثت وأنا في طريقي إليكم بمن يتنسم الأخبار..

المنذر: لا بد من الحذر.. فهنالك من كان يعلم بمقابلتي لقيصر.

حنظلة: كن مطمئناً يا مولاي.. فلست بجاهل الظروف الحرجة التي تحيط

بنا.. فضع ثقتك برجالك إنهم يسهرون على حياتك الغالية ويعملون على تأمين عودتك إلى الوطن..

المنذر: يجب أن نسرع على العودة قبل أن يصحو القوم من اثر الصدمة التي أصابتهم بموت قيصر..

حنظلة: سيعود رسلنا عما قليل يا مولاي وسنرسم خطتنا على ضوء ما يقولون..

عمرو: لنتدارس طريق الفرار.. حتى إذا ما جاء رسلك عدلنا في خطتنا أو التزمناها..

النمذر: إن ما يقوله عمرو هو الصواب يا حنظلة..

حنظلة: حسناً ما تقول يا مولاي..

المنذر: طريق البحر غير مأمون لأن للروم أسطولاً ساهراً يقظان ولا مجال لأحد منا للهرب أن قبضوا عليه.. أما طريق البر فمجاله واسع..

عمرو: أنا معك يا سيدي... ولا شك أن حنظلة يقرنا على ذلك..

حنظلة: إن طريق البحر ليس في خطتي أبداً والبر كما رأى مولاي المنذر آمن وأيسر إنما..

المنذر: (مقاطعاً.. إنما ماذا؟..)..

حنظلة: طرق البر ثلاثة:

طريق الساحل طويل وآهل بالسكان وأخشى علينا من العيون..

والطريق الوسطى تعج بمراكز الجند وخاصة في هذه الأيام لأنها ستستعد لاستقبال (هرقل) في طريقه إلى القسطنطينية عندما يصله نبأ وفاة قيصر..

المنذر: وطيباريوس.. أيقبل بذلك؟..

حنظلة: رجال الدين وعلى رأسهم بطريرك انطاكية مع هرقل والجيش يؤيد هرقل وطيباريوس شخصية ضعيفة هزيلة مكروهة من الجميع.

عمرو: إذن فكيف الخلاص مما نحن فيه؟..

حنظلة: ليس ـ في رأيي ـ سوى أن نسلك الطريق الشرقية ومع أنها أطول الطريقين إلا أنها آمن ذلك لأن مخافر الجنود بها قليلة والجبال كثيرة والقرى متباعدة وسكانها يكرهون الروم ولذلك لا خطر علينا منهم حتى لو عرفونا..

المنذر: لقد سلمناك القيادة..

حنظلة: وإني لأرجو أن أكون عند ثقتكم بي يا مولاي..

(يدخل أحد حراس الدار ومعه رجل يرتدي زي الروم)..

المنذر: من هذا الفتى يا حنظلة؟..

حنظلة: إنه العين التي أرسلناها.. هات ما عندك يا صفوان؟..

صفوان: إن القوم في هرج ومرج وفوضى ما عرفت القسطنطينية مثيلاً لها من قبل.. والآراء متضاربة حول المرشح للعرش.. ولم أسمع أي حديث عن فرار مولاي المنذر..

المنذر: هذه فرصتنا الذهبية يا حنظلة فمتى نرحل؟..

حنظلة: الآن يا مولاي..

المنذر: وكيف؟..

حنظلة: سنقسم أنفسنا إلى ثلاث فصائل للتضليل.. فصيل فيه مولاي والأمير عمرو وأنا وهند وثلاثة من نخبة رجالنا الأشداء. وفصيل يرافقه المكارة والأمتعة وسيسير في طريق غير طريقنا والفصيل

الثالث يكون همزة الوصل بيننا جميعاً.. فلا يضل أحد منا طريقه.

المنذر: ومن سيسبر غور الطريق أمامنا لينبهنا إلى الأخطار التي ربما نتعرض لها؟..

حنظلة: سيسبق كل فصيل اثنان من رجالنا بمثابة كشافة وعيون لنا..

المنذر: جميل جداً.. بورك فيك..

حنظلة: والآن استميح مولاي الخروج لتنفيذ الترتيبات التي اتفقنا عليها.. وسأترك هنداً وسلافة مع مولاي لتهيئا أمتعة مولاي وحاجاته..

المنذر: حسناً.. نحن بانتظارك على أحر من الجمر..

هند: (وهما تجهزان أمتعة السفر) هذه أول مرة نفترق فيها عن بعض يا سلافة..

سلافة: وأرجو أن تجمعنا الحرية يا هند..

هند: ما أشد شوقي إلى بلادي يا سلافة..

سلافة: وأنا مثلك يا هند.. إنني لا أعرف ما جرى لأهلي بعد أن بطش الروم بهم في وادي اليتم وأخذوني في جملة السبايا..

هند: وأنا أيضاً لا أدري مصير أهلي حينما غزا الروم دومة الجندل وكنت في عديد السبايا.

(يدخل حنظلة قائلاً)..

حنظلة: هل يأمر مولاي بالرحيل؟..

المنذر: نعم.. إننا على أتم الاستعداد..

حنظلة: هيا على بركة الله..

(تصدح موسيقى القافلة)..

سلمى: لقد غالبني النعاس يا مزنة.. وعيناك أنت ساهرتان.. كالمصباح..

مزنة: إنني مستعدة للسهر حتى الصباح لسماع بقية القصة..

سلمى: (ضاحكة) غداً إن شاء الله.. غداً إن شاء الله..

الحلقة ـ ٩ ـ

مزنة: أماه!! لقد انتهيت من تحضير دروسي وواجباتها، وعجلت إليك للاستماع إلى بقية قصة فرار المنذر الغساني.. هيا يا أماه.. هيا إن أعصابي مشدودة وكلِّي خوف عليه من بطش الروم..

سلمى: هوني عليك يا بنتي.. واضبطي أعصابك فتاريخنا مليء بمثل هذه المواقف العصبية..

مزنة: سأحاول يا أماه! سأحاول.. فأرجوك التحدث عما وقع للمنذر..

(موسيقى انتقالية)..

حنظلة: هل يأمر مولاي بالرحيل؟

المنذر: نعم، إننا على أتم استعداد..

حنظلة: هيا على بركة الله..

(تصدح موسيقى القافلة)..

المنذر: في أي طريق نسير يا حنظلة؟..

حنظلة: سنسير يا مولاي في طريق غير معبدة.. وسنلتزم الحذر في كل شيء خشية أن يشعر بنا أحد..

المنذر: وأين سنلتقي مع الآخرين؟..

حنظلة: في مكان عينته لهم نرجو أن نصل قبل طلوع الفجر..

المنذر: أنت تبالغ في الحيطة والحذر..

حنظلة: إننا كما تعلم يا مولاي نكاد نكون في فم الأسد.. ولولا انشغال القوم عنا لكان سفرنا مستحيلاً..

المنذر: عمرو! من تظن أنه سيخلف قيصر؟

عمرو: كان قيصر يرجو أن يخلفه طيباريوس ولكن هذا يكرهه الروم بسبب كرههم لقيصر نفسه.

المنذر: وعلى هذا فسينتصر البطريرك وينصب مرشحه «هرقل»..

عمرو: هذا ما تدل الطلائع عليه، ولكن هنالك أيضاً مفاجآت.

المنذر: ولكن هرقل ما يزال حديث السن.

المنذر: نعم وهذا ما حمل البطريرك على تعهده وإعداده بنفسه ليجعل منه آلة يحركها كيفما يشاء..

المنذر: ومعنى ذلك أن البطريرك هو الذي سيحكم..

عمرو: إنها الحقيقة.. وخصوم البطريرك يعرفون أهدافه وأطماعه..

المنذر: يميناً يا عمرو، لم أنقطع ساعة عن التفكير فيما سيكون عليه الوضع بيننا وبين العهد الجديد..

عمرو: إنهم لن يأمنوا جانبنا بعد أن وصلتهم أنباء ما تتمخض به الجزيرة العربية..

المنذر: ولم يحذروننا؟ ومم يخافون!؟

عمرو: لقد باتوا يعرفون أننا نتطلع إلى قبلة جديدة غير القسطنطينية..

المنذر: ليتني أعيش فأرى أمتي تنحر من عبث كسرى وعنجهية قيصر..

عمرو: لا أعتقد أن هذا سيكون بعيداً عنا.. فالإمبراطوريتان أدركتهما الشيخوخة، وهما يعيشان في دور أكثر ما يكون شبها بالاحتضار..

(يأتي حنظلة ومعه أحد الحرس ويتابع عمرو حديثه قائلاً): :

أظن رسول حنظلة يحمل إلينا أنباء جديدة..

حنظلة: لقد عاد سالم أخيراً وملء جعبته أخبار..

المنذر: مرحبا بالطليعة ما وراءك يا سالم؟..

سالم: الطريق مأمونة يا مولاي فالبلاد كلها مشغولة بما يجري في العاصمة..

المنذر: وماذا عن البطريرك والقيصر الجديد؟..

سالم: لقد أصبح كل شيء في قبضة البطريرك.. وفي غضون الأيام القادمة سيتوجون هرقل في كنيسة أياصوفيا..

المنذر: وطيباريوس؟..

سالم: يقال إنه قد فر إلى روما..

المنذر: لا بد من الإسراع يا حنظلة قبل أن يستفيق القوم من دهشتهم..

حنظلة: لن نتأخر ما دمنا نأمن طريقنا.. دع هذا إلى مولاي..

المنذر: هل بعدنا حقاً عن دروب المخاوف والمفاجآت؟..

حنظلة: لقد تجاوزنا أكثرها خطورة.. وعما قريب نكون في منأى عنها..

المنذر: بورك فيك يا حنظلة.. لن أنسى إخلاصك ما حييت..

حنظلة: المجد لسيد غسان..

(يدور الحديث بين أفراد الفصيل الثاني)..

جابر: يا لها من طريق موحشة وعرة مليئة بالجنادل والصخور وأقطع من ذلك الغابات المشتبكة لا أنسى فيها سوى عواء الذئاب.. أتخشين الذئاب.. يا سلافة؟..

سلافة: إن سلافة بنت الصحراء لا تخشى الذئاب.. وكيف تخشاهم وهي في صحبة هذا النفر من الأبطال..

سعد: تقدمنا يا «خنفس» في هذا الظلام الدامس فإن لك باصرة زرقاء اليمامة..

سلافة: وله أذن تحس مسير النمل على هذه الصخور..

خنفس: لتحرسني الآلهة من عيون الحاسدين.

(يدور الحديث بين أفراد الفصيل الثالث ونسمع قائده يقول):

قائد الفصيل: قفوا أيها الرفاق.. إني أسمع حركات غريبة. أنزل يا رباح وضع أذنك على أحد الصخور لعلّك تستبين شيئاً..

رباح: إني أسمع وقع حوافر خيل ليست بعيدة عنا..

قائد الفصيل: عد يا رباح إلى مكانك.. أيها الرفاق إننا الآن نستشرف طريقاً رئيسية فعلينا أن نتوقف ريثما تمر قافلة الأعداء فالتزموا السكوت التام.

خنفس: أرى شبحين قادمين من بعد..

جابر: هل ميزتهما يا خنفس؟

خنفس: سأتميز ذلك بواسطة أذني.. إن لحوافر خيل الروم وقعاً خاصاً.

جابر: ها.. ها هل عرفت؟..

خنفس: نعم.. إنها من خيل الروم يا جابر.. ولعلّها من حراس هذه الغابات.

جابر: لنختبىء بين هذه الغابات الكثيفة ريثما يمران.. فإن شعرنا أنهما أحسا بوجودنا فلا مناص لدينا إذن من قتلهما..

(نسمع حركات المختبئين ووقع حوافر خيل القادمين اللذين مرا من دون أن يلاحظا المختبئين بعد ذهابهم يقول «خنفس»)..

خنفس: هيا أيها الرفاق.. أخرجوا من أوكاركم فالطريق أمان..

(نسمع وقع حوافر خيلهم)..

المنذر: ها هو اليوم السابع يمضي ونحن لم نصل دارة الأمان..

حنظلة: لم تبق إلا سويعات على وصولنا إلى مواطن الأمان..

المنذر: أرى السماء ملبدة بالسحاب المطير فهلا أوينا في أحد الكهوف حتى ينقطع المطر..

حنظلة: أمرك يا مولاي..

(يسمع صوت سعال امرأة هي هند فيقول المنذر)..

المنذر: ما بك يا هند؟ لعلّك بخير..

هند: إنني بخير ما دمت بخير يا مولاي.. إنه عارض برد بسيط..

المنذر: دثروها وأدفئوها وأعطها من دوائك يا حنظلة..

حنظلة: أمرك يا مولاي..

هند: شكراً لمولاي على هذه الرعاية..

(نسمع هزيم الرعد وانهمار الغيث)..

المنذر: لا أدري ماذا يصنع بقية رفاقنا في الفصلين الآخرين..

حنظلة: إن معهم أدلاء.. ويلوح لي أن المطر ليس عاماً وإنها سحابة.. صيف عما قليل تقشع..

المنذر: ولكن الجو بارد.. وما أظن هنداً وحدها ستكون المصابة به.

هند: سلمت يا مولاي.. كلنا فداء لك..

حنظلة: لقد انقطع فهل يأذن مولاي بالسفر..

(تصدح موسيقى القافلة)..

المنذر: عجباً بماذا يفكر رجالنا في دمشق بعد هذه الأحداث يا عمرو؟

عمرو: إنهم ينتظرون عودة الملك بفارغ الصبر..

المنذر: إني أخشى أطماع قواد قيصر وغدرهم..

عمرو: نحن أقوى منهم في ديارنا وحولنا أبناء عمومتنا في الحجاز والعراق فلا خوف على غسان من الروم.

المنذر: أترانا نجتمع على مقاومة هذه القوى الباغية فنخرجهم من أرض آبائنا..

عمرو: إن العرب يعيشون اليوم في يقظة ولا يجهل الفرس والرومان هذا..

المنذر: لقد آن لنا أن نخلع سيطرتهم عن رقابنا.. ليت أبناء عمومتنا في الحيرة يقدرون الظروف التي نعيشها وإياهم..

عمرو: إنهم ليسوا أقل منا حرصاً على التخلص من نير الفرس..

المنذر: ليتني أعيش يا عمرو فأرى إشراق شمس العالم الجديد..

عمرو: أنت بخير والحمد لله وقريباً ستظلنا غسان براياتها.

(يأتي حنظلة ووجهه ينطلق بالبشر)..

حنظلة: لقد مررنا بشرق أدلب ونحن الآن نسير بحذاء معرة النعمان وقريباً سنطل على سهول دمشق.

المنذر: مرحباً برياح الوطن إنها تحمل إلينا نسمات كلها العطر وأريج الزهر.

عمرو: ستستقبلك دمشق بوجهها الضاحك يا مولاي..

المنذر: أنا في شوق إلى ولدي وأبناء عمومتي..

عمرو: ستكون غسان في استقبالك وعلى رأسها الحارث..

المنذر: مرحباً برياح الوطن مرحباً بالأرض المباركة..

أصوات: يحيا ملك غسان.. يحيا ملك غسان..

المنذر: المجد للعرب المجد للعرب.. «يأتي سالم مسرعاً»..

سالم: أرى أن نسلك طريقاً آخر فقد شاهدنا سرية من الرومان تطوف بالقرب من هذه الأرض..

عمرو: بماذا تقدر عدد أفراد السرية؟..

سالم: إنهم حول الخمسين من الفرسان..

عمرو: سنقاتلهم إذا تحرشوا بنا..

حنظلة: أفضل أن نتحاشهم فلا نتورط معهم في معركة تعوقنا عن السير..

المنذر: ما يقوله حنظلة هو الصواب.. اتصلوا بالآخرين من رفاقنا ليلتحموا بنا..

حنظلة: اذهب يا سالم وبلغ رفاقنا أننا سنلتقي معهم في ضواحي حمص بالقرب من النهر..

سالم: سمعاً وطاعة..

المنذر: كونوا على حذر فقد نصطدم مع السرية أو مع غيرها من جنود قيصر..

عمرو: لن يمس أحد ملك غسان وفي صدورنا نفس..

(يداومون السير على حذر، يطلع عليهم أحد الفلاحين)..

المنذر: تعرّف على هذا الفلاح يا عمرو واستمع إلى أخباره دون أن يعرف من نحن..

الفلاح: عموا صباحاً يا قوم..

عمرو: عم صباحاً هل أنت من أهل هذه الديار..

الفلاح: نعم وأنا في طريقي إلى حمص..

عمرو: وماذا عن أخبار البلد؟..

الفلاح يعيش الروم على أعصابهم وقومنا لهم بالمرصاد..

عمرو: ولماذا يقلق الروم؟..

الفلاح: إنهم يخشون بعضهم.. فالجيش متفرق الكلمة بعضهم يتظاهر للعهد الجديد وآخرون يضمرون الشر ولكن يخافون على مصيرهم فلا يتظاهرون.

عمرو: وقومنا؟..

الفلاح: يترقبون كل حركة تصدر عن الفريقين ويعملون لإقرار الأمن في البلاد..

عمرو: هل تعرف شيئاً عن أخبار دمشق؟..

الفلاح: كل من فيها ينتظر عودة سيد غسان بفارغ الصبر..

عمرو: والحارث ولد الملك؟..

الفلاح: إنه يرعى غسان رعاية أبيه لها..

المنذر: وأبناء عمومتنا؟..

الفلاح: (وعلى وجهه علامة الدهشة) كلهم يلتفون حول الحارث كالبنيان المرصوص.

المنذر: بورك لقومي في هذه الروح العالية..

الفلاح: (وتزداد الدهشة على وجهه).. ومن أنتم يا سيدي؟..

عمرو: ستعرف ذلك عما قريب..

الفلاح: إني أرى على وجوهكم علائم الاهتمام يأمر غسان وشعب هذه البلاد..

المنذر: لا تقلق فنحن من أهلك يا فتى..

الفلاح: يبدو وأنك سيد القوم، هلا أخبرتني بما يملأ قلبي فرحاً.. عن ملك غسان..

عمرو: إنه بخير وستراه قريباً..

حنظلة: هل ترغب في رؤية الملك..

الفلاح: ليت لي هذا ولك كل ما أملك؟..

(يلتفت عمرو نحو المنذر فيبتسم الملك)..

عمرو: أبشر يا فتى فهذا هو ملك غسان «ويشير إلى المنذر»..

الفلاح: مولاي.. (يجمد وعيناه شاخصتان إلى المنذر ودموعه تنهمر)..

مولاي.. مولاي.. (ثم يهجم على يد المنذر ويقبلها بجرأة)..

المنذر: مهلاً يا فتى فلقد آثرت شجوني بإخلاصك البريء..

الفلاح: أرواحنا وأموالنا فداء للملك.. إني لا أكاد أصدق ما أرى..

المنذر: أهلاً بك يا أخ العرب. لن تفارقنا بعد اليوم وستكون في موكبنا حتى نصل إلى حمص وهنالك سنجد طلائع جيشنا فنطمئن وتطمئن..

الفلاح: لن نخاف الروم بعد اليوم لن يصلنا أذاهم..

المنذر: خذه إليك يا حنظلة وأكرمه فهو من رعايانا المخلصين..

حنظلة: تعال يا أخ العرب فأنت في ضيافة سيد غسان..

المنذر: أرني تعباً يا عمرو وأشعر أن بي حمى متى نصل إلى دمشق؟..

عمرو: نحن بالقرب من حمص وسنعسكر على ضفاف العاصي الليلة ثم نسير في الصباح..

المنذر: قل لحنظلة أن يبحث لي عن دواء ينقذني من هذه الحمى التي تشتد وطأتها علي..

عمرو: ستشفى بإذن الله وسآتيك بالدواء.. (يخرج عمرو ثم يدخل حنظلة ومعه الدواء)..

حنظلة: لا تخشى شراً يا مولاي فهذا كله من آثار التعب.. وسنجلي هذا الكدر قريباً إن شاء الله..

(يقدم العلاج للمنذر فيأخذه)..

المنذر: أتعلم يا حنظلة إنني لم أطمئن من غدر الروم إلا بعد أن اجتزنا الدروب، هل لديك أخبار جديدة..

المنذر: عجباً ماذا ستكون سياسة هرقل؟..

حنظلة: من مصلحة هرقل أن يكون على وفاق مع غسان..

المنذر: إني أشعر بحاجة ملحة للنوم فدعوني أسترح..

حنظلة: إنه من تأثير الدواء فلا تخشى يا مولاي..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: والآن أنا أيضاً بحاجة إلى الراحة..

مزنة: تصبحين على خير يا أماه..

الحلقة ـ ١٠ ـ

سلمى: إلى أين وصلنا في حديثنا أمس..

مزنة: وصلنا إلى حيث آوى المنذر إلى فراشه وآويت أنت إلى فراشك (تضحك)..

(موسيقى انتقال)..

المنذر: لا أظن أني أستطيع مواصلات السفر على الخيل يا حنظلة..

أحس بالآلام في مفاصلي وانحطاط عام في صحتي..

حنظلة: أنت بخير يا مولاي.. إنها آثار الحمى التي ستزول إذا داومت على تعاطي الدواء..

المنذر: إنه شديد المرارة يا حنظلة.. أليس لديك دواء غيره؟..

حنظلة: ولكن له مفعولاً قوياً على الحمى.. لو أخلد مولاي إلى الراحة يومين آخرين لقطع دابر المرض..

المنذر: ولكن أريج دمشق يدعوني، وخيالات الأهل والولد تناديني فهلا تدبرت واسطة النقل..

حنظلة: سأتدبر لمولاي «محفة» يتناوب على حملها رجالنا الأشداء ومع ذلك فإني كطبيب ألتمس من مولاي أرجاء السفر حتى تزول آثار الحمى..

المنذر: لقد أزمعت وأجمعت..

حنظلة: حسناً أمرك يا مولاي..

(يذهب لتجهيز المحفة والرجال وفي أثناء غيابه يقول عمرو)..

عمرو: حبذا لو يعدل مولاي عن السفر فصحته فوق كل شيء..

المنذر: إنني بخير يا عمرو.. هيا خذوا في أهبة السفر.. وأنت يا هند هيئي جميع أمتعتي..

هند: أمر مولاي.. سأقوم مع سلافة بهذه المهمة..

المنذر: بورك فيكما..

(يجري الحديث بين سلافة وهند وهما يحزمان أمتعة المنذر)..

سلافة: إن حنظلة جد قلق على صحة مولاي المنذر..

هند: لماذا؟..

سلافة: لأن مولاي مصاب بحمى خبيثة وسنه لا يتحمل وطأتها..

هند: أليس لديه دواء لهذه الحمى..

سلافة: لقد سقى مولاي منه.. وقد يشفى ولكن إصراره على الرحيل يعرضه للخطر لا محالة..

هند: ألا سبيل إلى إقناعه..

سلافة: لقد باءت كل المحاولات بالفشل..

(يدخل حنظلة وهو يقول):

حنظلة: هند! أين مولاي المنذر..

هند: في مخدعه يا حنظلة..

(يذهب إليه وحين يراه المنذر يقول)..

المنذر: أهلاً بك يا حنظلة.. هل جهزتنا للسفر..

حنظلة: كل شيء جاهز بانتظار صدور أمر مولاي.. ولكن..

المنذر: ولكن ماذا؟

حنظلة: ألتمس من مولاي تأجيل السفر لمدة يومين يزول فيهما أثر الحمى ويسترد الجسم قوته ومناعته..

المنذر: إنني بخير.. إنني بخير.. أنظر إني أستطيع الوقوف والمشي.

حنظلة: ولكن للسفر مشقته ووعثاؤه..

المنذر: ما قدر فليكن.. هيا بنا هيا بنا..

(تصدح موسيقى الرحيل ويبدأ الموكب طريقه إلى دمشق)..

عمرو: ما رأيت المنذر قط في مثل هذا العناد والإصرار يا حنظلة..

حنظلة: لقد حاولت إقناعه فلم أفلح.. وإني خائف عليه.. وقد أوعزت إلى الرجال بأن يسيروا بنا الهوينا..

عمرو: لعلّه ينشط وتتحسن حاله عندما يصل أرض الوطن فللوطن غلاوته وحلاوته.

حنظلة: لعلّ وعسى.. دعنا نقترب من محفة مولاي المنذر فربما احتاج إلينا..

المنذر: حنظلة.. إنني أشعر بحرارة تكاد تحرق جوفي.. أعطني ماء وليكن شديد البرودة..

(يأتي حنظلة بالماء ويسقي المنذر)..

حنظلة: مولاي.. نحن الآن في أرض غسان.. في دارة ملكك العتيد..

عمرو: أجل يا مولاي وهذه أعراف الزهر تبتسم لعودتك..

المنذر: أسندوني لأمتع ناظري بمرأى وطني.. ألا ما أجمله إنه لم يفقد بهاءه ورواءه..

عمرو: لقد أخلصت يا مولاي لهذه الأرض فأبت إلا أن تستقبلك بربيعها الضاحك..

المنذر: لا بد أننا قريبون من بساتين (جلق) فإني أسمع تغريد البلابل وزقزقة العصافير.. وخرير المياه.. وأشم عبير الورد والياسمين في أجملها من دنيا!!..

عمرو: كل ما في عالم غسان ينهض إلى مليكه، أنظر بعيداً يا مولاي هاهم الفلاحون يأتون إليك ضاحكين مستبشرين..

المنذر: يا لهذا الصباح الندي، إلى أين يمضي هؤلاء الفلاحون برياحينهم..

عمرو: إنهم على موعد مع القدر فقد شعروا في قرارة نفوسهم إن مليكهم يعود إليهم فهبوا للقائه..

المنذر: هاتوا لنا جماعة منهم نسألهم عن الأهل والعشيرة..

حنظلة: سمعاً وطاعة يا مولاي (ينطلق على فرسه ويذهب نحو الفلاحين ثم يعود ومعه جمع غفير)..

المنذر: هيئوا لنا مكاناً في جوار النهر انصبوا الخيام في ظل هذه الأشجار الباسقة لقد دخلنا جنان دمشق..

(تقف القافلة، صوت حركة نصب الخيام، المنذر على سريره في صدر الخيمة الكبرى)..

المنذر: أشعلوا النار وانصبوا القدور وانحروا الذبائح، ادعوا أهل الجوار ليشاركونا طعامنا.

(يدخل الأمير عمرو ومعه فريق آخر من الفلاحين)..

عمرو: إنهم يا مولاي من أهل معربا وقد ملأ الفرح قلوبهم مذ علموا بعودة سيد غسان..

المنذر: مرحباً بهم وأهلاً.. مرحباً بكم يا خير الفتيان..

أحد الفلاحين: مرحبا بسيد غسان لقد أعدت إلى هذه الأرض شبابها بقدومك..

المنذر: ممن القوم؟..

الفلاح: نحن من معربا ومن أخلص رعايا الملك..

المنذر: مرحبا بكم وأهلنا وأخوتنا في السراء والضراء..

عمرو: يا له من صباح مبارك لأرى الدنيا وكأنها تتحرك من حولنا..

الفلاح: إن الناس على موعد مع الحياة الحرة الكريمة وهم ينتظرون عودة الملك بفارغ الصبر فما أن شاع خبر وصوله حتى هب الناس جميعاً للقائه..

عمرو: ما أشبههم وكأنهم في صبحة العيد..

الفلاح: وهذا عيد لهم فهم في أروع أيام المجد والعزة..

المنذر: مرحى للفتيان.. مرحى.. مرحى..

الفلاح: لن ترى إلا وجوهاً مستبشرة يا مولاي..

(يتقدم فلاح آخر بباقة من الزهر ويضعها على السرير)..

فلاحة: هذه الأعراف من الزهر تمثل إخلاص هذا الشعب لمليكه فتقبلها يا مولاي..

فلاح آخر: إنها رمز لما في قلوبنا من الحب والإخلاص لسيد غسان..

المنذر: شكراً لكم يا أبنائي وبناتي إني نذرت نفسي لهناء هذا الشعب الوفي..

(هتاف وأصوات، يحيا المنذر، يحيا سيد غسان ـ أهازيج)..

المنذر: الحياة لكم أنتم عماد هذا الملك وحماته إلي يا فتى (ويشير إلى أحد الفلاحين فيقترب من سرير الملك)..

المنذر: ماذا تعرف عن أخبار الحارث يا فتى؟..

الفلاح: أنت تسأل عن ولدك يا سيدي..

المنذر: أجل وأسأل عن أهلي وعشيرتي..

الفلاح: لقد كان الحارث صنو أبيه في المكرمات والفضائل وهو فتى غسان وريحانتها وقد التف الجيش حوله فخافه الروم وأحبه الشعب.

المنذر: وهل حصل صدام مع الروم؟..

الفلاح: جاءت بعض الأخبار القلقة عن موقف قيصر من الملك فحمل رجالنا السلاح وهبوا يريدون الزحف على القسطنطينية.. ثم طمأنهم ولدك الحارث عن سلامتك الغالية فهدأوا.

(أصوات الطبول والأهازيج من خارج الخيام وصوت الربابة يسمع بين حين وآخر)..

المنذر: أو خشيتم أن لا يعود المنذر إليكم؟..

الفلاح: كنا نخشى غدر قيصر..

المنذر: ألم تطمئنوا إلى قيادة الحارث..

الفلاح: كل غسان كانت متأهبة للقاء جيوش قيصر..

المنذر: والشعب؟..

الفلاح: كان من وراء الجيش يسانده ويآزره..

المنذر: بارك الله لهذا الشعب في وفائه..

فلاحة: لقد نذرنا أنفسنا للغداء فشعبنا يأبى أن يخضع لقيصر وجنوده..

عمرو وحنظلة: مرحى.. مرحى..

حنظلة: هذه دنياك يا مولاي فسرّح نظرك في جبالها وسهولها، إنها تبتسم لك وتحتفي بقدومك..

المنذر: ما أروعك في حماستك يا حنظلة ليتني أعيش لأقوم بواجبي نحوكم جميعاً..

عمرو: أنظر بعيداً يا مولاي فالجموع تزحف لتستقبل سيدها (تدمع عيني المنذر)..

المنذر: مرحى وعاشت هذه النفوس الكريمة..

عمرو: إنها تجتمع على الحب والوفاء لسيدها..

المنذر: وهذه الرايات التي يحملونها.. لقد حملت مثلها في أيام طفولتي وهاهي الأيام ما تزال تحلق في سماء العزة والكرامة..

عمرو: لقد آن لهذا الشعب أن يقيم أعراسه في حالة لا تقرب منها أيدي العابثين..

المنذر: ألا ما أجمل أيام العز والكرامة..

عمرو: لقد أطل الصبح الجديد على دنيا العرب يا مولاي.. ولن تخضع لأجنبي بعد اليوم..

المنذر: ليتني أعيش لليوم الذي تجتمع كلمتنا في كل أرض عربية..

عمرو: ستعيش طويلاً إن شاء الله فغسان ما تزال تتطلع إليك لتكتب صفحة جديدة من أيام عزها.

المنذر: إني أوصيكم بولدي يا عمرو..

عمرو: سنبقى أوفياء له وفاءنا لأبيه العظيم..

المنذر: بارك الله فيكم جميعاً.. وأنت يا حنظلة لا تهمل تكريمك لضيوفنا ليشعروا أنهم بين أهلهم..

حنظلة: إنهم جميعاً في بحبوحة من عطاء الملك..

المنذر: اعتنوا بالأطفال فإنهم رجال المستقبل..

حنظلة: لن يخيب أملهم بعد أن شملهم سيد غسان برعايته..

المنذر: أعدوهم لمستقبلهم، إنهم سوف يواجهون أحداثاً كبيرة..

عمرو: سيكونون الجنود الخلص لمليكهم والأبناء البررة لوطنهم وسيحملون رايات المجد إلى آفاق الدنيا..

(يدخل فوج جديد من الفلاحين، يشتد صوت الأهازيج في الخارج وتقرع الطبول)..

حنظلة: إنهم أبناء (داريا) يا مولاي وهم من أخلص رعاياك.

المنذر: مرحباً بهم جميعاً.. (يلتفت نحو الفلاحين) سلام الله على الفتيان..

أحد الفلاحين: سلام الله عليك يا مولاي إن هذه القلوب التي تحملها تشعر بسعادة لم نشعر بمثلها من قبل..

المنذر: مرحباً بكم جميعاً كيف حال من خلفتم وراءكم من الأهل والولد؟..

الفلاح: لقد تركنا وراءنا شيوخاً ورجالاً ونساء وأطفالاً نذروا نفوسهم لعزة هذا الوطن..

المنذر: لقد عودنا هذا الشعب على حبه ولن ننسى جميله أبداً..

الفلاح: لقد عشنا في غيابك عيش المؤمنين بالنصر وقد ردّك الله إلينا سالماً فالحمد له والشكر..

المنذر: هل اعتدى عليكم أحد من جنود قيصر..

فلاحة: كان ولدك الحارث الأمين لشعبه وكان قوادك الدروع التي تقي غسان كل شر..

(صوت الربابة يعلو والمنشد يردد الأناشيد الحماسية)..

المنذر: لكم الله يا أبناء غسان إني لأشعر بدنو الأجل وإني أذكركم بأن الحياة وقف على المناضلين هذا هو نظام الحياة الحرة الكريمة، انظروا إلى المستقبل بالعين التي ترى آفاق الدنيا تدعوها وتستنهض هممها.

(يعبق وجه الملك بالإحمرار ويبدأ بالسعال)..

عمرو: ابتعدوا عن سيد غسان دعوه يرتاح (يشتد السعال على المنذر)..

حنظلة: فداك روحي يا مولاي أتتألم؟..

المنذر: إن الألم ليشتد يا عمرو ساعة بعد ساعة وأظن أن أجلي قد قارب النهاية فأحمل يا عمرو وصيتي إلى ولدي الحارث وإلى أبناء عمي قل لهم أن يجمعوا كلمتهم على الوفاق وحذار أن يتفرقوا فإن عدوهم ما يزال يتحين الفرص لينقض عليهم..

عمرو: أطال الله عمر الملك أنت ما تزال بخير هذا عارض سيزول عما قريب.. حنظلة وأسعفه مولاي بالدواء..

المنذر: لا ينفع الدواء في رد القدر انظر بعيداً يا ابن العم إنهم يطلعون علينا من وراء جبل الشيخ إنهم آبائي وآباؤك وأبطال غسان إنهم يتهيئون لاستقبالي..

عمرو: مولاي..

المنذر: لقد دنت ساعة اللقاء مع الأحبة يا عمرو.. فلا تنسى وصيتي إني أوصيكم بالحارث سيروا به في طريق المجدانه وديعتي لدى غسان..

(سكوت عميق وقلق على الوجوه)..

المنذر: وداعاً يا أرض غسان لا تنسوا أن تجعلوا أكفاني من رياحين هذا الوطن الذي أحببته وداعاً يا أبناء شعبي وداعاً..

(يميل برأسه إلى اليمين ويرتعش جسمه فيسرع عمرو ويغمض عينيه)..

عمرو: لقد حلق النسر حتى بلغ الجوزاء ثم قصرت جناحاه عن بلوغ ذراها، رحم الله المنذر..

حنظلة: رحم الله المنذر.. وعوّض غسان في ابنه الخير..

أصوات: رحم الله المنذر.. (نشيج البكاء يعم الفضاء)..

(موسيقى حزينة)..

مزنة: مسكين مات المنذر.. قبل أن يجتمع بأهله وولده..

سلمى: هذه حال الدنيا ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (سورة الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧)..

مزنة: وماذا جرى بعد ذلك يا أماه..

سلمى: غداً إن شاء الله غداً إن شاء الله..

الحلقة ـ ١١ ـ

مزنة: أنت دقيقة في مواعيدك يا أماه.. وأراك الليلة ـ لأول مرة ـ تتأخرين.. هيا.. يا أماه.. هيا..

سلمى: حاضر يا بنيتي حاضر..

مزنة: لقد وقفنا بالأمس عند وفاة المنذر.. فماذا جد بعد ذلك؟..

سلمى: نصب ولده الحارث ملكاً على غسان..

مزنة: وماذا بعد؟..

سلمى: لقد حدثتك عن دولة الغساسنة في الشام بما فيه الكفاية، وأريد الليلة أن أحدثك عن دولة المناذرة في العراق.. وهي دولة عربية أيضاً لأني أود أن تلمي بحالة الجزيرة العربية إلأماءً تاماً قبل فجر الإسلام..

مزنة: بوركت يا أماه.. هات.. هات..

(موسيقى انتقالية)..

(المنظر.. قصر النعمان بالحيرة والحديث التالي يجري بين الحارسين)..

الحارس الأول: يلوح لي أنه اجتماع خطير يعقده سيدي النعمان..

الحارس الثاني: ليس أدل على خطورته من حضور حكيم العرب أكتم بن صيفي..

الحارس الأول: وفارس العرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي..

الحارس الثاني: وطبيب العرب الحارث بن كلدة..

الحارس الأول: صه.. أصغ هاهو الملك النعمان يبدأ الكلام:

(نقلة صوتية)..

النعمان: دعوتكم وأنتم أهل الرأي والمشورة والسلاح لأستطلع رأيكم في دعوة جاءتنا من كسرى..

أكتم: خيراً دعيت إليه أيها الملك..

النعمان: لا أكتمكم قلقي بسبب هذه الدعوة.. فقد بلغني أن كسرى يحمل في نفسه حقداً علينا..

أكتم: ولماذا يحقد ملك فارس علينا، وأبطالنا لم يوفروا سيوفهم في الدفاع عن ملكه أمام جحافل الرومان..

النعمان: إنه بدأ يشعر بأن العربي لم يعد متحمساً للقتال مع أخيه العربي في سبيل سلطان الأجنبي..

أكتم: وهل ساءه ذلك بعود الصفاء بين المناذرة والغساسنة؟..

النعمان: أجل يا أكتم.. لقد ساءه ذلك مثلما ساء قيصر، وقد علمت أن غسان قلقه على مليكها المنذر بعد أن استدعاه القيصر إليه..

أكتم: بل أعتقد أن قلق الإمبراطورين ناشىء عن خطر بدأوا يقدرون أنه سيأتيهم من قلب الجزيرة العربية..

النعمان: وما هو هذا الخطر الذي يخشونه وتشير إليه؟..

أكتم: إنهم يتحدثون عن مخاض جديد في مكة..

النعمان: ترى بماذا يفكر الفرس والرومان إزاء هذا الخطر الجديد؟..

أكتم: إن ملك كسرى قد استنفذ كل إمكانات المجد والقوة، وكذلك هو شأن هرقل..

النعمان: وماذا ترون أنه سيكون موقف العرب من هذه الأحداث المقبلة؟..

أكتم: لا بد وأن العرب مدركون أن دماء كريمة أهرقوها في سبيل تعزيز ملك كسرى وقيصر وأن هذه الدماء يجب أن توفر غذاء للعالم الجديد يكونون هم بناته ورافعوا ألويته..

عمران معد كرب: إنه لشرف للعرب أن يضعوا سيوفهم في خدمة بعث جديد تشرق أنواره على دنياهم المقبلة..

النعمان: أو يقول غيركم مثل هذا القول؟..

عمرو: لو أن الملك حفظه الله عاد إلى ذكريات الموسم في عكاظ لتذكر ما جرى على ألسنة الشعراء والأبطال من حماسة إلى دنيا جديدة..

النعمان: وماذا قال الأبطال بعد أن سمعوا أناشيد الشعراء؟..

عمرو: لقد بلغت حماستهم الذروة بعد أن سمعوا ما تلي من الأناشيد في البعث الجديد..

النعمان: ومن الذي برز من الشعراء في الموسم؟..

عمرو: شهد الله أن العرب لم يعرفوا موسماً أخصب من موسم السنة..

النعمان: ومن كان من النوابغ في عكاظ؟..

عمرو: كان طرفة وزهير وحسان وعمرو بن كلثوم وعنترة وغيرهم من فحول الشعراء والأبطال..

النعمان: والنابغة؟..

عمرو: كان عميد الموسم وسنده.. وليت الملك سمع صوته وهو يجلجل

في الفضاء يدعو الشعراء إلى المنبر ويشيد بالدنيا الجديدة، ولقد كانت الوفود تمثل أكرم البيوت في الجزيرة العربية وكانت الجماهير فرحة كمن يسير في مواكب العزة والمجد..

النعمان: لله درك يا عمرو، فكأنك في وصفك هذا تسير مع ذكريات بطولاتك في ظل راية واحدة..

عمرو: أطال الله عمر الملك.. إن العرب جميعاً بدأوا يشعرون بأن أزاهير الحياة تتفتح لهم في ربيع ضاحك في حين يغمر القلق دنيا كسرى وقيصر..

النعمان: ألا ترون أن الخطر الشديد قد يجمع بين كسرى وقيصر في تحالف ضد البعث الجديد؟..

عمرو: أنى لهم ذلك وقد غلبت الروم في الأمس وكسرى ما يزال يتهيب فكرة الثأر عند قيصر وكلاهما ما يزال يؤمن بالنجدة والحماية من العرب غساسنة ومناذرة..

النعمان: كل ما قلته صواب ولكني ما أزال أخاف غدر كسرى..

أكتم: ولم لا يستشير الملك حلفاءه من ربيعة وبكر وشيبان فهم شركاء في السراء والضراء..

النعمان: بالخير أشرت يا حكيم العرب وغداً نكون في طريقنا إلى هاني بن مسعود فهو سيد قومه..

في اليوم الثاني يسير ركب النعمان إلى ربيعه وبكر ومعه هدايا وأهله وحاشية كبيرة جداً وأهازيج وغبار يعلو الفضاء وصوت وقع حوافر الخيل..

(هاني بن مسعود في خيمته الكبرى وحوله شيوخ بكر وشيبان والأبطال)..

هاني: يا أبناء العمومة هذا ملك الحيرة في طريقه إليكم ومعه أهله وولده..

شريك بن عمرو: مرحباً بالنعمان يأتي إلى هذه الأرض فتتصل بزيارته الأرحام وتتوثق روابط الدم..

هاني: قيل إن واشيا تحدث أمام كسرى عن النعمان بسوء فأرسل هذا رسوله لمقابلته..

المثنى: ابن حارثة ـ لعلّ النعمان يخشى غدر كسرى..

هاني: أعتقد ذلك ولعلّه أراد استشارتنا ومعرفة موقفنا لو أن كسرى غدر به..

شريك: وبماذا ينصح الأمير طال عمره..

هاني: لا بد من الاطلاع على رأي النعمان في أمر سفره إلى كسرى أولاً.. ولكل حادث حديث..

(موسيقى)..

(يدور الحديث التالي بين عاتكة زوج الأمير هاني بن مسعود وابنتها سلمى، وريا زوج حاجب بن زرارة)..

عاتكة: علمت من هاني بن مسعود أن النعمان قادم مع نسائه..

وطفاء: وبناته يا أماه أيضاً..

ريا: إنهن سكان مدر وحجر ونحن سكان شعر ووبر ولا أدري هل يتحملن يا عاتكة خشونة البادية وقسوتها كما نتحملها نحن..

وطفاء: وبناته يا عمتاه عشن في بلاط كسرى.. وتنعمن في جنان الخورنق والسدير..

عاتكة: الدنيا ـ بنيتي وطفاء ـ يوم لك ويوم عليك والعاقل من تمرس حلوها ومرها، ويسرها وعسرها..

ريا: أعانك الرب وقواك يا عاتكة أنت وزوجك هاني بن مسعود..

عاتكة: لقد أعددنا أحسن ما عندنا يا ريا.. والكريم من عذر..

(يدخل أحد الفرسان ويخاطب هاني قائلاً السلام على الأمير السلام على الأبطال)..

هاني: حييت بالخير يا أخا العرب، وما وراءك من الأخبار؟..

الفارس: في طريق عودتي إليكم شاهدت موكب النعمان ملك الحيرة يسير إلينا، وما أظنهم يبعدون كثيراً فالغبار الذي تثيره حوافر خيولهم تكاد تلمس خيام القبيلة..

هاني: هلموا نستقبل الملك وحاشيته..

(يخرج هاني ومعه فرسان بكر وشيبان على ظهور الخيل وبعد قليل يلتقون مع موكب النعمان فيترجل هاني ويترجل النعمان ويتعاقبان)..

هاني: أهلاً بملك الحيرة ـ أهلاً بكم أبناء عمومتنا ومرحبا..

النعمان: شكراً لكم أيها السادة وما كان يجب أن تتجشم المتاعب من أجلنا..

هاني: ما أجمل التلاقي مع الأحبة، الأهل والولد مع الأهل والولد، والفرسان في ربوع الأبطال، أما الملك فله الصدر من قلوبنا أهلاً بكم جميعاً..

«يركب هاني ويركب النعمان ويسير الركب في طريقهم إلى الخيام. علم الأمارة يرتفع على خيمة هاني بن مسعود.. يدخل الملك والأمير ويأخذان مكانهما في الصدر»..

الأبطال والفرسان يجلسون على اليمين والشمال..

هاني: ما أشد شوقي إلى هذا اللقاء فنحن مقصرون في زيارة الملك وقد شغلنا عن ذلك اهتمامنا يجمع الشمل بين عبس وذبيان وقد تم فضل الله علينا جميعاً، فالكلمة مجتمعة والقلوب صافية والتعاون صادق بين الجميع..

النعمان: ما أحوجنا يا ابن العم إلى وحدة في الصف بعد أن تقادم العهد على صلف الفرس وسوء معاملتهم للعرب وهم يأبون إلا أن نكون في نزاع دائم مع أبناء عمومتنا من آل جفنة.

هاني: ولكن الحارث الغساني أخلى ما بينكم وبين جيوش قيصر، وقد أتاح ذلك لكم أن ترفعوا أعلامكم على أبواب القسطنطينية فعلام يغضب كسرى؟ وكل ضعف لقيصر هو في مصلحته؟..

النعمان: ولكن كسرى لا يقدر هذا الجميل الذي صنعه غسان. ويريد منا أن نعود إليها غزاة غادرين..

هاني: لقد بلغ مسامعنا أن واشي حمل إلى كسرى من الأخبار الكاذبة ما أوغر صدره على الملك..

النعمان: ولهذا جئنا إليكم نرجو الرأي والمشورة ولنطمئن إلى العون والحماية لأهلنا وولدنا وماذا حملت..

هاني: وماذا حملت رسالة كسرى إليكم..

النعمان: جاءتنا دعوة منه وليس فيها ما ينم عن نواياه؟..

هاني: إني أفهم من هذا أن الملك يتطير من هذه الدعوة..

النعمان: قلي فبماذا نشير؟..

هاني: أرى أن تذهب بنفسك إليه ومعك الهدايا، وأن تترك نساءك وأهلك في ذمتي فلن يخلص إليهم أحد حتى يخلص إلى بناتي وأهلي..

النعمان: فأنت إذن ما نعهم من غدر كسرى؟..

هاني: إني أمنعهم مما أمنع نفسي وأهلي وولدي..

النعمان: بارك الله فيكم آل بكر وشيبان فأنتم غرة العرب وريحانتهم..

المثنى: إن كسرى لا يجهل أنه ما يزال في حاجة إلى سيوفنا ترد عنه جحافل قيصر فما أظن أنه يجرأ على الغدر بالملك..

هاني: وما رأي حكيم العرب أكتم؟..

أكتم: أرى ما يراه سيد بكر وشيبان. أما نحن ففي ركاب الملك إلى بلاط كسرى ولن نوفر حزماً في موقفنا وسنشعر بأنه لن يخيفنا وأن العاقبة أسوأ عليه إذا غدر..

النعمان: وأنت يا عدي؟..

عدي: سأكون في ركاب الملك مع حاجب ابن زرارة فإنه ذو رأي ومكانة بين العرب..

النعمان: وهل يصحبنا الحارث ابن كلدة؟..

الحارث: ليس لي أن أنتكس عن صحبة سيد الحيرة..

النعمان: وأنت يا معدي كرب..

عمرو: سنكون حراس الملك وستكون سيوفنا مشرعة في أغمادها..

النعمان: بورك فيكم جميعاً فأنتم عدة هذا الملك في الأحداث الكبرى.. وأنتم أبناء العمومة من بكر وشيبان لقد ملأتم قلوبنا فخراً واعتزازاً بارك الله فيكم..

هاني: يؤلمني يا ابن العم أن تمتلىء صفحات هذه الفترة من التاريخ بأخبار الغزو والقتال في ميادين شتى من أرض العرب حتى أن بعضهم

أطلق على هذه الحقبة أسماء ينم عن شدة وطأة الوقائع التي تجري فسماها أيام العرب..

النعمان: ولكن شيبان لم تهمل واجبها فجمعت الشمل المتفرق وأهابت بالمتقاتلين أن يعودوا إلى رشدهم فعادوا.. وها نحن بينكم نضع أهلنا وولدنا وسلاحنا في حمايتكم..

أكتم: إن الجزيرة العربية تتحدث عن مخاض جديد في الحجاز سيكون له اثره البالغ في مستقبل العرب.

النعمان: وقد بلغني أن كسرى غاضب من هذا الذي يتحدث عنه الناس في كل أرض من الجزيرة العربية.

أكتم: إنه يضطرب خشية أن يفقد القوى العربية التي تحمي ملكه..

المثنى: بل هو يخشى أن ترجع إليه فتنتزع حريتها من براثنه..

هاني: لقد آن للعرب أن تجتمع كلمتهم..

النعمان: إذا عدت آمناً فإني سأبحث هذا كله.. مع غسان فليس لأجنبي أن يتدخل بيننا بعد اليوم..

هاني: لن يكون موقف غسان أقل حماسة مما نرى ونسمع إنها تريد أيضاً أن تتخلص من سيطرة قيصر..

النعمان: ليس ما يحول بيننا وبين غسان أن نتفق على إحلال السلام في ربوعنا وستلعب أيها الأمير دورك في التقرب بيننا وبين آل جفنة..

هاني: لن أوفر جهداً في سبيل جمع كلمة العرب ووحدة صفوفهم..

المثنى: أرى أن يعيد الملك رسول كسرى في رسالة تحمل أنباء قرب وفوده إليه..

هاني: وأرى أن تكون الهدايا وافرة فإن ذلك يترك أثراً حسناً في نفس كسرى..

النعمان: لن نقصر في تقديم الهدايا ولكن كسرى يطمع في أكثر من ذلك، إنه يطمع في اغتصاب حريتنا وليس أسمى من الحرية شأناً عند أصحاب النفوس العالية..

هاني: لن يحني الملك رأسه أمام كسرى ولكنها السياسة والمداورة يا ابن العم ولا بد من يوم وأن تتخلص فيه جميعاً من هذا التهديد الجاثم على خدودنا..

النعمان: قربت أيام الحرية وليتهيأ ركبنا إلى كسرى في الصباح الباكر.

هاني: أنعمتم مساء وإلى الصباح ستكون في وداعكم..

النعمان: لا بأس عليك يا ابن العم وما يجب أن تتحمل مشقة في سبيلنا فحسبنا ما كلفناك به وحسبنا أنك تحمي أهلنا وولدنا..

في الصباح الباكر يتهيىء ركب الملك النعمان ويسير هاني بن مسعود وفرسان شيبان مسافة طويلة في وداع الملك وحين ترتفع الشمس في قبة الفلك يقف النعمان قائلاً:

النعمان: أقسم عليكم إلا ما عدتم وسنفترق هنا متوكلين على الله لقد ملأتم قلوبنا بالثقة والأمل وستأتيكم أخبارنا وأخيراً أوصيكم بأهلي وولدي..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: ما أشد واقع ما لاقاه العرب في الشام والعراق من ظلم الروم والفرس..

سلمى: ستعرفين يا بنيتي كيف أنقذ الإسلام العرب من ظلم الفرس والرومان. فإلى غد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ١٢ ـ

مزنة: أماه! لقد حان موعد الحديث.. هلمي إلي..

سلمى: حاضر.. أين وقفنا في حديثنا أمس؟..

مزنة: وقفنا عند سفر الملك النعمان بن المنذر إلى كسرى وبعد أن أودع هاني بن سعود شيخ قبيلة بني شيبان أهله وولده وماله.

سلمى: ورحل النعمان إلى كسرى في وفد مؤلف من أكتم بن صيفي، الحارث بن كلده، زيد بن عدي.. حاجب بن زرارة وعمرو بن معد يكرب الزبيدي.. واستقبلهم كسرى في بلاطه..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

كسرى: أهلاً بكم جيرتنا وحلفاءنا.. إننا لن ننسى يداً للمنذر في عهد مزدك..

النعمان: أطال الله عمر كسرى.. إن العرب أمة واثقة ما تآلفتها مسترسلة ما لاينتها، سامعة ما سامحتها، ونحن وفودها إليك وألسنتها لديك ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة..

كسرى: ومن هؤلاء الذين في صحبتك؟..

النعمان: هذا أكثم بن صيفي حكيم العرب، وهذا الحارث بن كلدة طبيبهم وعمرو بن معد يكرب، وفارسهم ورهط من المغاوير ذي المكانة

والحسب وليس من حضر له منا بأفضل ممن تخلف عن الحضور..

كسرى: فليتكلم أكثم بن صيفي..

أكثم: إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها وأفضل الخطباء أصدقها، آفة الرأي الهوى، وخير الأمور الصبر.

كسرى: زدنا من حكمتك يا أكثم فلقد أعجبني عقلك ومنطقك.

أكثم: الصمت حكم وقليل فاعله، والبلاغة إيجاز، من شدد نفّر، ومن تألف أحبه الناس..

كسرى: حدثنا عن قومك..

أكثم: أطال الله عمر الملك من يبل العرب يعرف فضلهم، فيهم الجبال الرواسي عزاً والنجوم الزواهر شرفاً والحصى عدداً وأنهم سوف لا يخذلون إذا ما استصرختهم.

كسرى: حسبك أبلغت وأحسنت، من هو منكم الحارث الطبيب؟..

الحارث: أنا يا مولاي..

كسرى: أأعرابي أنت؟..

الحارث: نعم من صميمها وبحبوحة دارها..

كسرى: ألك ولد؟..

الحارث: نعم..

كسرى: وأيهم أحب إليك؟..

الحارث: صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يعود..

كسرى: وأين تعلمت الطب؟..

الحارث: في فارس واليمن وقرأت كتب الهند..

كسرى: وما تصنع العرب بالطب مع جهلها وضعف عقولها..

الحارث: أطال الله عمر الملك.. إذا كانت هذه حالها كانت أحوج ما تكون إلى من يصلح أمرها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها..

كسرى: لو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل..

الحارث: العقل قسمة كالرزق.. فكل من قسمته أصاب، منهم مثر ومنهم معدم، ومنهم جاهل وعالم وعاجز وحازم..

كسرى: وما الذي نحمد من أخلاق قومك وصفاتهم؟..

الحارث: لهم نفوس سخية وقلوب جريئة ولغة فصيحة وألسن بليغة وأنساب صحيحة وأحساب شريفة..

كسرى: وما يرضيك من سجاياهم؟..

الحارث: إن الكلام يمرق من أفواههم مروق السهم. وهم المطعمون في الجدب، ولا يضام جارهم ولا يذل كريم كريمهم..

كسرى: أجلس وسيناظرك وزيرنا مرزويه..

(نقلة صوتية)..

(يدور الحديث التالي بين زوج كسرى وإحدى وصيفاتها)..

زوج كسرى يلوح لي أن العربي ذلق اللسان متمكن في فنه وطبه..

الوصيفة: صحيح ما تقولينه يا سيدتي إنه جريء في منطقه ساحر في بيانه.. حبذا..

زوج كسرى: حبذا ماذا؟ قولي..

الوصيفة: حبذا لو سمح مولاي كسرى بأن يفحصك هذا الطبيب العربي فربما عرف دواء لمرض المفاصل الذي تشكين ولم تجد علاجات أطباء فارس وعلى رأسهم مرزويه..

زوج كسرى: الجو السياسي بين كسرى والنعمان والعرب بوجه عام ملبّد بالغيوم.. وإني لأرجو أن يصفو بعد هذا اللقاء وعندها سأقنع كسرى بأن يفحصني هذا الطبيب العربي..

الوصيفة: لعلّ وعسى..

زوج كسرى: صه.. إن مرزويه قد حضر.. فهلمي نسمع لما يدور بين الطبيبين..

(نقلة صوتية)..

مرزويه: ما أصل الطب..

الحارث: ضبط الشفتين والرفق باليدين..

مرزويه: أصبت فما الداء الدوي؟..

الحارث: إدخال الطعام على الطعام فهو يفنى البرية..

مرزويه: وما الجمرة التي تلهب منها الأجواء..

الحارث: هي التخمة إن بقيت في الجوف قتلت، وإن تحللت أسقمت..

مرزويه: صدقت فما تقول في الحجامة؟..

الحارث: حسنة في نقصان الهلال، في يوم صحو لا غيوم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة..

مرزويه: وما قولك في دخول الحمام؟..

الحارث: لا تدخله وأنت شبعان، ولا تنم بالليل وأنت عريان، ولا تقعد

إلى الطعام وأنت غضبان، وأفاء بنفسك وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك..

مرزويه: أصبت فما تقول في الدواء؟..

الحارث: اجتنبه ما لزمتك الصحة، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل أن يستفحل شره..

مرزويه: ثم ماذا أيضاً؟..

الحارث: إن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت وإن تركتها خربت..

مرزويه: وأي اللحمان تفضل؟..

الحارث: الضأن الفتى، والقديد المالح مهلك.

مرزويه: وما شأن الفواكه عندك؟..

الحارث: كلها في إقبالها وحين أوانها، وأتركها إذا ولت وانقضى زمانها؟..

مرزويه: وما أفضل الرياحين؟..

الحارث: الورد البنفسج والياسمين..

مرزويه: وما تقول في شرب الماء؟..

الحارث: هو حياة الأبدان وبه قوامها، ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة، وشربه بعد النوم فيه مضرة.

مرزويه: ما طعمه وما هو لونه؟..

الحارث: طعمه شيء لا يوصف وقد أشتبه لونه على الأبصار. فهو يحكي لون كل وعاء يكون فيه..

مرزويه: فما النور الذي في العينين؟..

الحارث: مركب من أشياء ثلاثة.. البياض شحم والسواد ماء والناظر ريح..

مرزويه: وعلى كم طبع البدن؟..

الحارث: ليس البدن من طبع واحد، لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك..

مرزويه: أجمل لنا الحار والبارد..

الحارث: كل حلو حار، وكل حامض بارد وكل مر معتدل..

مرزويه: ما قولك بالدم..

الحارث: حسن إخراجه إذا زاد..

مرزويه: أفتأمر بالحقنة؟..

الحارث: نعم إنها تنقي الجوف وتكتسح الأدواء عنه، وعجيب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد..

كسرى: قفوا عن الكلام قليلاً فإني أرى الحاجب قادم ولعلّ لديه حاجة..

(نسمع صوت مشي الحاجب الذي يسر إلى كسرى فإذا بنا نسمعه يقول بانفعال):

كسرى: أجلوا المناظرة إلى وقت آخر.. وأدع يا مرزويه كبير الأطباء على عجل فإن المرض عاود الملكة بشكل حاد وشديد..

مرزويه: أمرك يا مولاي..

كسرى: وليكن هذا الطبيب العربي معكم فقد أعجبني تفكيره السليم واطلاعه الواسع. ما قولك يا حارث؟..

الحارث: إنه لشرف عظيم ما بعده شرف..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: أماه.. هل وفق الحارث إلى معالجة ملكة فارس.. قولي.. طمنيني.. طمنيني..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: أن شاء الله.. تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ١٣ ـ

مزنة: لقد أدهشني بيان أكتم بن صيفي يا أماه وسحرتني بلاغته وجزالة ألفاظه وسمو معانيه..

سلمى: إنه حكيم العرب يا مزنة.. والحكيم عند العرب هو العالم بجميع الأشياء..

مزنة: كذلك أعجبتني براعة الطبيب العربي الحارث بن كلدة وتمكنه وحذقه وقوة حجته ومنطقه في المناظرة.. طمنيني يا أماه هل استطاع معالجة زوجة كسرى؟..

سلمى: إليك يساق الحديث

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

كسرى: كيف وجدت الطبيب العربي يا كبير أطبائنا..

كبير الأطباء: لله دره يا مولاي إنه حاذق في مهنته ملم بفنه واثق من نفسه..

كسرى: لقد بزكم مع الأسف وبرهن أن العلم لا حدود ولا وطن له. أليس كذلك يا مرزويه؟..

مرزويه: إننا نقر له بذلك.. لقد عجزنا عن تسكين آلام مولاتي الملكة وكدنا نيأس وإذا بهذا الطبيب العربي يفلح حيث عجزنا..

كبير الأطباء: كنت أظن مولاي لا يوافق على معالجة مولاتي الملكة بطريقة الكي..

كسرى: كنت متردداً بادىء الأمر ولكن صراخ الملكة من شدة الألم وحالة اليأس من الشفاء التي رانت على وجوهكم دفعتني إلى أن آمر هذا العربي أن يفعل ما فعل وكان فيما فعل الشفاء والعافية للملكة..

مرزويه: إن أطباء العرب يستغلون في المعالجة أعشاباً تنبت في بلادهم ولا تنبت في بلادنا.. وقد حاولت حين أخرج الطبيب العربي بعض الأعشاب من جرابه ليغليها ويسقيها للملكة حاولت أن أتعرف على نوعها فلم أتمكن..

كسرى: المهم.. لقد استطاع هذا الطبيب أن ينجح حيث عجزتم أنتم.. على فكرة.. أما يزال يسهر على معالجة الملكة؟..

مرزويه: نعم.. إنه يتفقدها صباح ومساء..

كسرى: سأغنيه حتى لا يعرف الفقر طريق بابه.. مرزويه..

مرزويه: مولاي..

كسرى: هل دعوتم النعمان وصحبه لمقابلتنا؟..

مرزويه: نعم يا مولاي وعما قريب سيصلون..

كسرى: لا شك أن النعمان سيتيه علينا فخاراً بما قام به طبيبه الحارث..

مرزويه: إن النعمان يا مولاي يعتز بعروبته حتى لقد يبلغ هذا الاعتزاز إلى حد الغرور والكبرياء..

كسرى: سأحطمن غروره، وأذلن كبرياءه.. وسأنتقمن منه انتقام عزيز مقتدر..

مرزويه: لا شك أن باستطاعة مولاي أن يفعل كل ذلك ولكني أرى..

كسرى: ترى ماذا؟..

مرزويه: أرى أن ندين النعمان من أقواله.. إن غروره وكبرياءه ورعونته سيعرضانه إلى زلق اللسان.. وعندها يضرب مولاي ضربته القاضية..

كسرى: رأي سديد يا مرزويه.. بورك فيك..

(يعلن الحاجب دخول النعمان بن المنذر ورفقاه ما عدا الحارث بن كلدة الذي أمره كسرى بأن يشرف على معالجة الملكة)..

النعمان: السلام على إمبراطور فارس وسيد الأكاسرة..

كسرى: وعليك السلام يا ملك العرب..

النعمان: شرف عظيم يوليني إياه سيد فارس ولقب أعتز به..

كسرى: أتعتز باللقب أم العرب..

النعمان: أعتز بالاثنين معاً..

كسرى: ولكن العرب الذين تعتز بهم قوم يعيشون في شقاق دائم وخلاف مستمر وقتال بين بعضهم البعض لا ينتهي إلا ليبدأ من جديد.. هاهم عربك فهل يستحقون أن تفخر بهم..

النعمان: أطال الله عمر كسرى.. لو أذنت فإن عندي جواباً في غير رد عليه ولا تكذيب..

كسرى: قل فأنت آمن..

النعمان: لا ننازع في مجد أمتك التي أكرمها الله بولاية آبائك وولايتك، أمام الأمم الأخرى فأي أمة تقرنها بالعرب إلا وفضلتها..

كسرى: وبم تفضل العرب على الناس؟..

النعمان: بعزها وسخائها وحكمة ألسنتها ووفائها..

كسرى: لا أراكم ألا تستعملون على غيركم من الأمم، على ما بكم من الفاقة والبؤس، وتنزلون أنفسكم فوق مراتب الناس..

النعمان: أعز الله الملك، ليس أمة في الأرض يسمى آباؤها إلا العرب فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي إلى غير أبيه..

كسرى: لقد أطلت في مديح قومك..

النعمان: إن الرجل منهم يرضي أن يخرج عن دنياه ليكسب طيب الذكر وأما وفاؤهم فإن الرجل يرضى بأن تفنى قبيلته ولا يخفر بجواره..

كسرى: وماذا أنتم من هذه الدعوة الجديدة؟..

النعمان: مخلصون لكسرى ما دام الملك يحترم قوميتنا ويحسن معاملته لنا..

كسرى: ولكن بلغني أنكم تتطلعون إلى مكة..

النعمان: إن لمكة في نفوسنا ذكريات روحية تربطنا بها..

كسرى: وما هي هذه الروابط..

النعمان: إن لنا أشهراً حرماً وبلداً وبيتاً نحج إليه ونقيم فيه مناسكنا وعنده يلتقي الرجل بقاتل أبيه فلا يتناوله بأذى وهو قادر عليه..

كسرى: ولكنكم تتجاوزون حدود هذه الروابط حين يغزو بعضكم بعضاً..

النعمان: لقد ألجأتنا الصحراء إلى أن يغزو بعضنا ولكننا نتطلع الآن إلى دنيا أوسع من عالمنا الصغير..

كسرى: إذن من أجل هذا تتحدثون عن بعث جديد يلم شملكم؟..

النعمان: أو يضير هذا الملك؟..

كسرى: ليس براض عن هذه الروح تسري في صفوفكم ألم أكفكم ما تحتاجون إليه؟..

النعمان: نحن لا ننكر عطف الملك علينا ولكن دنيا العرب أوسع من جوار كسرى ولا بد من حدث يرفع بهذه الأمة إلى مقامها..

كسرى: أراك تجاوزت الحدود في تعريف أطماع قومك؟..

النعمان: أيها الملك لم نأت لضيمك، ولم نفد لسخطك، نحن لجوارك حافظون، هذه أيدينا لك بالوفاء رهينة..

كسرى: وماذا على حدود الشام..

النعمان: هدنة يتحفز فيها الروم للأخذ بثأرهم..

كسرى: وأنتم هل تدافعونهم إذا ما حاولوا الاعتداء؟..

النعمان: لقد أعطينا هرقل درساً بليغاً لا ينساه..

كسرى: وماذا للغد..

النعمان: أن سيوفنا التي قاتلناهم بها ما تزال في أغمادها..

كسرى: وماذا عن غسان؟

النعمان: لقد اتفقنا مع أبناء عمومتنا من آل جفنة أن نقاتل دفاعاً عن حدودنا.. وكل اعتداء يبدأه أجنبي فنحن لا نصطدم بسببه والعربي لا يقاتل أخاه..

كسرى: أراكم قد تمرستم في السياسة فمن الذي أعطاكم هذه الأفكار الجديدة؟..

النعمان: إنه حديث العرب كلهم وفي كل أرض من الجزيرة العربية..

كسرى: وقومك هل يخلصون إخلاصك لنا؟..

النعمان: أطال الله عمر الملك نحن جيرانك الأدنون إن استنصرتنا أجبناك ولا نتنكر لدهر..

كسرى: لقد عرفناك من قبل ولن ننسى موقف أبيك في نصرتنا على هرقل..

النعمان: ما زلنا على العهد نحمد سجاياك ونأمل الحياة الهادئة بقربك..

كسرى: سموت بفضل وعلوت بنبل وقد صحبك أصحاب العقول فكنت موفقاً..

النعمان: أطال الله عمر الملك وأبقاه..

كسرى: سيتحدث معك وزيري مرزويه فكن صادقاً معه وتجنب المراوغة..

النعمان: لقد عودناك الصراحة والصدق ولن يكون موقفنا اليوم غير موقفنا بالأمس..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

الحارث بن كلدة: كيف تحسين الآن أيتها الملكة.. ألا تشعرين بتحسن عام..؟

زوج كسرى: لقد مر أسبوع على معالجتك لي وفي كل يوم أشعر بتحسن في صحتي وفي مشيتي.. سأكافئك حتى أغنيك..

الحارث: يكفيني أيتها الملكة أني قمت بواجبي الإنساني نحوك..

زوج كسرى: أنت مؤدب جداً.. هل يوجد بين قومك من هم طلاقة لسان وسحر بيانك..؟

الحارث: إني قطرة في بحرهم..

الوصيفة: إنه جد متواضع يا مولاتي..

زوج كسرى: هكذا يكون العظماء..

الحارث: لقد رتبت طريقة علاجك والأدوية اللازمة وأفهمت وصيفتك بما يجب أن تفعل.. والآن استأذنك أيتها الملكة متمنياً لك العمر المديد والصحة والعافية..

زوج كسرى: شكراً لك أيها الطبيب النابغة.. سنراك قبيل سفرك لنجزل عطاءك..

الحارث: حسبي رضاك أيتها الملكة..

(ينصرف وتقول الملكة لوصيفتها)..

زوج كسرى: لقد أثبت هذا العربي جهلنا التام بأمور العرب وأن ما لدينا من معلومات عنهم جداً خاطئة..

الوصيفة: سيكون للعرب شأو عظيم إذا ما وجدوا القيادة الرشيدة..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: لقد رفع هذا الطبيب العربي اسم العرب عالياً وبرهن على إبائهم وشممهم وعزتهم وكرامتهم..

سلمى: هؤلاء هم قومك يا مزنة الذين أردتك أن تعرفيهم قبل معرفتك للأقوام الآخرين..

مزنة: يا لفخري واعتزازي بقومي..

سلمى: إلى الغد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله.. تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير..

الحلقة ـ ١٤ ـ

(موسيقى)..

مزنة: وقفنا بالأمس موقفاً لم أحمده للنعمان.. لقد عرف داهية الفرس كيف يطلق لسان النعمان من عقاله..

سلمى: بورك فيك يا بنتي.. إني جد مسرورة من هذه الملاحظة.. نعم لقد كشف النعمان لملك الفرس أوراقه فزاد في وساوس كسرى ومخاوفه منه.. وسترين كيف أن تسرع النعمان ورعونته قد كلفته غالياً والمثل يقول: (في العجلة الندامة)..

مزنة: هات يا أماه.. حدثيني..

سلمى: بعد خروج النعمان من مجلس كسرى.. عقد هذا مجلساً حضره مرزويه الوزير وقواد الجيش ودار بينهم الحديث التالي:

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

كسرى: ماذا ترون في أمر الملك النعمان بعد أن سمعتم حديثه..

مرزويه: الرأي لمولاي ـ أعز الله ملكه ـ فإما أن يعفو ويتناسى أو يبطش فيستبدل النعمان بعامل جديد..

كسرى: يبدو أن النعمان مطمئن إلى نجدة تأتيه من الجزيرة العربية.. وقد لاحظت أن جيران العرب قد تبدلت حالتهم وتغيرت معاملتهم لنا بعد أن تواترت الأنباء عن حدث جديد ينتظرونه..

مرزويه: الملك أعلم بحصافة أياس بن قبيصة ودهائه، فارم به إليهم يخضعهم ويضمن إخلاصهم..

كسرى: إذاً فإن تشير بخلع النعمان..

مرزويه: إذا رفض النعمان استعادة ودائعه التي تركها لدى هاني بن مسعود شيخ بني شيبان وتسليمها إلينا فالحزم أسلم..

كسرى: أبعدوا أنصار النعمان عنه وأرسلوهم مخفورين إلى الحيرة في حال رفض النعمان تسليمنا ودائعه لدى ..

مرزويه: سمعاً وطاعة..

كسرى: لا بد من الاستماع إلى رأي قائد جيشنا عن وضعنا العسكري.. فماذا تقول يا هرمز؟..

هرمز: لنا من القوى حول الحيرة ما يكفي لكسر مقاومة المناذرة ولكن إذا بدت طلائع نجدة من الجزيرة العربية آتية لنصرتهم فالأمر يختلف..

كسرى: أرى ألا نهمل حساب هذه الناحية فعزز هرمز قواك على أرض العراق وانتظر أوامرنا.. قل لي يا هرمز ما عدد القوة المرابطة على أرض العراق..؟

هرمز: لمولاي فرقتان من الجنوب وسنعززهما بفرقة الفيلة وسرية من السريات..

كسرى: مرزويه.. طاول النعمان في مفاوضتك معه ريثما يتم هرمز استعداده للطوارىء ولا تنسى أن تحيط عملك بالكتمان الشديد..

مرزويه: سمعاً وطاعة..

كسرى: والآن فليذهب كل منك لأداء مهمته..

(نقلة صوتية)..

زوج كسرى: أرى الأمور تنتقل من سيء إلى أسوأ يا جلنار..

جلنار: هل تسمحين يا سيدتي أن أقول رأيي بصراحة..

زوج كسرى: قولي فأنت وصيفتي الأمينة..

جلنار: إن مستشاري مولاي الملك يعوزهم الإخلاص والشجاعة الأدبية.. إنهم في رأي ببغاوات آدمية..

زوج كسرى: إني معك فيما تقولين فموضوع علاقتنا بالعرب يجب أن تعالج معالجة جذرية.. إننا ما زلنا نتبع سياسة البطش.. الغدر.. القتل.. إنها أسلحة لا قيمة لها..

جلنار: لماذا لا تصارحين مولاي الملك بذلك..

زوج كسرى: لقد بح صوتي وأنا أنصح كسرى.. والمرض الذي ابتليت به كان ناتجاً عن سهري الليالي الطويلة في شرفة غرفة نومي أستعرض ما نحن فيه ولا أحس في غمرة تفكيري بالبرد حتى تمكن من عظامي ومفاصلي.. ولولا هذا الطبيب العربي لكنت اليوم في عداد الهالكين..

جلنار: ألا تعيدين الكرة مع مولاي.. إن الظروف التي تجتازها مملكة فارس دقيقة وحرجة.. وعلاقة فارس بالعرب يجب أن تتطور مع المخاض الجديد الذي تتحدث عنه الأخبار..

زوج كسرى: سأفعل.. سأفعل..

(نقلة صوتية)..

مرزويه: أردت أن أخفف عنك وطأة الوحدة بعد أن عاد وفدكم إلى الحيرة..

النعمان: أو عاد صحبي إلى الحيرة؟.. إذن ما مقامي في هذا القصر المنعزل؟.. لعلّكم تبيتون أمراً.. يا مرزويه..

مرزويه: لقد أمر كسرى بأن تبقى ضيفاً علينا وأمر بإعادة الوفد فقد يطول مقامك هنا يا سيدي..

النعمان: ما معنى هذا كله؟..

مرزويه: ما يزال في نفس كسرى أثراً مما علق بها من رواسب أمر الودائع التي أودعتها عند هاني بن مسعود..

النعمان: ولكن تلك عادة جرى عليها العرب في أمر سلامة أهلهم وولدهم..

مرزويه: وهنالك أيضاً السلاح الذي يجب أن يسلم إلينا فيصفو الجو من غيوم الحذر..

النعمان: ومن يضمن أن لا تنقض جيوشكم على الحيرة بعد أن تكون أيدينا قد فرغت من السلاح؟..

مرزويه: كن متعقلاً أيها السيد وجنب قومك شر معركة لست فيها كفؤ لكسرى..

النعمان: ولكن كسرى يفتح أذنيه لأياس بن قبيصة ولست تجهل مطامع أياس..

مرزويه: لقد أمر كسرى بالفصل القاطع في هذا الأمر فإما التسليم وأما..

النعمان: إن هذا يعني..

مرزويه: أجل إنه يعني كل شيء.. بما فيه حياتك..

النعمان: ولكن قومي لا يسكتون على غدركم إذا تماديتم في العدوان..

مرزويه: سنخضعهم بعد أن ننتهي من هذا الأمر معك..

النعمان: أراكم تذهبون بعيداً دون أن تتبصروا بعواقب الأمور.. هلا تذكرتم أن هرقل ينتظر الفرصة لينقض عليكم..

مرزويه: ما يزال طعم الهزيمة في فم قيصر، وسنقضي عليه إذا ما حاول العودة إلى التحرش بنا..

النعمان: ليس قيصر وحده في المعركة..

مرزويه: إن هذا يعني أن قومك سيكونون حلفاء لقيصر..

النعمان: لا تنسى يا سيدي أن العرب قد استيقظوا على مفاهيم جديدة للحرية.. وأنهم أصبحوا أكثر شوقاً إلى هذه الحرية من قبل، وهم لن يسكتوا على عدوان جديد تقومون به..

مرزويه: لقد أعددنا عدتنا لكل احتمال.. ولدينا من الجيوش ما يكفل لنا تأديب كل من تحدثه نفسه بالتمرد علينا..

النعمان: دعني أشاور قومي فلعلّي أجد مخرجاً..

مرزويه: دع المراوغة جانباً فقد نفد صبر كسرى، وأياس ينتظر أمرنا بالسفر إلى الحيرة..

النعمان: إذن نلتقي في ساحة القتال..

مرزويه: لن ندعك تفلت من أيدينا..

النعمان: أفهم من هذا أنكم..

مرزويه: أجل ولن تخرج حياً من هنا..

(يصفق مرزويه فيحضر قائد الحرس ومعه جنود)..

مرزويه: أيها السادة لقد تلقيتم أوامر الملك وقد حان وقت تنفيذها فتفضلوا..

(يهجم الجنود على النعمان ويضربونه بسيوفهم)..

النعمان: يصرخ يا للقدر الشائن.. يا للغدر الشائن..

مرزويه: قطعوه بسيوفكم.. قطعوه بسيوفكم..

(يشدد الجنود الحملة على النعمان فيقع جثة هامدة)..

مرزويه: أحفروا له في مكان لا يعرفه أحد وألقوا بجثته فيها وأغرسوا فوق الحفر شجراً حتى تضيع معالم الأرض.. يحمل الجنود الجثة ويخرجون بها..

(خبطة موسيقية قوية)..

مرزويه: قتلوه! قطعوه! إرباً إرباً.. يا للقدر! يا للخيانة!

سلمى: كانت أبشع معاملة عرفها تاريخ أمة.. لقد كان الأكاسرة والقياصرة يعاملون عبيدهم وإماءهم أحسن مما كانوا يعاملون به ملوك العرب.. وستعرفين الأيام القليلة القادمة كيف حرر الإسلام العرب من هذه العبودية ومن أشياء كثيرة أخرى فإلى الغد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله ـ تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير بنتي..

الحلقة ـ ١٥ ـ

مزنة: حدثيني يا أماه.. حدثيني.. فلعلّ فيما تحدثيني عنه هذا المساء يذهب عني حزني على الملك النعمان ضحية الغدر والطغيان..

سلمى: تاريخنا مليء بالضحايا والشهداء..

مزنة: هات يا أماه.. هات..

(موسيقى انتقالية)..

هاني بن مسعود: عزاء يا أم هند.. عزاء في سيد الحيرة.. لقد ذهب ضحية الغدر والخيانة.. تحملي بالصبر وثقي أن دم النعمان لن يذهب هدراً..

أم هند: رحم الله أبا هند.. وعوّضنا فيك الخير.. فأنت اليوم أب لنا وأخ كريم..

هند: عماه! إني أخشى أن يغزوك الفرس بسببنا..

هاني: بنيتي هند.. إنني عندما قبلت وديعة النعمان حسبت لكل شيء حسابه.. ثقي أنت وأمك وأخوتك أني سأدافع عنكم كما أدافع عن نفسي وولدي وعرضي ومالي..

أم هند: أعانك الرب وقوّاك ونصرك على أعدائك..

هاني: وأجمل لكما وللعرب العزاء في مليكها الهمام..

(نقلة صوتية بدون موسيقية)..

جندب: هاني.. هاني..

هاني: من الداعي..

جندب: جندب..

هاني: ما بك..؟

جندب: شيوخ بني شيبان ووفود العشائر المجاورة وفرسانها وفي مقدمتهم المثنى بن حارثة وحنظلة بن ثعلبة وعمر معد يكرب ينتظرونك هلمّ إليهم..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

هاني: يا أبناء العم.. لقد علمتم ما كان من غدر كسرى للملك النعمان ولا تجهلون ما بيننا وبين الملك الراحل من عهد..

عمرو: يا للغدر الشائن لقد وعد كسرى النعمان بالأمان فأخلف وعده وقتله ظلماً وعدواناً..

هاني: ولقد أقسمت له بالوفاء لأهله وولده ولكن كسرى يأبى علينا إلا الغدر فماذا أنتم قائلون..

حنظلة: أمض فيما عقدت عليه أيها الأمير ونحن معك ولن يصل إليك كسرى حتى تفنى أرواحنا..

هاني: لقد جاء رسول كسرى يخيرنا بين الشرف والعار، فهلا استمعتم إليه..

حنظلة: أرسول كسرى هنا؟..

النعمان: أجل وهو ينتظر أن ندعوه.. دعه يدخل يا زرعة..

زرعة: سمعاً وطاعة.. ويخرج..

شريك: النار ولا العار، المنية ولا الدنية..

(يدخل زرعة ومعه الرسول)..

الرسول: السلام على الأمير وصحبه من آل بكر وشيبان..

هاني: وعليك السلام هات رسالتك التي تحمل..

الرسول: يا قوم أنتم أخوالي وما أفضل كسرى على أحد منكم.. ولكن الرائد لا يكذب أهله فكسرى يطلب ما ترك النعمان عندكم من وديعة..

هاني: أو تريدنا على الغدر يا ابن الخالة..

الرسول: إن لم تسلموا له بما يطلب فسيأتيكم بما لا قبل لكم به..

هاني: أو يريد كسرى أن نبقي معركة بين العرب يتحدثون عنا بالغدر، لن يكون ذلك أبداً..

الرسول: أرى أن تتبصروا بالعواقب فلستم أكثر من الروم عدداً ولا أمضى سلاحاً..

هاني: ولكن العرب سيهبون جميعاً لنصرتنا فقد ملوا سيطرة كسرى وقيصر..

الرسول: إن الأمير لا يجهل تفاوت القوى بينه وبين كسرى.. ثم يضمن لكم نجدة غسان وكنده وربيعه.. هل نسيتم اقتتال القبائل بالأمس القريب.. هل نسيتم معارك عبس وذبيان؟..

هاني: لقد عرف العرب بأن مصيرهم باتفاق كلمتهم ولقد أجمع الشعراء في الموسم على تمجيد المحبة وتحدثوا عن حدث جديد يضع حداً لهذه التبعية التي تنقص من قدر إنسانيتهم لقد عاف العرب سيطرة كسرى وقيصر..

الرسول: لقد بلغتكم الرسالة وتحدثت إليكم برأيي ولكم أن تقرروا..

هاني: أبلغ كسرى أننا لا نريد الاعتداء على أحد، لكن إذا اعتدى علينا فسنقاتل دون كرامتنا وكياننا وليس لنا أن نختار..

الرسول: سأبلغه حديثكم وأرجو الله لكم السلامة..

هاني: يقال بأن كسرى قد أحل ابن قبيصة محل النعمان بالحيرة فهل يرضى ابن قبيصة أن يقاتل أخواله وأبناء عمومته هل ينسى أياس أن كسرى قتل قيس ابن مسعود لإهماله القضاء على مفرق ابن عمرو؟..

هاني: لقد قرر كسرى أن يجمع جيوشه ولكنه نسي أمر الأمن في العراق..

الرسول: لا أنكر أن الأمن ما يزال مضطرباً في السواد وغارات القبائل المجاورة للحدود لم تنقطع ولكن هذا لا يعني عجز كسرى..

هاني: وفاته أيضاً أن الجزيرة كلها تتمخض عن أحداث قد تجعل إمبراطوريته كلها في كف القدر..

الرسول: هل لي أن أعرف جوابكم الأخير؟..

هاني: لن نسلم وسنقاتل..

الرسول: سأبلغ كسرى ذلك ويخرج..

هاني: يا أبناء العمومة لم يعد ثمة من مجال للتراجع، وأرى أن نأخذ للأمر عدته فبماذا تشيرون علي؟..

المثنى: أرى أن تستنفر العرب كلهم وأن يكون موضع اجتماعنا في (ذي قار) فإن كسرى سيحاول أن يحول بيننا وبين الكلأ والماء..

هاني: لقد وصل الأعشى بالأمس فأدعوه إلى مجلسنا..

(يخرج أحد الفرسان فيدعو الأعشى)..

هاني: أيها الشاعر النابه لقد أعلن كسرى عدائه للعرب وهو يريد أن يقضي على ما بقي من كرامة في نفوسنا ولكننا لن نخضع له وقد قررنا أن نقاوم ونقاتل ولهذا سنستنفر القبائل في الجزيرة وليس أجدر منك أن تطوف بهم وتقول الشعر وتستنهض الهمم ولم يخطىء من سماك «صناجة العرب»..

الأعشى: سيدوي صوتي مجلجلاً في كل أرض عربية وسأبدأ بكندة فأهلي وعشرتي..

هاني: بلغهم أننا ننتظرهم في ذي قار فلا يتأخروا الوقت عصيب..

الأعشى: سمعاً وطاعة أيها الأمير.. يخرج الأعشى..

هاني: أيها الأبطال ستكون معركتنا مع كسرى مريرة ولا يصح أن نستهين بقوته، فهو ملك الرجال والسلاح والفيلة.. ونملك نحن الإيمان بحقنا في الحياة.. ولكن يجب أن نذهب إليه بتعبئة تامة..

المثنى: ليس هذا بأول سيف تجرده العرب في وجه المعتدين وستكون بكر وشيبان أوفر عطاء في هذه المعركة فأحمل بنا إليهم وستنضم إلينا ربيعة وخزاعة وسائر العرب..

عمرو: يجب أن تكون لنا خطة شاملة نسير عليها..

هاني: سنضع خطتنا في أرض المعركة نادوا في الناس إلى السلاح..

أصوات: إلى السلاح.. إلى السلاح..

(مجلس الحرب في خيمة هاني ابن مسعود وحوله القواد)..

هاني: هل تكامل حشد الفرسان من بكر وشيبان؟..

المثنى: لدينا ثمانية آلاف من بكر وشيبان ونحن ننتظر وصول حلفائنا..

هاني: علمت أن قبائل يشكر وبني عجل وتيم في طريقهم إلينا.. وأرى أن نرسل إليهم من يحول مسيرهم إلى ذي قار فقد وصلتنا أنباء عن جيوش كسرى أنها بدأت الزحف في هذا الاتجاه..

عمرو: إنهم يحاولون إبعادنا عن الماء..

هاني: سنسبقهم إليها ونحن الذين نختار موقع القتال ولن ندعهم يتحكمون بظروف المعركة..

المثنى: هل نسير إليهم غداً؟..

هاني: أرى أن تسبقنا الطلائع لنعرف ما نجهل به عن عدد الفرس وعدتهم وحلفائهم من العرب..

المثنى: وهل يخشى الملك أن يقاتلنا ابن قبيصة؟..

هاني: أني لا أمن من مكره فقد أطمعه كسرى بملك الحيرة فلا يبعد أن ينضم إليه..

المثنى: متى يتحرك الجيش؟..

هاني: بعد ثلاثة أيام وفي الصباح الباكر.. وسيبقى الشيوخ والأطفال والنساء هنا في حماية سرية من فرساننا..

المثنى: سأرسل سرية تمنع كل وارد على الماء قبل وصولنا إليها فلا يقاتلنا العدو بالعطش..

هاني: حسناً تفعل ولتسبق عيوننا الطلائع فلا نعدم خبراً عما يدور في معسكر العدو..

عمرو: أو يأمر الأمير بأن أقود الطلائع غداً؟..

هاني: أنت لها يا عمرو..

عمرو: سأسير بالطلائع حتى نبلغ مشارف الحيرة حيث تجتمع جيوش كسرى..

هاني: وسنسير نحن مع الجيش على تعبئة، شريك ابن عمنا معنا في القلب، المثنى وحنظلة على الجناحين عروة في المؤخرة تحمي جنوده المؤونة والماء..

المثنى: سيكون لك ما أردت أيها الأمير فكن مطمئناً..

هاني: أيها السادة لينصرف كل واحد منكم إلى تأدية واجبه وموعدنا بعد ثلاثة أيام فلنتوكل على الله..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: بدأت أشعر بجسمي كله ينتفض حماسة ويتطلع للثأر للنعمان من أعدائه.. أكملي حديثك.. يا أماه.. أكملي..

سلمى: لقد حان موعد النوم.. فإلى غدٍ إن شاء الله..

مزنة: أمرك يا أماه إلى غد إن شاء الله.. تصبحين على خير..

سلمى: تصبحين على خير..

الحلقة ـ ١٦ ـ

مزنة: أماه!.. هيا.. إلى معركة.. هيا.. إني على أتم الاستعداد..

سلمى: أية معركة يا بنيتي..

مزنة: أنسيت معركة العرب مع الفرس..

سلمى: (ضاحكة) صحيح.. لقد نسيت ذلك..

مزنة: حدثيني.. فكلي آذان صاغية..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

المثنى: الجيش مستعد للتحرك أيها الأمير..

(يرفع هاني يده ويشير إلى الأمام فيتحرك الجيش.. ويقول..)..

هاني: اللَّهم هذا يوم له ما بعده.. فأجعله مولد عهد جديد.. يرتفع فيه قدر العرب، وتتحقق حريتهم إلى الأمام يا أهلي وقومي..

(تدق الطبول.. ويبدأ زحف الجيش.. يرى المثنى فارساً يعدو من جهة الصحراء في طريقه فيقول)..

المثنى: إني أبصر فارساً يعدو مسرعاً من جهة الصحراء في طريقه إلينا..

إنه الأعشى إن صدقني بصري.. إنه هو.. أي ورب الكعبة.. أيها الأمير..

هاني: عجل به إلي فإننا ننتظر أخباره..

(يصل الأعشى ونسمع وقع حوافر فرسه)..

المثنى: هذا هو الأعشى أيها الأمير..

هاني: ما وراءك يا أخا كندة؟..

الأعشى: أبشر بالخير أيها الأمير.. ورأى الخيل والفرسان.. الجزيرة العربية كلها تزحف لنصرتكم، وهذه كلها ورائي..

هاني: بشرك الله بالخير.. ما هي أخبار إخواننا في الحجاز؟..

الأعشى: ليسوا أقل حماسة من إخوانهم في أرجاء الجزيرة وقد دعا لكم النبي بالنصر..

المثنى: وبماذا دعا لنا محمد؟..

الأعشى: قال «اللَّهم انصر شيبان.. اللَّهم انصر شيبان»..

أصوات: مرحى.. مرحى.. مرحى..

حنظلة: نحن على مقربة من ذي قار أيها الأمير..

هاني: بشرت بالخير يا حنظلة.. قل للمثنى أن يعسكر بالجيش على مقربة من الماء..

(تنفخ الأبواق يتوقف الجيش، تضرب الخيام، بالقرب من الماء)..

عمرو ابن شريك: يقوم بهذا ابن معد يكرب على أحسن وجه سأبلغه أمرك..

هاني: هيئوا الطعام ولينم الفرسان باكراً فقد أضناهم التعب وطال بهم

السير.. ولتأخذ كل فرقة أماكنها وليشرف المثنى على تنظيم إقامتها وبعد ذلك تعالوا إلى خيمتي للتشاور مع بقية الأمراء القوّاد..

عمرو: حسناً.. حسناً..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

أم هند: إنها ستكون معركة حامية الوطيس.. أرجو أن يتحقق لنا فيها النصر..

وطفاء: إنها معركة موت أو حياة بالنسبة للعرب.. إنها أول مرة يقف فيها العرب موقف الند من فارس أيتها الأميرة..

هند: إنها معركة الشرف والكرامة وسيدفع الفرس المتجبرون الثمن غالياً يا عمتاه..

وطفاء: إن دورنا في المعركة مقصور على تضميد الجرحى وسيساعدنا الحارث بن كلدة في ذلك.. ولكن إذا ما اقتضى الحال فسندافع عن أعراضنا بسيوفنا..

هند: لقد وضع الأمير هاني بن مسعود سرية من الرجال بالقرب من أماكننا لتدفع عنا غائلة العدو..

أم هند: لله در الأمير ما أبعد تفكيره.. وأعظم تقديره للأمور فلندع الله أن ينصرنا على عدونا..

أصوات نسائية: اللَّهم انصرنا.. اللَّهم انصرنا..

(نقلة صوتية)..

هاني: جمعتكم أيها السادة لنكون على تعبئة تامة في الصباح الباكر وأن للحرب عدتها فلا يصح أن نهمل شيئاً مهما قل.. فليتكلم كل واحد منكم بما يراه..

المثنى: هنالك قواعد عامة في الحروب يجب أن نتبعها. أما الفروع فإنها تتغير تبعاً للتطور في المعركة..

هاني: لا توفر علينا رأياً يا ابن حارثة..

المثنى: أولاً أهبة الاستطلاع ثم رسم الخطة وتنظيم مواقع الجيش وتنظيم حركاته بأوقاتها وأعداد الكمائن وتأمين المواصلات بين الفرق والعناية بالجرحى وإذكاء العزيمة في النفوس..

هاني: ما أروع ما أشرت يا بن العم، فهل عند أحدكم غير ما قاله المثنى، ماذا تقول يا عمرو؟..

عمرو: أرى أن لا يستهدف رجالنا لنشاب العدو ما أمكنهم..

هاني: وكيف لنا أن نتقي نبالهم؟..

عمرو: نجعل التعبئة في ساحة المعركة فئات صغيرة الحركة تعجل في الحملة على العدو فلا تترك لرماته.. فرصة يطلقون فيها نبالهم علينا.. ثم تبرز الكمائن فتفاجئهم من كل ناحية وتضرب في صفوفهم حتى ينتشر الذعر والفوضى.. كل مدد يأتينا يجب أن يدخل المعركة فيذهل الفرس ويظنون فينا الكثرة..

هاني: بالصواب أشرت يا ابن معد يكرب وأنت ماذا تقول يا شريك؟..

شريك: لا يجب أن ينسى الخطباء والشعراء دورهم في التحريض على القتال فلا تهن العزائم..

هاني: وهذا رأي خبير خاض المعارك وعرف أهمية الروح المعنوية.. لا تنسى دورك يا أعشى فكن صناجة العرب اليوم..

الأعشى: لن أترك الصفوف حتى تغلي الأرض بوقع حوافر الخيل وسأقيم الدنيا على رؤوس القوم فلا يهدأ لهم بال..

هاني: أنت لها والله يا أعشى.. أيها السادة قوموا إلى راحتكم وموعدنا في الصباح الباكر..

(في الصباح الباكر هاني ابن مسعود والقادة على هضبة تشرف على سهل «الحبايات»)..

هاني: خدوا مواقعكم أيها السادة وطاولوا القوم في هذا النهار لنختبر عزيمتهم ونتعرف على خططهم في القتال المثنى مع شيبان في القلب وابن معد يكرب مع فرسان بكر في الميمنة وشريك مع فرسانه من ربيعة وتغلب في الميسرة..

(يتحرك القواد وتتفرق الجيوش إلى مواقعها)..

هاني: إلى بصناجة العرب..

الأعشى: أنا بين يديك يا مولاي..

هاني: لقد أخذ الفرسان مواقعهم فامش بين الصفوف محرضاً تستنهض الهمم..

الأعشى: سمعاً وطاعة.. (ينطلق وبيده ربابته ولا ينقطع عن المشي).. الطبول تقرع بشدة..

(يبدأ الفرس بحركة طليعية ثم بالهجوم فيتلقاهم المثنى بجيشه)..

(وقع حوافر الخيل أصوات صليل السيوف، الغبار يملأ فضاء المعركة، هاني يراقب سير المعركة ويرسل بملاحظاته إلى القواد، يأتي المساء بغير نتيجة لأحد الطرفين، تنسحب الجيوش عن بعضها).

(مجلس حرب في خيمة الأمير هاني يحضره جميع القواد).

هني: كانت معركة اليوم معركة استكشاف قام بها الفريقان فماذا هو رأيك يا مثنى..

المثنى: لقد خبرت أساليب الفرس وسمعت عن قتالهم مع الروم فهم يعتمدون على فيلتهم وفي ظني أنهم سوف لا يوفرونها غداً..

هاني: وما تقول أنت يا بن معد يكرب؟..

عمرو: إن الخيل لتنفر إذا ما بدأت الفيلة في زعيقها وأنا لا أخشى أن لا يثبت قومنا في مجابهة الفيلة فلنعمد إلى المبارزة ونمعن في قادتهم قتلاً وتجريحاً ونمنع بذلك تدخل الفيلة في معركة الغد..

شريك: لقد أصاب بن معد يكرب وإذا سمح الأمير فسأبدأ القوم بالمبارزة غداً..

عمرو: ليس من ينكر عليك سبقك في الإقدام والشجاعة ولكن الشيخوخة بلغت منك منتهاها فدع هذا لنا أيها الأمير وابق على قيادة الجيش تحرض وتستشير الهمم..

هاني: لن يتخلف أحد إذا ما حمى وطيس المعركة.. وليكن غداً يوم ابن معد يكرب فهو بطل السيوف والرمح ولكل حادث حديث، خذوا راحتكم أيها السادة..

(في الصباح الباكر تخرج الجيوش إلى ميدان المعركة تدق الطبول الحرب والفرق تأخذ مواقعها. الجيشان وجهاً لوجه على تعبئة، هاني بن مسعود على هضبة يشرف على سير المعركة في أرض ذات العجرم، فالأعشى يطوف بربابته بين الصفوف يستشير الهمم)..

(يخرج عمرو بن معد يكرب إلى وسط الساحة، وتدق حوافر فرسه الأرض بشدة وتثير الغبار يصول يميناً وشمالاً ثم يقف متكأ على رمحه ويدعو إلى المبارزة)..

عمرو: من يبارزني.. من يبارزني؟..

يخرج من صفوف فارس بطل مجدود العدة ويهجم على عمرو، ما هي إلا جولة حتى يغفله عمرو، أصوات تهلهل من صفوف العرب، يخرج ثلاثة فرسان وراء بعضهم ولكن عمرو ينتهي منهم جميعاً عند العصر.. أصوات تهليل من صفوف العرب.. هتافات: مرحى للبطل مرحى للبطل..

(ينطلق الهجوم من صفوف الفرس وينشب قتال عنيف بدون نتيجة لأحد الطرفين.. تدق طبول الانفصال فينسحب الجيشان إلى أماكنهما)..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: لماذا توقفت عن الكلام يا أماه؟..

سلمى: لقد انسحب الجيشان إلى أماكنهما وعلينا أن ننسحب إلى غرف نومنا فقد أوغل الليل..

مزنة: وأي نوم يطيب لي وأنا لم أعرف بعد نتيجة المعركة..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير بنيتي..

الحلقة ـ ١٧ ـ

مزنة: أماه! لقد لبست ثياب الميدان بانتظار أمرك للدخول في المعركة..

سلمى: تريثي قليلاً فأنا قادمة إليك..

مزنة: أسرعي إلى.. فلم يبق في قوس اصطباري منزع..

سلمى: وبعد أن انسحب الجيشان كل إلى مكانه.. جمع الأمير هاني قواده في مخيمه ودار بينهم الحديث التالي..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

هاني: لك الله يا ابن معد يكرب لقد أثرت نفسك بقتال القوم يوم أمس فقتلت فرسانهم وأوقعت في نفوسهم الحزن فبارك الله فيك..

عمرو: إنما كنت أضرب بسيف الأمير وما أظن أن الفرس يرتضون معركة الغد بالنزال وسيكون لنا معهم شأن وأي شأن..

هاني: ستحتدم معركة الغد في حين أحاول مصاولة القوم حتى تأتينا النجدات التي ننتظر..

الأعشى: أؤكد أن رجال كندة سيكونون هنا غداً بدء المعركة..

(يدخل القيادة فارس ملثم وهو يلتهث من التعب)..

هاني: ممن القوم يا أخ العرب..؟

الفارس: من كندة يا سيدي وقد هرع رجالنا لإنقاذ هذه الأرض من دنس العدو..

الأعشى: يا للبشرى.. أهم بعيدون عنا يا ابن العم؟..

الفارس: تركت طلائعهم وراثي على مسافة فراسخ قليلة والفرسان من ورائهم..

هاني: عسكر بقومك في ميمنة شيبان يا أعشى وليكونوا في قيادة المثنى..

الأعشى: سمعاً وطاعة يخرج مع الفارس..

في صباح المعركة الفاصلة ـ الجيش في جوار حنو ذي قار، الفرس يغيرون مواقعهم وتعبئتهم فيجعلون الفيلة في المقدمة وعلى ظهورها الرماة..

عمرو: لقد صدق حدسي أيها الأمير فإن القوم يرجون أن يربحوا معركة اليوم بالفيلة..

هاني: أؤكد أن الفرس سيبدأون بسيل من النبال على صفوفنا ثم يطلقون الفيلة تدوس بأقدامها وتدمر.. ما رأيك يا مثنى؟..

المثنى: أرى أن نطيل المسافة بيننا وبينهم فيضعف أثر نبالهم ثم نهيء، لهم سرية تتعهد تحطيم خراطيم الفيلة بسيوفها فتنفر ويعود وبالها على أصحابها..

هاني: لك الله يا ابن العم فقد أشرت بما في نفسي وأنت لها فاستعن بكندة إنها تحمل سيوفاً يمانية لا يفلها عزم..

عمرو: وماذا هو دورنا في معركة اليوم..

هاني: خذ موقعك في الميمنة وشريك معي في القلب وحنظلة في الميسرة والأعشى يطوف بالصفوف يحرض النفوس على القتال.. سنعد لهم كمائن تخرج أثناء احتدام المعركة وتزرع الفوضى في صفوفهم.. هلموا كل واحد يؤدي واجبه..

(ينطلق القواد بجيوشهم إلى مواقعها وتدق طبول الحرب، يطوف هاني خطيباً)..

هاني: يا قوم مهلك مقدور خير من نجاء مغرور الحذر لا يدفع القدر والصبر من أسباب الظفر المنية ولا الدنية وأسنة الموت خير من استدبار، يا قوم جدوا فما من الموت بد فتح لو كان له رجال. يا آل بكر يا آل شيبان، يا آل كندة، شدوا واستعدوا وألا تشدوا تردوا..

(صوت الأبواق والطبول، صهيل الخيل الرسل تروح وتغدو بين الأمير هاني والقواد)..

شريك بن عمرو: يطوف خطيباً يا آل بكر، عليكم بالصبر فإن الأسنة تردى الأعنة، يا آل شيبان قدماً قدماً، يا آل كنده عزماً عزماً..

(تنطلق سهام الفرس فتملأ الفضاء ثم تتحرك الفيلة)..

رسول المثنى: أيها الأمير بدأ زحف الفيلة والناس في قلق..

هاني: قل للمثنى أن يطلق فرسان كندة فتقطع خراطيم الفيلة بشفار سيوفها..

(الفضاء يمتلأ بالغبار الذي أثارته أرجل الفيلة)..

(نقلة صوتية)..

وطفاء: يا للهول! أرى بعض فرساننا يفرون من المعركة أمام زحف الفيلة.. وهاهي السرية التي تدافع عنا قد دخلت المعركة.. فما العمل يا أم هند؟..

أم هند: العمل.. العمل نمتشق سيوفنا ونخوض المعركة فالموت ولا العار.. أين هند يا وطفاء؟..

وطفاء: إني أراها مع أخواتها النساء ويضربن وجوه خيل الفارين بأعمدة الخيام وعيدان الحطب.. اسمعي أصواتهن تجلجل ملء أجواز الفضاء..

الأصوات: عودوا ايها الرجال للقتال.. دافعوا عن أعراضكم، وأوطانكم.. عودوا ولا تتركونا نتسخ بالعار..

(تسمع أصوات الضرب ووقع حوافر الخيل وصوت هاني بن مسعود يدوي قائلاً)..

هاني: أضربوا أيها القوم مشافر الفيلة بسيوفكم.. اضربوها.. اضربوها.. وأوجعوها ضرباً..

وطفاء: انظري يا أم هند.. إن اندفاع الفيلة بدأ يخف وزحفها يكاد يتوقف لله سيوف كنده وشيبان لقد أبدعت في تقطيع مشافر الفيلة..

انظري.. ها هي هند قادمة إلينا تحمل مشفري فيلين..

هند: هذا مشفر فيل قطعته بيدي فأقبليه هدية مني لك يا عمتاه وهذا آخر يا أماه..

وطفاء: لقد حملت مع أخواتي على رجالنا الفارين وصرنا نضرب خيلهم بأعمدة الخيام وعصى الحطب وظهور السيوف فلما رأونا نكر على الفرس كما كانوا يكرون حملوا معنا حملة صادقة فانكشف الفرس عنا..

وطفاء: إنهم لم يفروا يا بنيتي.. ولكنهم لم يستطيعوا الإمساك بزمام خيلهم التي نفرت بشكل جنوني وهي تشاهد الفيلة لأول مرة..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

(فرسان كنده تهوي بسيوفها على خراطيم الفيلة فتنفر)..

هاني: للمثنى يقول: يقول الأمير ليشترك شيبان في تحطيم الفيلة فلا تتركوا لها فرصة..

المثنى: يا آل شيبان: أصنعوا ما صنعه فرسان كنده..

(تهجم شيبان وتشدد الحملة على الفيلة)..

المثنى: إنه ليوم مرير مع العدو يا ابن عمرو ولا بد من تضييق الخناق عليه ليتم النصر، أيها الفارس انطلق إلى ابن معد يكرب ليتهيأ للهجوم بعد ساعة وابلغ الكمائن أن تخرج متى بدأ عمرو هجومه ليكن عملها في مؤخرة جيش العدو وتحدث في صفوفه الفوضى والذعر، الفيلة ترتد على أعقابها وهي تدوس الفرسان في طريقها عواء الفيلة يملأ الفضاء فوضى شديدة في صفوف الفرس..

هاني: لكم الله يا فرسان كنده.. لكم الله يا أبطال شيبان.. أيها الفارس

قل لعمرو وحنظلة أن يشدا بالهجوم على جناحي العدو فقد تصدع القلب وبدأت هزيمة الفرس..

هاني: حيا الله شيبان إنها غرة العرب فقد استأثرت بحملة المعركة ها هي بكر وربيعة تدخلان المعركة لقد تحقق النصر..

(لك الله من يوم أغر، إني أرى تباشير النصر فالعدو يعود عن مراكزه إلى الوراء شدوا عليهم الحملة (ينطلق الفرسان ليبلغوا أوامر هاني إلى القادة)..

خلّد الله شرفك يا أرض ذي قار ففي هذا اليوم ستطوى صفحة فارس إلى الأبد..

أيها الفارس قل للكمائن أن تخرج فقد بلغت روح العدوان التراقي لهم لا يدعوا عدواً يفلت من ايديهم..

هتافات: يا للبشرى بالنصر.. يا للبشرى.. زغردة من الصفوف الخلفية في جيش العرب الطبول تقرع بشدة..

هاني: لك الحمد يا الله انكشف جيش العدو وارتخت عزيمته.. أسرعوا أيها الفرسان وبلغوا قادة الجيش أن يتساندوا في دفع العدو نحو النهر..

هتاف يملأ الفضاء.. قتل هرفر قتل قائد الفرس وهذا رأسه.. (يبدو رأس هرفر على رأس رمح يحمله فارس فيسرع نحو الأمير) جنود الفرس تتساقط في النهر الكمائن تندفع وراءها وعلى مفارق الطرق..

هاني: إنه ليوم من أيام العرب الخالدة فقد تقررت فيه حرية هذه الأرض بعد أن رواها أبطالنا بدمائهم..

(أرى طلائعنا في طريقها إلى الخورنق والسدير)..

لقد آن للحرية الهائمة على وجهها أن تطمئن تحت قبة الشعراء بعد اليوم..

لك الله يا مثنى إنه يأبى ألا يلاحق العدو.. وهذه كنده تنطلق في طريق الخورنق لتحرره فإن لها فيه ذكريات، سوف ترتفع رايتها فوقه..

(مجلس حرب في خيمة هاني مع قادة الجيش)..

هاني: ايها السادة لقد كان سلاحنا وقفاً على أغراض الفرس والروم، وقد أراد الله أن يكون بعد اليوم سلاحاً ندافع به عن حريتنا وكرامتنا..

عمرو: لتكن دماؤنا ناراً نتعرف على ضوءها اللاهب إلى النصر..

المثنى: لقد كانت معركة فاضلة مع الفرس ولن تقوم لهم قائمة بعد اليوم..

هاني: وإلى أين تواصل كنده سيرها؟..

المثنى: إنها تستهدف الخورنق..

هاني: مرحى لكندة في أبطالها.. هتافات مرحى لكندة.. مرحى لكندة..

أصوات: مرحى للعرب.. مرحى للعرب.. مرحى لقائدهم الأمير هاني بن مسعود..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: حمداً لك يا إلهي على هذا النصر المبين.. إني أستطيع النوم هانئة في هذه الليلة.. تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ١٨ ـ

سلمى: حديثنا هذه الليلة سيكون عن مكة المشرفة قبيل مولد النبي ﷺ..

مزنة: ﷺ.. قولي يا أماه كم أنا تواقة إلى سماع ذلك..

سلمى: كان العرب قبل الإسلام يحجون إلى الكعبة.. وكان أجداد النبي ﷺ سادة مكة وأشرافها.. فكانوا يتولون الضيافة بأمر هذا الحجيج وتأمين راحته فهاشم جد النبي ﷺ الثاني كان يطعمهم، وعبد المطلب جده ﷺ الأول كان يسقيهم..

مزنة: ياه يا أماه.. كل ذلك الحشد من الناس كانوا بحكم زعامتهم يفضلون ذلك.. وماء مكة كما تعرفين شحيح وقليل ولذلك كانت السقاية من أشد الأمور.. وكانت شغل عبد المطلب الشاغل وهمه الأوحد..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

ذؤيب: لك الحمد يا سيدي، ما أراك ألا تفكر وتفكر ثم لا تخرج من هذا الأمر الذي اقلقك فجعل منك مؤرق الليل قلق النهار قليل الحديث حتى مع أهل بيتك..

عبد المطلب: وما شأنك فيما أفكر يا ذؤيب أنه لأمر لا يعنيك منه شيء..

ذؤيب: ولكنني بت أشفق عليك من هذه الوحدة التي تصرفك عن مجالس القوم في الندوة، وعن هناء العيش في بيتك حتى وعن عطفك علي..

عبد المطلب: أو تراني مقصراً في أمر أهلي وفي أمرك؟..

ذؤيب: معاذ الله يا سيدي أن أشكو منك تقصيراً «بحقي»، ولكن هذا القلق الذي يحيط بك تكاد عدواه تنتقل إلي وإلى أهلك.. وقد أصبحنا

معك كمن يسكن مع الغرباء في نزل لا يجمعهم إلا الجوار..

عبد المطلب: وماذا تراه غريباً في علاقتي بكم؟..

ذؤيب: لا نراك إلا صامتاً، (مقطب الجبين.. وإذا خرجت من بيتك تنحيت أقربائك وأصدقائك إلى المسجد تطوف حول الكعبة ثم تلبث أن تتركه إلي بطاح مكة.. وقد تصل إلى غار حراء فماذا يغريك في الجبال وصخورها الجرداء..

عبد المطلب: لقد أحرجتني يا ذؤيب ولولا أن لك علي حقوقاً تبدأ في طفولتي لمنعتك عن أن تتدخل فيما لا يعنيك..

ذؤيب: إنك تقول دائماً إنني لك بمثابة المطلب.. وهذا.. وهذا ما حملني على إحراجك في السؤال عن هذا الأمر الذي يشغل بالك..

عبد المطلب: ما أرى إلا أني سأجن يا ذؤيب..

ذؤيب: ومما تشكو يا ولدي؟ دعني آخذك إلى الكاهن عسى أن نجد عنده الشفاء لهذا العارض الذي يسبب لك القلق..

عبد المطلب: لقد حدثتني نفسي مراراً أن اذهب إلى الكاهن فأعرض عليه أمري.. ولكن ما أن أبلغ فناء المسجد حتى أتردد وأتراجع، أأزعم للكاهن أنني مجنون وتشيع المقالة في أندية مكة ويضحك مني فتيان أمية وشباب بني مخزوم؟..

ذؤيب: ولكن ما هذه الخيالات التي تتراءى لك يا بني؟..

عبد المطلب: إنه ظل يأتيني في نومي كل ليلة..

ذؤيب: أو تحدث إليك بشيء؟..

عبد المطلب: بلى.. قال لي مرة «أحفر المضنونة» وتساءلت ما المضنونة فلم أجد لها تفسيراً في عقلي..

ذؤيب: وبعد؟..

عبد المطلب: وجاءني مرة فقال (أحفر البرة) فسألته وما برة هذه فلم يجب وتركني حائراً..

ذؤيب: ثم ماذا؟..

عبد المطلب: قلت في نفسي لعلك تسمع من رواد القوافل شيئاً عن برة أو المضنونة فذهبت أختلط بالناس ولكن..

ذؤيب: ولكن ماذا؟..

عبد المطلب: سمعتهم يتحدثون عن بصري والخورنق والسدير وغمدان ويتندرون بأخبار العجم والروم ولكن أحداً منهم لم يذكر شيئاً عن برة أو المضنونة..

ذؤيب: وأخيراً؟..

عبد المطلب: شغلت نفسي بأهلي وولدي الحارث فما صرفني ذلك عن التفكير بأمر الهاتف.. وها أنذا أراني مع الظل في منامي يأتي ويضع يده على جبهتي يرفق وتتفتح شفتاه..

عن هذه الكلمة (أحفر زمزم)..

ذؤيب: ليتك سألته عن زمزم هذه؟..

عبد المطلب: سألته بعد إعياء وجهد (وما زمزم؟) فقال (لا تنزح ولا تزم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم) ثم تولى الطيف، تركني بعد أن غمر نفسي بالأمل..

ذؤيب: أو كنت تفكر بسقاية الحجيج يا ابن المطلب؟..

عبد المطلب: كثيراً ما فكرت بالجهد والعسر الذي يلقاه الحجاج من قلة الماء..

ذؤيب: أبشر فقد جاءك الطيف بالغوث والنعمة..

عبد المطلب: وكيف ذلك يا أبتاه؟..

ذؤيب: إنه جاء يوحي إليك أن تحفر بئراً في زمزم..

عبد المطلب: وأين تقع زمزم من مكة؟..

ذؤيب: لقد عين الطيف مكانها فلا مجال للتردد. إنه في جوار المسجد.. فتعال معي أعينك على تحديد موقعك فأنا أعرف منك بأجواء مكة..

عبد المطلب: إذاً فلنأخذ معولاً وكتلاً نستعين بهما على الحفر ونقل التراب..

ذؤيب: وددت لو عملت معك في حفر البئر.. ولكنني أعتقد أن هذا شرفاً خصكم الله به آل هاشم فخذ معك ولدك ..

عبد المطلب: قل له أن يأتي ومعه المعول والكتل فأنا في انتظاركما؟..

(يذهب ذؤيب ويبقى عبد المطلب في مكانه وعلى وجهه علائم الاستبشار.. ثم يعود ذؤيب ومعه الحارث)..

عبد المطلب: هلمّ فلا تضيع وقتاً (يسير الثلاثة إلى جوار المسجد)..

ذؤيب: بعد أن يطوفوا قليلاً في باحة المسجد «احفر هنا يا سيدي وسأعود إليكما يالطعام»..

(يحمل عبد المطلب المعوّل ويضرب به حيث أشار له ذؤيب)..

عبد المطلب:

لا هم قد لبيت من دعاني وجئت سبعاً ألمس العجلان

ثبت اليقين صادق الإيمان يتبنى الحارث غير وان
جذلان لم يحفل بما يعاني لا هم فلتصدق لنا الأماني
مالي بما لم ترضه يدان

(عبد المطلب يحفر والحارث ينقل التراب إلى خارج المسجد والنشيد لا ينقطع «يأتي ذؤيب وهو يحمل الطعام)..

ذؤيب: هذا غداؤك وغداء الصبي، هلما فقد بلغت الشمس قبة الفلك وهي تصهر الأبدان وأنت لا ترفق بنفسك ولا بالصبي..

(يداوم عبد المطلب على الضرب بالمعول والإنشاد)..

عبد المطلب: إليك يا غلام بهذا التراب وأسرع بنقله فما لهذا الأمر ـ إلا عبد المطلب وابنه.. ألم تقل ذلك يا ذؤيب..

ذؤيب: ليت لي أن أشارككما في هذا الأمر ولكن الله قد خص البيت بشرفه.

(يداوم عبد المطلب على الضرب بالمعول ويعلو صوته بالنشيد)..

ذؤيب: أرحم الطفل يا هذا إذا كنت لا ترحم نفسك فقد بلغ الجوع منه مبلغه.. ألا تراه يكاد لا يستطيع حمل المكتل..

عبد المطلب: أسرع يا ذؤيب إلى يا حارث أنظر ألا تريان ماء؟ ينظر الحارث إلى الحفرة «ويقلب التراب بيده»..

الحارث: كلا يا أبتي وإنما أستشعر رطوبة وحسب.

عبد المطلب: لا بد من الوصول إلى الماء لقد أمرني الطائف أن أحتفر ووعدني أن أجد الماء لأسقي الحجيج..

(يداوم عبد المطلب على الضرب بالمعول وترديد النشيد)..

ذؤيب: أما لهذا الليل من آخر؟ هيا لتطعم وتطعم ابنك فقد أضناه الجوع..

عبد المطلب: يصرخ هاتفاً «الله أكبر.. الله أكبر.. هذا هو الماء إنه يتفجر.. أسرع يا ولدي..

(يقف ذؤيب والحارث إلى جانب الحفرة وينظران إلى الماء وهو يتدفق من جوف «البئر»..

عبد المطلب: هنا طوى «إسماعيل»، هذه هي بئر زمزم لقد صدق الوعد وتحقق الأمل..

(يملأ عبد المطلب راحتيه من الماء ويشرب ويسقي ابنه ثم يرسل الماء من حوله)..

ذؤيب: لقد بر الطائف بوعده لتعرفن قريش لك هذه اليد..

(يتجمهر الناس حول البئر ويشربون)..

عتبة ابن ربيعة: هذه الأرض ليست لك يا ابن المطلب أين الكاهن الذي أمرك أن تحفر الماء لقريش لانك..

(أصوات الماء لقريش.. الماء لقريش..)..

عبد المطلب: خلوا بيني وبين الماء يا قوم.. فوالله لن تبلغوا مني شيئاً فإن الذي أمرني أن نحتفر الماء هو الذي يرد كيدكم ويحميني منكم..

عتبة: ومن يمنعك من هؤلاء الناس؟.. إنك أبو واحد ونحن كثرة من الأقوياء وأولادنا وأموالنا..

عبد المطلب: إني أقسم لو منحني الله من الولد عشر ذكوراً أراهم بين يدي لأضحين له بواحد منهم..

عتبة: يا عبد المطلب إنها بئر أبونا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها..

عبد المطلب: ما أنا فاعل.. إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم..

عتبة: أنصفنا من نفسك فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها..

عبد المطلب: اجعلوا بيني وبينكما من أحاكمكم إليه..

عتبة: كاهنة بني سعد بالشام..

عبد المطلب: وأنا قبلت هيا إليها..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: غريب يا أماه أمر عتبة وقريش.. إنه تعسف منهم..

سلمى: لا شك في ذلك.. ولا سيما إذا عرفنا أن عبد المطلب احتفر البئر بقصد سقاية الحجيج.. أي قام بهذا العمل للمنفعة العامة..

مزنة: لقد تفاخرت قريش على عبد المطلب بأولادها وتحدته حتى اضطر إلى النذر بتضحية أحد أبنائه إذا اصبحوا عشرة..

سلمى: التحدي صعب يا بنيتي وكثيراً ما يخرج المرء عن صوابه..

مزنة: أماه وماذا كان حكم كاهنة بني سعد..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير..

سلمى: تصبحين على خير..

الحلقة ـ ١٩ ـ

مزنة: وقفنا بالأمس عند الخلاف على ملكية بئر زمزم واتفاق المتنازعين على الاحتكام إلى كاهنة بني سعد بالشام فماذا تم في ذلك يا أماه..

سلمى: وركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه وركب من كل قبيلة من قريش نفر ـ والأرض آنذاك بين الحجاز والشام جرداء وفي إحدى هذه المفاوز فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا وقالوا: أنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فجمع عبد المطلب من معه وسألهم رأيهم فأشاروا بأن كل رجل يحفر حفرته وكلما مات رجل دفعه أصحابه إلى حفرته ولكن عبد المطلب لم يعجب بهذا الرأي فقال:

(موسيقى انتقالية)..

عبد المطلب: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا تضرب في الأرض لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد.. ارتحلوا يا قوم..

(يسمع رغاء الإبل وضجيج الرجال وصوت يقول عالياً)..

الصوت: عبد المطلب!.. عبد المطلب.. انظر ماذا تحت خفي راحتك..

عبد المطلب: بصوت قال: الله أكبر.. الله أكبر.. إنه الماء العذب يتفجر.. يا قومنا من قريش! هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا معنا..

مزنة: ما أعظمك وأنبلك يا عبد المطلب.. وماذا بعد ذلك يا أماه..

سلمى: لقد شربت قريش معه واستقت.. ونهض عتبة يقول:

عتبة: والله قضى لك علينا يا عبد المطلب.. لن نخاصمك في زمزم أبداً. إن الذي أسقاك هنا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً..

سلمى: ورجع عبد المطلب ورجعت قريش معه ولم يصلوا إلى الكاهنة ومضت السنون والأيام وولد لعبد المطلب عشرة أولاد ذكور فتذكر النذر الذي عليه فجلس يفكر في ذلك ومعه خادمه ذؤيب.

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

ذؤيب يتوكأ على عصاه ويداه ترتجفان وعبد المطلب إلى جانبه..

عبد المطلب: ليس أسعد مني بعد أن ضمنت لي زمزم سقاية الحجيج ولكنني أشعر بالحزن على فقد الحارث فقد كان له النصيب الأوفر في حفر البئر..

ذؤيب: لقد عوضك الله عنه بعشرة من الذكور.. ولعلّك نسيت نذرك لله..

عبد المطلب: حقاً فقد بلغ عدد أولادي عشرة بمولد حمزة ولقد أقسمت على الوفاء بالنذر ولا بد من التضحية بأخذهم..

ذؤيب: أنت صهر لقبائل متعددة ولن ترضى إحداها بالتضحية منها فماذا تفعل؟..

عبد المطلب: سأعود إلى بني فأسألهم..

ذؤيب: ولم تنقطع قريش عن الحديث في هذا الأمر منذ أن أتاك حمزة مكملاً للعدد..

عبد المطلب: وما رأي قريش في اختيار التضحية؟..

ذؤيب: إنهم يكبرون الأمر وينكرونه وقليل منهم يقول على الوفاء بالنذر.

عبد المطلب: لا معدى عن القيام بالوفاء، وسأضرب بالقداح فمن تصبه القرعة من أولادي فهو التضحية..

ذؤيب: هذه عادة أخذ بها العرب عن غيرهم ولكني لا أحبذها..

عبد المطلب: لا مخرج لنا ألا بهذا الحل فأعوالي أولادي..

(يقوم ذؤيب متكأ على عصاه ويسير بتهمل)..

ذؤيب: لنفسه «ما رأيت أكثر من هذا الرجل عناداً» فقد أصر من قبل على احتفار البئر وها هي تسقي الحجيج منذ سنوات. واليوم يصمم على تنفيذ قسمه فلا حول ولا قوة إلا بالله..

«يعود ذؤيب ووراءه أولاد عبد المطلب»..

عبد المطلب: تعالوا يا أولادي فقد نذرت الله على أن أقدم له واحداً.. منكم حين يبلغ عددكم العشرة وها أنتم تكملون بحمزة ولا بد من الوفاء..

العباس: لقد تحدثنا بهذا الأمر من قبل وكل واحد منا يلح على أن يكون الضحية فخذ منا من شئت ولا تتردد..

عبد المطلب: لقد آثرت القداح فلا آخذ بعده..

العباس: هذا هو الصواب فأدر قداحك..

عبد المطلب: لقد جرت العادة أن يكون ذلك في جوار الكعبة ليشهد الناس على صحة القداح تعالوا إلى الكعبة في الصباح..

أبو طالب: لن يتخلف أحد منا..

عبد المطلب: لا تنسى أن تأتي بأخيك عبد الله..

ينصرف الجميع..

«عبد المطلب وأولاده العشرة ومعهم ذؤيب في جوار الكعبة والناس من حولهم»..

عبد المطلب: هات القداح يا عباس وليشهد الناس..

العباس: إليك بها..

«يضرب عبد المطلب القداح فتخرج القرعة على ولده عبد الله.. يأخذ عبد المطلب بيده عبد الله ويقوده إلى المذبح..

ذؤيب: وهو يرتجف.. إذا كانت شريعة قريش قد قست وجفت حتى جعلت للآباء على أبنائهم حق الحياة والموت فلا يجب أن نسلم بحياة الشباب..

شبية المخزومي: دعونا نحتكم إلى رب البيت..

عبد المطلب: لقد أصدر رب البيت حكمه يا شبية وأصاب القداح عبد الله فلا رجوع بعده.

عتبة: بل نجعل القداح بين الفتى وعشرة من الإبل.. أصوات.. هنا هو الصواب..

عبد المطلب: قبلت فهاتوا القداح ولتكن القرعة بين عبد الله والإبل فليس أحد أحفظ مني على ولدي..

(يأخذ العباس القداح ويضرب بها عبد الله والإبل فتصيب عبد الله)..

عبد المطلب: لا مانع من أمر الله.. فقد رضيت بولدي ضحية لمرضاته)..

شبية: أعيدوا القداح وزيدوا عدد الإبل إلى عشرين..

عبد المطلب: ليكون ما تريدون أضرب يا عباس..

(تتكرر العملية حتى يصل عدد الإبل إلى مئة فتصيب القداح الإبل)..

أصوات: الحمد لله.. الحمد لله..

عبد المطلب: سأنحر الإبل بين الصفا والمروة وأنها لحرام علي وعلى أهلي.. فهي للفقراء وللحيوان والطير..

عبد المطلب وأولاده في مجلس عائلي..

عبد المطلب: لقد أنقذ الله حياتك يا عبد الله وليس أسعد مني أن يكون الإبل فداء لك..

أبو طالب: أن القافلة تتهيأ للسفر ولنا تجار مع دمشق فلا بد من أن يرافق أحدنا القافلة فهل تأذن لي يا أبتاه..

عبد المطلب: أني لأختار عبد الله في هذه الرحلة ففيها رياضة وتسلية فهيأ نفسك يا عبد الله..

عبد الله: السمع والطاعة لك يا أبتاه..

عبد المطلب: لقد سافرنا قبلك إلى الشام حيناً وإلى اليمن والعراق والحبشة حيناً آخر. والأيام خليقة بأن تغريك بالأسفار البعيدة فقم يا بني واصلح من شأنك..

(يقوم عبد الله ويطوف حول الكعبة ثم يعود أدراجه إلى بيته)..

سلمى: وذهب عبد الله مع القافلة إلى الشام وكان ربح القافلة وفيراً في هذه الرحلة وتأهب الناس في مكة للقاء القافلة وأقاموا معالم الزينة.. وعبد المطلب أكثر الناس اهتأماً بالأمر وها هو يقول لابنه أبي طالب..

عبد المطلب: أسرع أبا طالب وأستقبل أخاك في ضاحية مكة..

أبو طالب: سأذهب مع العباس وحمزة فنستقبل أخانا..

عبد المطلب: عجلوا فقد يسبقكم القوم فلا يرى عبد الله من يستقبله من أهله..

(يذهب أولاد عبد المطلب إلى ضاحية مكة.. عبد المطلب يفكر وعلى وجهه إمارات (القلق)..

نبه: مهلاً عبد المطلب سيعود إليك عبد الله قرير العين وافر الثراء..

عبد المطلب: أخاف يا عتبه أن لا أدركه ففي جوفي نذير يقلقني منذ الأمس..

نبه: ما عهدناك إلا متطيراً وها هي القافلة لا تلبث أن تصل وتستقبل ولدك. انظر ها هم إخوته يتدافعون نحوه يصل أبو طالب والعباس وحمزه..

عبد المطلب: أين عبد الله.. أين عبد الله؟..

أبو طالب: أصابته حمى فتريث عند أخواله بني النجار في المدينة..

عبد المطلب: كان أجمل بكم أن لا تعودوا بدونه، أن قلبي يحدثني بكارثة..

لعباس: ما عليك يا أبتي لن يلبث أن يشفى ويعود إلينا..

عبد المطلب: هيهات أن أراه يا بني..

(تدمع عينا عبد المطلب ويتهيب أولاده حزنه فيتفرقوا)..

عبد المطلب: إلي يا أبا طالب.. أذهب إلى أخيك في يثرب فإن لم تجده حياً فزره في قبره وأقرأه مني التحية والسلام؟..

أبو طالب: السمع والطاعة وسأعود به إليك إن شاء الله..

سلمى: وحم القضاء ومات عبد الله قبل أن يراه والده ولما بلغته أخبار الوفاة أجهش بالبكاء وقال:

عبد المطلب: إن الله لم يقبل أن نصطنع الفداء وأن تكن الإبل بديلاً عن عبد الله، رحمك الله، رحمك الله يا ولدي..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: ومات والد الرسول العظيم محمد ﷺ..

سلمى: نعم مات ونبينا صلوات الله عليه ما يزال في بطن أمه.. آمنة رضي الله عنها..

مزنة: رضي الله عنها.. وماذا تم بعد ذلك..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٠ ـ

مزنة: أماه.. لقد حان موعد الحديث.. أنا بانتظارك..

سلمى: إلى أين وقفنا أمس يا مزنة..

مزنة: وقفنا عند الفجيعة بوفاة والد النبي ﷺ..

سلمى: ﷺ..

مزنة: هات ما عندك يا أماه.. هات..

سلمى: وتناسى عبد المطلب فجيعته وحزنه على ولده عندما بلغه أن أبرهة قد احتل بجيشه الطائف وهو في طريقه إلى مكة..

مزنة: ومن هو أبرهة يا أماه؟..

سلمى: استعمر الحبشة اليمن وولوا عليها قائدهم أبرهة.. وقد تطلع إلى نفوذه إلى الحجاز كعبة العرب فشرع يناوىء مكانتها الدينية بإنشاء كعبة فخمة في اليمن آملاً أن يصرف إليها أذهان العرب عن مكة فلما لم تنجح فكرته وظلت الكعبة على قدسيتها في نظر العرب أبى إلا أن يضع حداً عملياً لنهاية هذا التقدس فجهز جيشاً عرمرماً وقاده بنفسه إلى مكة لهدم كعبتها مدعياً في الظاهر أن أحد العرب قد اعتدى على كنيستهم فلوثها ولا بد من أن ينتقم بهدم كعبة العرب..

مزنة: ماذا تم بعد ذلك؟..

سلمى: وصل أبرهة إلى الطائف فاحتلها وقبل أن يبرحها إلى مكة عقد مجلساً حربياً تداول فيه مع قواده وضع خطة ..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

(أبرهة وجيشه في مدينة الطائف القائد الحبشي في مجلس الحرب وحوله قواد الجيش)..

أبرهة: هاتوا لنا حبيب ابن نفيل فهو أعلم منا بمسالك هذه الأرض الوعرة..

(يذهب الحرس ويأتوا بحبيب مقيداً بالسلاسل)..

أبرهة: لم تنس بعد أننا قد حطمنا كل مقاومة في طريقنا وكنت آخر من نزع لقتالنا وقاوم وها أنت أسيرنا ولنا أن نقتلك أو نبقيك..

حبيب: قاتلتكم دفاعاً عن الأرض التي عاش عليها آباؤنا وسنورثها أحفادنا يا أبرهة.. ولقد حاولنا أن نسلمهم إياها سليمة من سيطرة أجنبية فخاننا الحظ..

أبرهة: لقد اعتدى نفر منكم على مقدساتنا في صنعاء فأقسمنا لنهدمنَ الكعبة ولنحملن العرب على الحج إلى كنيستنا.

حبيب: ولكن أهل مكة سيدافعون عن الكعبة ولن يستسلموا..

أبرهة: لقد سحق جيشنا كل مقاومة في طريقه فلسنا نتهيب هذه الشرذمة القليلة التي تهددنا بها..

حبيب: إن حصون مكة لمنيعة وأن أهلها لأشداء.. وأن العرب سيأتون من كل أرض في الجزيرة العربية ليشاركوا إخوانهم شرف الدفاع عن البيت العتيق..

أبرهة: لن تقف حصون مكة دون وسائلنا في الهدم والتدمير. وإذا أصر أهلها على عنادهم فسنقذف الكعبة بأحجار المنجنيق فلا تبقي ولا تذر..

(يدخل أحد الحرس)..

الحارس: مولاي لقد جاء سفراء القبائل يرجون مقابلة السيد..

أبرهة: دعهم يدخلون..

(يدخل شيوخ القبائل فيشير إليهم أبرهة بالوقوف)..

أبرهة: ماذا جئتم تطلبون؟..

أحد الشيوخ: جئنا نعرض عليك أن ندفع لك ثلث أموالنا فلا تمس البيت بسوء..

أبرهة: ما جئت إلا لأهدم هذا البيت، وسيكون حججكم بعد اليوم إلى الكنيسة الكبرى في الحبشة..

الشيخ: ألا توفر دماء جنودك وتكسب الأموال التي سنقدمها بسخاء؟..

أبرهة: ستكون أموالكم كلها لنا بعد حين..

الشيخ: كان الفشل دائماً مصير المعتدين على هذا البيت فلا تقحم نفسك في قتال مع قوم وطدوا العزم على الدفاع..

أبرهة: لقد هابتنا العرب وأخلت ما بيننا وبين مكة ولن يردنا عنها أحد..

قائد الجيش: مرنا أيها السيد بالزحف فلا يلبث البيت أن يتصدع ولا يلبث أهله أن يكونوا من رعايا النجاشي..

ابرهة: خذوا أهبتكم للزحف بعد ثلاثة وتزودوا من هذه المدينة فهي عامرة بالفاكهة والتمر ولسوف تقاتلون في أرض قفرة قليلة المياه..

الشيخ: بل إنكم ستقاتلون شعباً «عنيداً» في الدفاع عن مقدساته..

أبرهة: لولا أنك رسول قومك لعلوت رأسك بهذا السيف.. عد إلى قومك وأخبرهم بما سمعت..

(ينسحب شيوخ القبائل)

أبرهة: وأنت يا حبيب سنبقي عليك فتسير في طليعة الأدلاء ليسلكوا بنا أهون الطرق وأقصرها إلى مكة وحذار أن تغشنا فالويل لك عندئذ..

حبيب: ليس لي أن أختار بعد أقررت مصيري وسأرافق الأدلاء كما تريد..

(جيش أبرهة قبالة حصون مكة، ينزل أبرهة عن فرسه ويشير بإقامة المعسكر)..

أبرهة: (لقائد الجيش) أرسل الطلائع لتغير على ما حول البلد وتستاق كل ما تجد في طريقها من إبل وغنم..

(تذهب الطلائع.. جيش أبرهة يعسكر أمام الحصون.. المدافعون عن

مكة يراقبون حركات الجيش الذي جاء يهدم كعبتهم)..

(حركات تنقل بين الجيوش.. ينفر أهالي القرى من حول المعسكر في اتجاه مكة)..

(بكاء الأطفال وعويل النساء)..

أبرهة: أرسلوا لعظيم البلد وسيده يأتي إلينا فإني أريد مفاوضاته بالتسليم قبل أن نبدأ بالهجوم..

القائد: أمرك يا مولاي..

أبرهة: الا ما أجهل هؤلاء القوم بقوتنا وفتك معداتنا، ولئن عاندوا وأصروا على المقاومة فلأذيقنهم أقسى وأمر ما عرفوه من طعم الحرب (يأتي الرسول ومعه عبد المطلب) سيد قريش..

(يدخل عبد المطلب فيتهيب أبرهة طلعته)..

القائد: هذا عبد المطلب سيد قريش؟..

أبرهة: أهلاً بك يا عبد المطلب إن في مظهرك ما يدل على رجاحة العقل وصدق التفكير خذ مكانك هنا وبالقرب مني..

(يجلس عبد المطلب على سرير أبرهة)..

(حركات تململ في صف القواد.. يلاحظ أبرهة ذلك فينزل عن السرير ويجلس مع عبد المطلب على البساط المفروش أرضاً يبدو الرضا على وجوه القواد)..

أبرهة: (بواسطة الترجمان) سله ما حاجته فإننا سننفذ جميع مطالبه..

عبد المطلب: حاجتي أن ترد على مائتين من الإبل أخذتها طلائعك فيما أخذت أمس من المال.

(تظهر الدهشة على وجه أبرهة)..

أبرهة: أتطلب إعادة مائتين من الإبل أخذها جنودي يوم أمس؟.. أهذا كلما تطلب.. يا عبد المطلب؟..

عبد المطلب: هذا ما فقدته وأطلب إعادته..

أبرهة: لقد عظمتك حين رأيتك وأني لأصغر من شأنك الآن..

عبد المطلب: ولم أيها القائد؟..

أبرهة: كنت أظن أنك ستحدثني عن البيت الذي سأهدمه وهو رمز مقدساتك ومقدسات آبائك وشرفك وشرف آبائك، فإذا أنت تحدثني في مائتين من الإبل. ألا قل لي كيف سودك هؤلاء القوم عليهم؟..

عبد المطلب: لأحدثنك في الإبل فإني ربها وصاحبها، أما البيت فإن له رباً يمنعه ويحميه..

أبرهة: لن يستطيع ربك أن يمنع بيته مني ويحميه..

عبد المطلب: أنت وشأنك وسننتظر وننظر..

أبرهة: ردوا عليه إبله فليس هو بالرجل الذي يشغلنا أمره.

(يخرج عبد المطلب ويسير نحو مكة ووراءه الإبل)..

أبرهة: أيها القادة تهيأوا لقتال القوم غداً ولتكن الفيلة في المقدمة فإن في منظرها ما يثير الرعب في قلوب القوم..

القائد: السمع والطاعة..

(أشراف مكة في مجلسهم ينتظرون عودة عبد المطلب.. عبد المطلب يدخل الباب ووراءه الإبل)..

الوليد بن الغيرة: نحمد الله على سلامتك يا عبد المطلب. إننا لنستبشر

بقدومك مع الإبل المغتصبة هل اقتنع أبرهة بتوفير الدماء..

عبد المطلب: بل تركته أشد عناداً وأكثر تصميماً على هدم الكعبة يا ابن المغيرة..

الوليد: وبماذا تشير علينا..

عبد المطلب: أرى أن يتفرق الشيوخ والنساء والأطفال في الشعاب وعلى رؤوس الجبال فقد أزمع أبرهة على قصف البيت بأحجار المنجنيق. ثم إليكم هذه الإبل فاصطنعوها في تزويد الناس وإطعام المحتاجين والفقراء أما المقاتلون فليأخذوا أماكنهم على الأسوار والمرتفعات الحصينة من مداخل مكة..

الوليد: لم تنس قومك في محنتهم فلك الشكر.

(خبطة موسيقية)..

سلمى: إلى الغد يا بنيتي..

مزنة: دائماً يا أماه تنهين حديثك عند أحرج المواقف..

سلمى: لقد سرقنا الحديث والليل أوغل.. هيا تصبحين على خير..

مزنة: تصبحين على خير يا أماه..

الحلقة ـ ٢١ ـ

مزنة: أماه وماذا أمر المعركة.. حدثيني..

سلمى: حسناً.. بدأ زحف الأحباش على مكة يتقدمهم فيل كبير.. ولم يكن للعرب عهد برؤية الفيلة فسميت المعركة واقعة الفيل.. وعرف ذلك العام بعام الفيل وهو السنة التي ولد فيها سيدنا محمد ﷺ..

مزنة: ﷺ..

سلمى: وتحصنت قريش في أعالي مكة ومرتفعاتها واستعدت للدفاع عن حياض وطنها..

(نقلة صوتية)

عمرو: لقد شرع رماة الأحباش في إطلاق سهامهم..

الوليد: (بصوت مرتفع) تحصنوا يا قوم كيلا تصيبكم نبالهم..

عمرو: أنظر هاهم أصحاب المنجنيق يركزون آلاتهم في اتجاه الكعبة..

مزنة: أماه.. ما هو المنجنيق؟..

سلمى: آلة توضع فيها أحجار كروية فتقذف بها إلى مسافات بعيدة وهي اشبه بمدفعية اليوم مع الفارق بالطبع..

مزنة: أكملي يا أماه..

(نقلة صوتية)..

الوليد: إذن فأبرهة يزمع تدمير الكعبة..

صوت هادر: إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..

(في الصباح يبدأ زحف الأحباش وفي مقدمتهم الفيلة والرماة على ظهرها)..

الوليد: إذاً فأبرهة مزمع على تدمير البيت..

(صوت هادر.. إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..)..

عمرو: إسمع يا ابن المغيرة؟..

الوليد: بلى سمعت يا أبا الحكم.. ولكن من يمنع حجارة القوم أن تتدفق على البيت فتهدمه..

الصوت الهادر: إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..

(وجوم وسكون في انتظار العاصفة)..

الوليد: أنظر بعيداً يا أبا الحكم.. ألا ترى ما أرى..؟ إنها سحابة سواد تأتي مسرعة من ناحية البحر (تتجه الأنظار إلى ناحية البحر.. غيوم سوداء كثيفة يرافقها غبار كثيف)..

عمرو: لعلّ إسرافيل قد نفخ في الصور يا ابن المغيرة.. أظن يوم القيامة قد دنا.. تحفظوا يا قوم قبل أن تجرفكم العاصفة..

لمعان برق وهدير رعد وغبار يحجب الفضاء. السحاب الكثيف يتقدم بسرعة خلال ضوء البرق المتواصل.. الرياح تزمجر..

الوليد: ما هذه الطيور التي تتقدم السحاب يا أبا الحكم؟..

عمرو: لا أدري.. لعلّها جرفتها العاصفة فنفرت تبغي النجاة..

الوليد: إنها تقترب أنظر فهي تحمل حجارة في مناقيرها وأرجلها..

عمرو: وأنها لترمي بحجارتها فوق الأحباش..

الوليد: وها هو فيلهم قد أدار رأسه نحو الشرق واسرع يهرول ويدوس ما أمامه من الأحباش.

(الصوت الهادر.. إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..)..

الوليد: أرى أننا أمام سيل من المعجزات. ألا ترى كيف لم يتجاوز الطير الأسوار فبقينا في نجوة من العذاب..

الوليد: هذا هو أبرهة يحاول النجاة برأسه مخلفاً وراءه جيشه المبعثر..

عمرو: وأسراب الطير تتبعه وتحصب جنوده بالحجارة..

الوليد: أسمع إنها تملأ الفضاء بصياح مخيف..

عمرو: يا للهول.. يا للهول..

الوليد: يا للنجاة.. يا للنجاة.. لقد أنقذ رب البيت كعبته..

الصوت الهادر: إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..

الوليد: لقد أصيب أبرهة هاهو محمول على المحفة..

عمرو: لقد خلت الساحة من الأحباش وأنقشع السحاب..

الوليد: وكأنه لم يحدث شيء قط..

عمرو: إنها لمعجزة.. إنها لمعجزة..

الصوت الهادر: إن للبيت رباً يحميه.. إن للبيت رباً يحميه..

(شيوخ قريش في دار الندوة)..

الوليد: أين عبد المطلب.. أين عبد المطلب..

عمرو: صدق عبد المطلب فإن صاحب البيت قد منعه من جبروت الأحباش. ها هو آت إلينا.

عبد المطلب: أرأيتم أيها السادة كيف يحمي الرب بيته؟.. لقد تفرقت القوة القاهرة وقد كانت تظن بأنها تغلب وتقهر ولا تقهر.. وأنها إذا أرادت بلغت ما تريد.. لقد فرقتها الطير وحطمت كبرياءها فأصبحت أمامها كالعصف المأكول وسلم البيت وأمن جيرانه فعظموا صاحبه وقربوا له القرابين..

الوليد: سنذبح ونتصدق ونعفي المعسرين.

عبد المطلب: فكروا بمستقبلكم أيها السادة إني لأشعر بتغيير كبير سيطرأ على حياتكم فلا تظلوا منكمشين على أنفسكم في عالمكم الصغير هذا..

عمرو: إنك تحدثنا بأشياء لا نفقهها..

عبد المطلب: سترون ما لم يره الناس وستسمعون بما لم تسمعه الأجيال قبلكم.. إنكم أمام أحداث كبيرة فتهيأوا لها..

أبو سفيان: لقد مررنا بسطيح وحدثنا عن عالم جديد..

الوليد: ماذا قال لكم سطيح عن هذا العالم الجديد يا ابن حرب؟..

أبو سفيان: قال إنه عالم تسوده المحبة وتتحقق فيه إنسانية الإنسان..

الوليد: وهل تحدث عن دورنا في هذا البعث الجديد؟.

حسان: بلى يا ابن المغيرة.. لقد قال بأنكم ستكونون قادة وسنكون شعراء وستنطلق دعوته إلى آفاق الدنيا..

أبو سفيان: لقد سمعت من بحير راهب بصري الذي يقوله سطيح..

أمية ابن أبي الصلت: يا لخيبة الأمل.. يا لخيبة الأمل..

حسان: حسبت أنك ستشارك الناس أفراحهم في طرد الحبشة عن هذه الديار يا أمية..

أبو سفيان: دعه فإنه ما يزال يسير وراء عقم خيالاته..

أمية: إليكم عني.. إليكم عني..

(عبد المطلب وحوله أولاده يتندرون وهو صامت لا يتكلم)..

أبو طالب: ألا تشاركنا الحديث يا أبتاه؟ فقد مللنا أن نراك غارقاً في آلامك..

عبد المطلب: أو تريد أن أنسى عبد الله يا أبا طالب؟..

أبو طالب: لقد عز علينا فقده ولكن ألمنا يزيد إذ نراك سائراً في حزنك حتى ليكاد يقطعك.

عبد المطلب: لقد أصبحت شيخاً ذابت أحلامه يا بني فدعني ألهو بذكر من فقدته..

حمزة: كلا لن ندعك تعيش أبداً في حزن.. سيعوّضك الله خيراً عن عبد الله إن آمنة تكاد تضع طفلها.

عبد المطلب: ليت ذلك يتحقق فأسلو به أحزاني. (العباس يدخل مسرعاً)..

العباس: لك البشرى يا شيخ قريش.. لقد ولد لك غلام وأنه حفيدك من عبد الله..

عبد المطلب: أوضعت آمنة طفلاً؟..

العباس: نعم وإنه كأبيه عبد الله جمالاً وبهاءً..

عبد المطلب: بشرّك الله بالخير يا عباس هلمّ فننعم برؤية الصبي..

(يسيرون جميعاً إلى دار آمنة.. يحمل عبد المطلب المولود بين يديه ويقبله)..

عبد المطلب: لأسمينه محمداً.. لأسمينه محمداً.. هلمّ ننحر ونحتفل..

أبو طالب: (للعباس) أعاد الله إليه شبابه وحيويته.. إنه لغلام مبارك..

حمزة: سيكون لي أخاً ورفيقاً فأنا أصغركم سناً..

أبو طالب: وسيكون لي ولداً.. أرعى فتوته وشبابه بعد جده..

عبد المطلب: سأستأثر به دونكم ما دمت على قيد الحياة..

العباس: هو لك فأهنأ بقربه..

عبد المطلب: هلمّ بنا ننحر ونحتفل..

(في الطريق يسرع أشراف قريش نحو عبد المطلب ويهنئونه):

الوليد: هنيئاً لك بما أعقبت يا عبد المطلب..

عبد المطلب: شكراً يا ابن المغيرة..

ورقة بن نوفل: سيكون لولدك هذا شأن وأي شأن..

صوت هادر: أحذر عليه اليهود.. أحذر عليه اليهود..

(أهازيج تنطق في الفضاء)..

عبد المطلب الوليد عمرو أبو سفيان حسان أبو طالب وغيرهم في دار الندوة..

الوليد: لمن أوكلت رضاعة يتيمك يا عبد المطلب؟..

عبد المطلب: إنه عند آل سعد..

أبو سفيان: هلا تفقدته؟ فإنه يتيم إلى رعايتك..

عبد المطلب: ليس أحرص مني على لقائه يا ابن حرب ولكن آل سعد لا يسلمون بعودته فقد غمرتهم البركة بوجوده بينهم إنه يرعى غنمهم وهي تسمن وتزيد ويفيض لبنها..

أبو سفيان: أو ترضى أن يرعى ابنك الغنم؟..

عبد المطلب: إن ذلك يساعد على نموه وسنرى آثار ذلك يوم يصبح رجلاً..

الوليد: ولكنه سينشأ نشأة بدوية..

عبد المطلب: ما عليه ولو كان ذلك؟ إن حياة البداوة لا تخلو من خير فسيعود إلينا وهو على سلامة فطرية.

حمزة: أعده إلينا يا أبتاه سيكون لي رفيقاً..

عبد المطلب: سيكون لك ذلك يا حمزة وسنحميه من عبث الأولاد فإنه يجهل معاشرة أبناء المدن..

حمزة: أو تكفله يا أبتاه..

عبد المطلب: سيكفله رب البيت وأنا أرعى طفولته..

عمرو بن هشام: كنت تتحدث عن تحذير جاءك من اليهود. فما شأن اليهود مع طفل يرعى الغنم؟..

عبد المطلب: لا أدري ولكن النداء تكرر..

عمرو: إنه لحدث ووسوسة فدع هذا عنك..

عبد المطلب: قل ما شئت ولكن حذار أن تفكر بإيذائه يوماً..

عمرو: ولماذا تفترض أني سأكون من خصومه؟..

عبد المطلب: لا أدري ولكنني أتفرس في وجهك النفرة من الصبي في حين لم يمسك بسوء.. قوموا بنا يا أولادي عسى أن يصل محمد إلينا في هذا اليوم فقد أرسلت في طلبه من آل سعد..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: وحادثة الفيل يا أماه هي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (سورة الفيل: ١ ـ ٥) صدق الله العظيم..

سلمى: صدق الله العظيم.. إلى الغد إن شاء الله..

مزنة: تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٢ ـ

مزنة: أماه.. لقد حضر خالي فريد وابنته خلوب لزيارتنا..

سلمى: أهلاً وسهلاً ومرحباً بأخي وبنتي..

فريد: لقد انقطعت زياراتك هنا فجئنا نسأل عنك والحمد لله الذي رأيناك بخير..

مزنة: أنا الذي شغلتها عنكم يا خالي..

فريد: لماذا؟..

مزنة: إنها تحدثني كل ليلة عن أمجاد الجزيرة العربية وقد حضرتم في وقت الحديث.

فريد: يا لها فرصة طيبة نشترك معك في الاستمتاع بالحديث عن ماضينا المجيد.. هيا يا أختي.. هيا..

(موسيقى انتقالية)..

سلمى: وعاد النبي ﷺ من عند مرضعته حليمة السعدية وكان في الخامسة من عمره.. وفي السادسة من عمره خرجت بأمه آمنة رضي الله عنها إلى يثرب لزيارة أخوال جده عبد المطلب وفي طريق عودتها لمكة توفت ودفنت بالأبواء..

خلوب: وأين تقع الأبواء هذه يا عمتاه؟..

سلمى: الأبواء مكان يقع في منتصف الطرق بين المدينة المنورة ومكة..

مزنة: ومن كفل النبي ﷺ بعد وفاة أمه؟..

سلمى: جده عبد المطلب وكان يحبه حباً شديداً، ولكن الأجل وافى عبد المطلب بعد سنتين فكفله عمه أبو طالب حسب وصية عبد

المطلب. وكان يحبه حباً شديداً أكثر من أولاده فكان ينام رسول الله صلوات الله عليه بجنبه.. وكان يخصه بأحسن الطعام ويعزه ويكرمه ويبالغ في تبجليه..

فريد: ومتى قام النبي ﷺ بأول رحلة إلى الشام. يا أختاه؟..

سلمى: كانت قريش ترحل كل سنة رحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ ورحلة الصيف إلى الشام فيحتارون ويتجرون.. ولما بلغ رسول الله ﷺ الثانية عشرة، خرج عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة قريش وأخذ معه رسول الله ﷺ فلما بلغ من سفره (بصرى) بأرض الشام رآه بحيرا الراهب فعرفه فاستضاف قريشاً وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يكلمهم ولكنه في هذه المرة قال لهم:

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

بحيرا الراهب: يا معشر قريش إني قد صنعت لكم طعاماً وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم..

سلمى: وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم. فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير تلك الصفة قال:

بحيرا الراهب: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي..

سلمى: وحضر النبي ﷺ فلما رآه بحيرا جعل يلحظه كثيراً وسأله عن أشياء وسأل عمه أبا طالب عن أشياء أخرى وبعد ذلك همس بحيرا في أذن أبي طالب قائلاً:

بحيرا: أرجع بابن أخيك إلى بلده، وأحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت فسيناله منهم شر عظيم..

سلمى: فرده أبو طالب إلى مكة وازدادت شفقته به واشتد تحفظه عليه..

وحضر رسول الله ﷺ مع عمه حرب الفجار..

مزنة: وما هي حرب الفجار يا أماه؟.

سلمى: سميت حرب الفجار لوقوعها في الشهر الحرام حيث كانت تحترم الشهور الحرم احتراماً دينياً، حتى أن الرجل إذا رأى قاتل أبيه أو ابنه في الأشهر الحرم لم يتعرضه بسوء..

خلوب: وما هي هذه الأشهر الحرم يا عمتاه؟..

سلمى: هي.. رجب، وذو القعدة وذو الحجة ومحرم..

فريد: وما هو حلف الفضول يا أختاه؟..

سلمى: هو الأخذ للضعيف من القوي، والغريب من القاطن وسببه أن يمنياً قدم إلى مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وأمتنع من دفع قيمتها له فأستجار ببعض عشائر من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل فصعد اليمني على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح بأعلى صوته طالباً الإنصاف ممن ظلمه فاستجاب له بنو هاشم وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التميمي لشرفه وكبر سنه وتحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها. أي ما يؤخذ ظلماً، وأن لا يقروا ظالماً على ظلمه «مابل بحر صوفه» ومارسا حراء وثبير في مكانيهما.. ثم مشى المجتمعون إلى العاص بن وائل وأنتزعوا منه سلعة اليمني ودفعوها إليه فسمي حلف الفضول..

فريد: ما أحسنه وأعدله..

سلمى: وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ.. وروى عنه أنه قال: ما

أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم ولو دعى به الإسلام لأجبت!..

مزنة: هل سافر النبي ﷺ إلى الشام مرة ثانية؟..

سلمى: سافر إلى الشام وهو في الخامسة والعشرين من عمره وفي تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ربحت ربحاً وفيراً. وبعد هذه الرحلة بشهرين تزوج ﷺ من خديجة بنت خويلد.. وكان كل أولاده ﷺ منها إلا ولده إبراهيم فقد كان من مارية القبطية.

مزنة: حدثيني عن حياة النبي ﷺ قبل البعثة النبوية..

سلمى: شب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه من أقذار الجاهلية، ليهيئه لما يريده له من الكرامة والرسالة حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأصدقهم حديثاً وأوفاهم أمانة فما رؤي ممارياً ولا ملاحيا أحداً حتى سماه قومه بالأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة والخصال الحميدة والأفعال السديدة..

مزنة: ما أروع ما تقولين يا أماه..

سلمى: وفي الحادثة الآتية ما يدل على تسمية قريش له ﷺ بالأمين..

(نقلة موسيقية انتقالية)..

عتبة بن ربيعة: نحن بني عبد مناف أحق منكم بوضع الحجر الأسود الذي أقتلعته السيول من جوار الكعبة..

زمعة المخزومي: لا يا عتبة بل نحن بني مخزوم أدعى منكم بهذا الشرف.. وسنقاتل دون ذلك..

أبو أمية ابن المغيرة: يا بني عبد مناف يا بني مخزوم بل يا معشر قريش.. استمعوا إلى رأي..

أصوات: قل وأوجز.. قل وأوجز..

أبو أمية بن المغيرة: اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم..

أصوات: موافقون.. موافقون على رأيك يا أبا أمية بن المغيرة..

أبو أمية بن المغيرة: راقبوا أول من يدخل إلى المسجد..

أصوات: هاهو الأمين يدخل.. رضينا.. هذا محمد..

(نقلة صوتية)..

سلمى ومن معها: ﷺ..

سلمى: وأخبروه ﷺ بالخبر فوضع إزاره وبسطه على الأرض فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم أرفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا بالحجر موضعه وضعه ﷺ في محله بيده الشريفة..

فريد: إنها فكرة عظيمة ألهمها الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ لكي يحقن دماء قومه وليهيء أذهان قريش إلى هذه الشخصية التي ستحمل رسالة ربها وتود بها خير الأداء.

سلمى: ولما بلغ رسول الله ﷺ الأربعين سنة من عمره وفي السابع عشر من شهر رمضان المبارك بعثه الله تعالى للناس بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين لينقذهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم.. وبدأ ﷺ بالدعوة سراً فأول من آمن به من الرجال ابو بكر الصديق ومن الفتيان علي بن أبي طالب ومن النساء خديجة بنت خويلد ومن الموالي زيد بن حارثة وهنالك نقطة يجب أن أوضحها..

فريد: ما هي يا أختاه؟..

سلمى: يزعم بعض المؤرخين أن الذين دخلوا في الإسلام في أول عهده كانوا من الضعفاء والأحداث والموالي.. ولكن ذلك غير صحيح في إطلاقه.. فالصحيح أنه كان بين السابقين إلى الإسلام من أشراف قريش وسادتهم ومن أبنائهم ومن حلفائهم ومواليهم وليسوا كلهم من الضعفاء والأحداث والموالي..

فريد: شكراً يا أختي على هذا التصحيح فأبو بكر وعثمان وعلي والزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله وخالد بن سعيد بن العاص، وابو عبيدة عامر الجراح وأولاد بن مظعون وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب والمقداد بن الأسود وزيد بن الخطاب أخ عمر بن الخطاب وأبو ذر القفاري وحمزة عم النبي ﷺ وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم كلهم من أشراف قريش وسادتها..

سلمى: وقد دخلوا الإسلام جماعات أفراداً بغير إكراه وإجبار وأوذوا في سبيل عقيدتهم ولم يزدهم ذلك إلا ثباتاً على دينهم وتمكيناً في إيمانهم..

مزنة: إلى متى ظلت الدعوة إلى الإسلام سراً يا أماه..

سلمى: ظلت أربع سنوات حتى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يصدع بأمره وذلك بقوله تعالى.. ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤) ثم أمره بإنذار عشيرته الأقربين بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ . وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥)..

ولما جهر ﷺ بدعوته وعاب على قريش آلهتهم وبين لهم أنها لا تضر ولا تنفع كما سفه عقولهم لعبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ولا يغني عنهم من الله شيئاً..

مزنة: وماذا صنعت قريش إزاء ذلك يا أماه؟..

سلمى: راجعوه ليكف عن تسفيه آلهتهم فتلا عليهم من القرآن الكريم ما أفجعهم وأسكتهم ثم راجعوا عمه أبا طالب في شأنه فردهم رداً جميلاً. ولما استفحل أمر الدعوة وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.. اجتمع وجوه قريش وذهبوا إلى منزل أبي طالب وقالوا له..

أحدهم: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وأنا قد استثنياك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبانا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا. أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

سلمى: ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه له وعداوتهم ولم يطب نفساً بأن يخذل بابن أخيه أو يسلمه إليهم فدعاه إليه وقال له.

أبو طالب: يا ابن أخي إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق..

سلمى: وظن الرسول ﷺ أنه قد بدأ لعمه ظن فيه وأنه خاذله أو مسلمه. وإنه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال:

(يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته)..

خلوب: وماذا كان موقف أبي طالب بعد هذه الإجابة العظيمة يا عمتاه؟..

سلمى: قال:

أبو طالب: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك شيء أبداً..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: انتهينا من حديثنا الليلة فإلى الغد إن شاء الله..

فريد: ما أعذب وأروع ما تقولين يا أختاه وودت لو أن داري قريبة منك لكنت أول الحاضرين للاستماع شكراً يا أختي على هذا التقريظ.. تصبحين على خير..

سلمى: تصبحين على خير.. مع السلامة..

مزنة: مع السلامة يا خالي.. مع السلامة خلوب..

الحلقة ـ ٢٣ ـ

مزنة: لقد كان حديثك يا أماه أمس في منتهى الروعة..

سلمى: إن الحديث عنه ﷺ يبعث في النفس الشعور بالفخر والاعتزاز والبهجة والانشراح..

مزنة: هات.. حديثنا عن الرسول ﷺ..

سلمى: ولما علمت قريش أن أبا طالب غير خاذل ابن أخيه ولما عجزوا عن محادة النبي ﷺ ولم يجدوا لديهم من الحجج ما يردوا به دعوته إلى الإسلام بعد أن أفحمهم بحجج القرآن القاطعة. وبراهينه الساطعة، أجمعوا على إيذائه كفراً وحسداً وعناداً فاجتمع نفر منهم في حي من أحياء مكة للمداولة في أمر محمد ﷺ..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

الوليد: يا معشر قريش ستقدم العرب في هذا الموسم وقد سمعوا بأمر محمد فأجمعوا فيه رأياً واحداً فلا يكذب بعضكم بعضاً..

أبو لهب: نقول إنه كاهن يا أبا خالد..

الوليد: لا واللات ما هو بالكاهن يا أبا لهب.. لقد رأينا الكهان وسمعنا أقوالهم..

وقد أجمع الناس على أن ما يقوله محمد ليس بزمزمة الكاهن وسجعه..

أبو لهب: نقول إنه للمجنون..

اوليد: ما هو بمجنون فما قال أحد أنه تخالجه وسوسة..

أبو لهب: نقول إنه شاعر..

الوليد: وما هو بشاعر أيضاً.. (فقد عرفنا الشعر كله رجزه وقريضه. وما يقوله ليس بشيء من ذلك)..

أبو لهب: لقد أعجزتنا يا أبا عبد الشمس..

الوليد: إن أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر، يفرق بين المرء وأبيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته..

أبو سفيان: أو ينزل الوحي على محمد وأترك أنا كبير قريش وسيدها ويترك عمر سيد ثقيف؟..

أبو جهل: أو تصدق يا أبا حرب أن أو وحياً ينزل على أحد؟ وما محمد من العرب حتى يختصه الله بوحيه أرجع إلى عقلك يا أبا سفيان..

أبو سفيان: مهلاً يا أبا جهل.. فما أعرف نفسي والله أكثر هدوءاً مما أنا عليه ولو أن عمه أبا طالب قد أسلمه إلينا لأراحنا وأراح نفسه من مسؤولية حمايته لمحمد..

أبو جهل: لقد بلغني أن عقبة قد جالسه وسمع منه فماذا تقول فيه يا عقبة؟..

عقبة: ما سمعته يقول إلا عذباً تستسيغه النفوس وتهوى إليه الأفئدة..

أبو جهل: أنتركه يعيب في آلهتنا كما يريد؟

أبو سفيان: ها هو عمه حمزة آت نحونا فكلموه يكف عنا أذى ابن أخيه..

(يصل حمزه)..

حمزه: قيل لي إنك تتآمر على ابن أخي فبماذا تحقد عليه يا أبا الحكم؟..

أبو جهل: وماذا يعنيك من أمره يا حمزة؟.

حمزة: إنه ابن أخي وأنا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك علي إن استطعت..

عقبة: عليكم به فإنه يتحدانا جميعاً..

حمزة: هو ما تقول يا عقبة.. فمن كان منكم يشعر بالقوة والجرأة فليتقدم..

أبو جهل: دعوا أبا عمارة فلا نريد أن يقوم بيننا وبينه قتال وليذهب منا من يفاوض محمداً..

عقبة: ليس لها إلا الوليد بن المغيرة فهو سيد بني مخزوم وهو مهاب في قريش..

أبو لهب: أنت لها يا أبا عبد شمس..

سلمى: وفي دار الندوة اجتمع وجوه قريش ينظرون عودة الوليد بن المغيرة وأبو سفيان يقول:

أبو سفيان: يا معشر قريش.. عندي رأي في أمر هذا الرجل الذي يسفه آلهتنا..

أبو جهل: وما هو أبا سفيان..

أبو سفيان: نبعث إلى أحبار اليهود فنسألهم فإنهم أهل كتاب وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء..

أصوات: أتاكم الوليد فانتظروه حتى نسمع منه ما كان من أمره مع محمد..

أبو جهل: ما وراءك يا ابن المغيرة؟..

الوليد: ورائي إني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، يا معشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه..

أبو جهل: سحرك واللات.. بلسانه.. ماذا تقول يا عتبة.

عتبة: أقول لقد نزل بكم أمر لا تجدون فيه حيلة.. لقد عرفنا محمداً أصدق الناس حديثاً وأكرمهم خلقاً وأعظمهم أمانة حتى إذا جاءكم به قلتم كاذب وساحر ومجنون..

النضر: وبماذا جاءنا محمد.. إنه ليس بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين..

أبو جهل: صدق النضر.. وإنه لفي الصدر من قريش مقاماً وأرفعهم حسباً..

أبو سفيان: آن لنا أن نستقر على رأي..

أبو جهل: الرأي يا أبا سفيان أن أجلس إليه غداً بحجر أطلقه على رأسه وهو ساجد ولكم أن تسلموني بعدها أو تمنعوني من آل عبد مناف..

أبو سفيان: والله لا نسلمك إليهم فامض لما تريد..

عتبة: ولماذا لا نكلف عمر بن الخطاب بقتل محمد فهو خير من يقوم بهذه المهمة يا أبا جهل..

أبو جهل: ولا سيما إذا ما عرف أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد صبآ..

سلمى: وقد كفاهم نعيم بن عبد الله القرشي العدوي مؤونة أخبار عمر بإسلام أخته وزوجها فذهب عمر إلى دار أخته وكانوا جلوساً يعلمها خباب بن الإرث القرآن من صحيفة في يده.. فلما قرع عمر الباب وعرف أنه ابن الخطاب اختفى خباب وقامت فاطمة ففتحت الباب..

(نقلة صوتية)..

عمر: يا عدوة نفسها قد بلغني أنك قد صبأت أنت وزوجك سعيد..

(ثم يضرب به ويجلس على صدره فتصرخ فاطمة قائلة):

فاطمة: أتضرب به يا عمر ويحك..

عمر: وآخر بك أنت.. خذي..

(ويسمع صوت ضربها ووقعها على الأرض وصوتها تقول وهي تبكي)..

فاطمة: أتضربني يا عدو الله لأني أوحد الله.. لقد أسلمت على رغم أنفك يا بن الخطاب فما كنت فاعلاً فافعل..

سعيد: امسحي الدم الذي يسيل من وجهك بغزارة يا فاطمة..

فاطمة: في سبيل الله دمي وروحي يا سعيد..

عمر: (وقد هدأ حين رأى دم أخته يسيل بغزارة يقول):

ما هذا الكتاب الذي كنتما تقرأن فيه.. أعطنيه.. أنظره..

فاطمة: إنه كتاب الله لا يمسه إلا المطهرون..

عمر: حسناً..

فاطمة: الآن خد وأقرأ..

عمر: يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿طه . مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ . تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى . ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ . لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ . وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى . ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (طه: ٢ ـ ٨)..

كلام جميل يا فاطمة.. سامحيني.. وما أقول كي أصير مثلكما..

فاطمة: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

عمر: اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

(يخرج خباب بن الإرث من مخبأه فيقول له عمر):

أين كنت يا خباب..

خباب: اختبأت خوفاً منك..

عمر: لقد أصبحت مسلماً مثلك وأدافع عنك كما أدافع عن نفسي.. دلني أين رسول الله؟..

خباب: أبشر يا عمر فإن دعوة رسول الله قد استجابت..

عمر: وماذا قال رسول الله؟..

خباب: قال: اللَّهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هاشم.. إن رسول الله يقيم في دار الأرقم..

(يسمع قرع على الباب وصوت عمر يقول):

عمر: افتحوا أنا عمر بن الخطاب.

حمزة: افتحوا له إن يرد الله خيراً يسلم وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً..

عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله..

(أصوات تكبير وتهليل سمعها أهل المسجد)...

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: الحمد لله الذي أعز الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه..

سلمى: الحمد لله.. الحمد لله.. والآن دنا موعد النوم فإلى الغد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٤ ـ

سلمى: وكان رسول الله ﷺ عندما اشتد إيذاء كفار قريش لأصحابه وقبل إسلام عمر رضي الله عنه قد أذن لمن يريد من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر حوالي خمسة عشر شخصاً بين رجل وأنثى..

مزنة: وماذا وقع لهم في أرض الحبشة؟..

سلمى: أكرمهم نجاشي الحبشة وأحسن وفادتهم وبقوا لديه ثلاثة شهور ثم عادوا إلى مكة عندما سمعوا بتحسن أحوال المسلمين فيها..

مزنة: ولا بد أنهم استقبلوا استقبالاً حافلاً من قبل إخوانهم المسلمين في مكة..

سلمى: أي استقبال يا بنيتي.. لقد عادوا في أحرج وقت كانت تمر به الدعوة الإسلامية..

مزنة: كيف يا أماه؟ كيف؟..

سلمى: لما رأت قريش من عزة النبي ﷺ بمن معه وإسلام عمر بن الخطاب.. وفشوا الإسلام بين القبائل اجتمعت قريش على قتل النبي ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أرادوا قتله..

مزنة: وماذا فعلت قريش كرد فعل على هذا الإجراء؟..

سلمى: اجتمع كفار قريش وقرروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب في كل شيء وعدم مصالحتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ لهم ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة.. وقد تضرر المسلمون كثيراً بهذه المقاطعة واشتد البلاء على من آمن من المستضعفين ومن رجال القبائل الأخرى فأذن النبي ﷺ بالهجرة ثانية إلى الحبشة فهاجروا وكان عددهم كبيراً في هذه المرة وقد قوبلوا بكل حفاوة وإكرام من نجاشي الحبشة..

مزنة: هل كان نجاشي الحبشة مسلماً؟..

سلمى: يقال يا بنيتي إنه أسلم وإن النبي ﷺ عندما بلغه فيما بعد وفاة النجاشي خرج إلى المصلى فكبر أربع تكبيرات وقال استغفروا لأخيكم..

مزنة: تابعي يا أماه حديثك..

سلمى: فلما رأى كفار قريش المسلمون قد آمنوا واطمأنوا على دينهم وأنفسهم في الحبشة أرسلوا إلى النجاشي رسلاً يطلبون تسليم المسلمين إليهم وإعادتهم إلى بلادهم..

(موسيقى انتقالية)..

(في الحبشة النجاشي وحوله البطارقة)..

الحاجب: لقد جاء من مكة رسولان،،

النجاشي: أدخلهما..

(يدخل عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص)..

عبد الله: جئناك بهدية قريش أيها الملك..

النجاشي: ما اسمك يا فتى؟..

عبد الله: عبد الله ابن أبي ربيعة وهذا رفيقي عمرو بن العاص..

النجاشي: بماذا أرسلتكم قريش؟؟

عبد الله: لقد آوى إلى بلدك سفهاء من قومنا فارقوا دين آبائهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه وقد بعثنا إليك أشراف مكة لتردهم عليهم..

أحد البطارقة: حقاً أيها الملك قومهم أعلم بما عابوا عابهم فأسلمهم ينظروا في أمرهم..

النجاشي لن أسلمهم حتى أدعوهم فأسمع منهم ثم أنظر في أمرهم.. علي بهم..

(يخرج قائد الحرس ويعود ومعه المهاجرون وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب)..

النجاشي: تقدموا يا أصحاب محمد.. ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من أصحاب الملل..

جعفر: أنا ابن عم النبي صاحب الدعوة واسمي جعفر بن أبي طالب فهل تأذن لي بأن أتكلم..

النجاشي: قل فأنت آمن يا جعفر..

جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته فدعانا إلى الله نوحده ونخلع ما كنا نعبده من دونه الحجارة والأوثان..

النجاشي: ليس في هذا ما يعيبكم ما دمتم لم تمسوا غيركم بضر..

جعفر: ولكن قومنا عدوا علينا ليردونا عما آمنا به فلما ضيقوا علينا أمرنا الرسول بالهجرة إلى بلادك وقال إن فيها ملكاً يعدل في قومه وقد جئناك نرجو أن لا نكلم عندك ايها الملك..

النجاشي: ليس في موقف هؤلاء المهاجرين ما يدعوا إلى تسليمهم فعد يا عبد الله مع رفيقك فلا والله لا أسلمتهم أبداً..

عمرو: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً..

النجاشي: وماذا يقولون يا ابن العاص؟..

عمرو: سلهم أيها الملك فهم بذلك أعظم؟..

النجاشي: ماذا تقولون في عيسى يا أصحاب محمد؟..

جعفر: نقول الذي جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم..

النجاشي: إنه والله لقول حق.. أنتم آمنون عندي..

سلمى: وعاد رسولا قريش مدحورين مذمومين بعد أن رد النجاشي عليهما هداياهما وأقام الصحابة عنده بخير دار وعلى أحسن جوار..

مزنة: أماه.. هل توقفت الدعوة لدين الله أثناء هذه المقاطعة..

سلمى: على الرغم مما كان يقوم به صناديد قريش من معاكسة ومقاومة وتحدٍ للنبي ولدعوته. فقد كانت الوفود ترد إلى مكة وتبحث عن النبي ﷺ. فمثلاً وفد نصارى نجران اجتمعوا به أثناء هذه المقاطعة وكلموه وكلمهم فاستجابوا له وآمنوا به. وعندما قاموا من عنده ﷺ اعترضهم أبو جهل وقال لهم:

أبو جهل: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال، لا نعلم ركباً أحمق منكم..

مزنة: وهل سكت وفد نجران على هذه الإساءة يا أماه؟..

سلمى: لا.. بل رد عليه واحد منهم قائلاً..

أحد وفد نجران: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه..

سلمى: وهنا نزل ﷺ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ . أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٢ ـ ٥٥) صدق الله العظيم..

مزنة: كم استدامت مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب؟..

سلمى: استمرت المقاطعة ثلاثة سنين حتى قيض الله تعالى من يسعى لهم في نقض صحيفة المقاطعة من أعدائهم مدفوعين بنوازع القربى والوشائج التي كانت تربطهم ببني هاشم وبني عبد المطلب وهكذا قام أحد هؤلاء واسمه المطعم بن عدي ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا كلمة باسم اللَّهم وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله.

مزنة: وماذا تم بعد نقض الصحيفة؟..

سلمى: عاد بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى منازلهم وصاروا في تجارتهم ومعاييشهم كما كانوا قبل كتابة الصحيفة وكان الله قد هيأ نقض الصحيفة ليعطي نبيه القوة والجد على تحمل مصابين كانا من أعظم ما واجه في رسالته ﷺ..

مزنة: وما هما يا أماه؟..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: ستعرفين ذلك في الغد إن شاء الله..

مزنة: إلى الغد إن شاء الله.. تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٥ ـ

مزنة: هيا يا أماه هيا.. فقد تأخرت عن موعد الحديث كثيراً..

سلمى: حاضر.. حاضر..

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

خباب: مات أبو طالب.. إنا لله وأنا إليه راجعون.. لقد فقد محمد بموته ركناً شديداً..

سالم: ولكن الله معنا وهو مؤيد دينه وناصره.. أتذكر يا خباب أيام كنت تعذب بالنار إذ كانوا يضعونها على ظهرك فما يطفيها إلا شحم ظهرك..

خباب: أذكر ولا أنسى فما زالت آثار النار في ظهري.. ولذلك تراني أخاف أن يتنمر القرشيون علينا بعد موت أبي طالب..

سالم: على كل حال لم يكن ما نالك من العذاب من المشركين مثلما نال عمار بن ياسر ووالده ياسر وأمه سمية وأخوه عبد الله فقد ماتوا من شدة العذاب لقد كان أبو جهل يلبس عمار درعاً من حديد في اليوم الصائف الشديد الحر ويطرحه في الرمضاء..

خباب: ولكنهم ظفروا بدعاء النبي ﷺ لهم حين مر بهم وهم يتعذبون فقال: صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة..

مزنة: يا للفظاعة.. يا للوحشية..

سلمى: لقد لقي بلال رضي الله عنه من أمية بن خلف من العذاب أشده إذ كان يخرجه أمية إذا حميت الشمس بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء ثم يأمر بصخرة كبيرة توضع على صدره ثم يقول له:

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

أمية بن خلف: لا تزال هكذا يا بلال حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى..

بلال: أحد.. أحد..

أمية: أضربوه بالسياط أيها الغلمان ثم اربطوه بالحبل وطوفوا به شباب مكة ليرتدع به كل من تسول له نفسه أن يدخل في دين محمد..

(نسمع صوت السياط وبلال رضي الله عنه يقول):

بلال: أحد.. أحد..

سلمى: هذا بعض ما كان يصنعه المشركون من تعذيب الموالي والمستضعفين من المسلمين ليكرهوهم على الخروج من دين الإسلام.. فلو كان دين الإسلام باطلاً لما ثبت هؤلاء على دينهم رغم ما نالوه من العذاب..

مزنة: صحيح.. صحيح.. لقد أقشعر بدني من هول العذاب الذي تعرض له المسلمون.. قولي يا أماه.. كيف نجا بلال رضي الله عنه من هذا العذاب..

سلمى: لقد بادل أبو بكر رضي الله عنه به غلاماً مشركاً فقبله أمية بديلاً وأخذ أبو بكر بلالاً وأعتقه..

مزنة: لله ما فعل الصديق..

سلمى: لقد أنفق ابو بكر كل ما له في شراء الموالي المسلمين لتخليصهم من عذاب المشركين وعتقهم بعد ذلك..

مزنة: لا شك أن كفار قريش كانوا يكرهون أبا بكر رضي الله عنه كثيراً..

سلمى: نعم يا بنيتي.. بل إن أبا بكر رضي الله عنه لم يسلم من أذاهم..

مزنة: وكيف كان ذلك؟..

سلمى: خرج أبو بكر مع رسول الله ﷺ وأصحابه من دار الأرقم حتى أتو المسجد، فقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ودعا إلى الله تعالى ورسوله فكان أول خطيب في الإسلام دعا إلى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوه ضرباً شديداً ووطىء أبو بكر بالأرجل وصار عتبة

بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين على وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه ولم يخلصه منهم إلا قومه بنو تميم إذ تدخلوا ودفعوا المشركين عنه وعن بقية المسلمين وتوعدوا بقتل عتبة بن ربيعة إن مات أبو بكر..

مزنة: لقد فظع كفار قريش في تعذيبهم للمسلمين تباً لهم..

سلمى: وبهذه المناسبة يهمني أن تعرفي أن أبا بكر رضي الله عنه عندما استرجع وعيه كان أول شيء قاله: ما فعل رسول الله.. ما فعل رسول الله وصار يكرر ذلك حتى طمأنوه ولم يقتنع بذلك بل حينما شعر أن باستطاعته المشي ذهب إلى دار الأرقم متوكئاً على أمه حيث دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكب عليه ليقبله وأكب عليه المسلمون وأبو بكر يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لي من بأس إلا ما نال الفأس من وجهي ولم يهدأ أبا بكر مما هو فيه حتى رأى رسول الله ﷺ في خير حال..

مزنة: حدثيني يا أماه.. متعيني وأنيري طريقي بهذه المناقب والمثل العليا..

سلمى: وفرح كفار قريش بموت أبي طالب وكان أشدهم سروراً أبو جهل لعنه الله الذي وجد الفرصة مؤاتية بعد اليوم لإيذاء رسول الله ﷺ ومناهضة عقيدته ومحاربتها حرباً لا هوادة فيه..

مزنة: قاتله الله وأخزاه..

سلمى: وقد اجتمع أبو جهل بعد وفاة أبي طالب بنفر من أمثاله من كفار قريش في أحد أوكار مكة ودار بينهم الحديث التالي:

(نقلة موسيقية صوتية)..

أبو جهل: لقد جمعتكم هنا عند نسطاس الرومي لنحتفل بوفاة أبي طالب فقد تخلصنا من قلعة حصينة كان يحتمي محمد وراءها..

عتبة: لقد وقف بجانب محمداً موقفاً حازماً صلباً أفسد علينا كثيراً من خططنا ومحاولاتنا للقضاء على محمد.

النضر: وها هو الجو يصفو لكم فماذا أنتم فاعلون.. إن دعوة محمد تسري في الناس كما تسري النار في الهشيم يا عتبة..

عتبة: هذا صحيح يا نضير ولكن الفرصة لم تفلت من يدنا بعد إننا نستطيع مقاومة محمد في مكة بل أجزم إننا قادرون على الفتك بأتباعه والقيام بمجزرة ما روى تاريخ الجزيرة مثلها يا نضر..

أبو جهل: قد نستطيع التخلص من الموالي والمستضعفين المسلمين ولكن الذين صبأوا بين أشراف مكة أكثر من أولئك..

عتبة: إذا ما العمل يا أبا جهل؟..

أبو جهل: أرى أن تضع رقابة شديدة على أتباع محمد ونمنع اتصالاتهم بالوافدين على مكة للتجارة والحجيج.. فإن أخشى ما أخشاه أن تجد دعوة محمد قبولاً لدى هؤلاء وعندها يفلت زمام الأمور من يدنا تماماً..

عتبة: ما رأيك في أن توحد جهودك مع أبي لهب فإن قرباه من محمد سلاح ماض في يدنا..

أبو جهل: كيف يكون ذلك..

عتبه: ستقوم أنت وأبو لهب بمراقبة اتصالات محمد.. فكلما رأيتماه ينفث عدم دعوته في أحد قمتما بدحض ما يقول..

وعندما يرى هؤلاء أن أبا لهب عم محمد ضد ابن أخيه لا شك أنهم سيترددون في قبول ما يقوله محمد..

النضر: رأي سديد.. أما من في مكة من اتباع محمد فسيكونون تحت رقابتنا الشديدة.. ومن السهولة القيام بهذه المهمة بعد أن أراحنا موت أبي طالب..

أبو جهل: إنني على استعداد للتعاون مع أبي لهب.. وستشهد الأيام القادمة سلطان اللات والعزى..

النضر: نسيتم أيها الرفاق في غمرة نشوتكم وفرحتكم بموت أبي طالب عدواً لدوداً لكم لا يقل بأساً ومنعة عن أبي طالب..

عتبة: ومن هو يا نضر؟..

النضر: إنه خديجة بنت خويلد.. إنها بما لها وتجارتها تتحكم في كثير من أهل مكة.. وغيرهم في البلدان المجاورة..

أبو جميل: إن خديجة مريضة جداً.. لعلّه مرض الموت يا نضر إن عندي جائزة كبيرة لمن يبشرني بوفاتها..

أبو جهل: لا أكرهها شخصياً ولكن أكره حمايتها ومساندتها لمحمد..

نسطاس: لا تشمتوا في موت أو مرض.. فكلنا معرضون للموت والمرض..

أبو جهل: حتى أنت يا نسطاس سحرك محمد..

نسطاس: إنني نصراني.. باقٍ على ديني.. ولكني أربأ برجال مثلكم من سراة قريش وسادتها أن ينتظروا موت زيد أو مرض عمر للوصول إلى أهدافهم..

أبو جهل: إنك لقنتني يا نسطاس درساً سأحمده لك..

(يسمع هرج ومرج في الخارج)..

عتبة: ما هذه الأصوات التي نسمعها في الخارج يا نسطاس ولا تكاد تميزها.. أنظرها وقل لنا..

(يخرج نسطاس ليعود حالاً وهو يقول)..

نسطاس: لقد نلت مبتغاك يا أبا جهل.. ماتت خديجة..

(أصوات من الخارج.. ماتت خديجة.. ماتت خديجة)..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: رحمها الله.. رحمها الله..

سلمى: وهكذا حُمَّ القضاء وفجع رسول الله ﷺ في أعز إنسانة لديه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها..

مزنة: وكيف صار حال النبي ﷺ بعد وفاتها؟..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٦ ـ

مزنة: وماذا آل إليه أمر النبي ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها..

سلمى: كانت خديجة رضي الله عنها وزير صدق النبي ﷺ، آمنت به قبل كل أحد، وعطفت عليه بكليتها وجزئيتها، وواسته بمالها ودافعت عنه بما تستطيع من قوة وجاه.. فكان لا يسمع رسول الله ﷺ من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه أو تكذيب له إلاّ فرج الله بها عنه

فتثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهوّن عليه ما يلقى من قومه..

مزنة: لا شك أن حزن النبي ﷺ على وفاتها كان عظيماً..

سلمى: لقد داراها بيده الشريفة في قبرها وحزن عليها حزناً شديداً، حتى سمي العام الذي توفيت فيه عام الحزن.. وما كانت تخرج من ذاكرته ﷺ مدة حياته..

مزنة: وهكذا كانت فرحة كفار قريش بموتها ـ وعلى رأسهم أبو جهل ـ كبيرة جداً..

سلمى: نعم يا بنتي.. لقد كانت خديجة رضي الله عنها وزير صدق، وكان أبو طالب عضداً للنبي ﷺ وناصراً على قومه، وبموتها خلا الجو لكفار قريش فنالوا من أذى الرسول ما لم يكونوا يطمعون فيه في حياة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها فتجرأ عليه سفهاؤهم ونثر أحدهم التراب على رأسه ﷺ..

مزنة: تباً لهم وسحقاً.. تابعي حديثك يا أماه..

سلمى: ورأى الرسول ﷺ إنه لا بد له من عضد يؤازره ويدفع عنه أذى قومه حتى يؤدي رسالة ربه فذهب إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من ثقيف والمنعة بهم من قومه فردوا عليه رداً قبيحاً، ولم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به..

أصوات: مجنون.. ساحر.. كذاب.. مجنون.. ساحر.. كذاب.. احصبوه.. احصبوه..

أحدهم: ويحكم.. كفوا عنه.. لقد أدميتم قدميه.. وبللتم نعلاه بالدماء.. إنه قرشي وستطالبكم بدمه قريش. رغم ما بينها وبينه من عداء، أما

تخشون من عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة إنهما ينظران إليكم وما أظنهما يقفان مكتوفي الأيدي..

مزنة: ويحهم.. قبحهم الله ولعنهم..

سلمى: ورجع سفهاء ثقيف عنه ﷺ بعد ما رأوه يلتجىء إلى حائط بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وكانا موجودين فيه وقت الحادث فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له (عداس) وقال له عتبة:

عتبة: خذ قطفاً من عنب فضعه في هذا الطبق ثم أذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه..

سلمى: ففعل (عداس) ما أمر به ولما عاد من مهمته قال له شيبة..

شيبة: ويلك يا عداس.. لقد رأيناك تقبل رأس هذا الرجل ويديه، فما الذي جرى لك؟..

عداس: يا سيدي.. ما في الأرض شيء خير من هذا.. لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلاّ نبي..

عتبة: ويحك يا عداس.. لا يصرفنك هذا الرجل عن دينك، فإن دينك خير من دينه..

سلمى: ورجع ﷺ إلى مكة.. وقبل أن يدخلها أرسل إلى المطعم بن عدي، وكان أكبر الأشراف سناً وقدراً، أن يدخل في جواره..

مزنة: ولماذا يا أماه؟..

سلمى: لكي يمنعوه من أذى قريش.. أما قلت لي قبلاً أن موت أبي طالب كان مصيبة عظيمة..

مزنة: نعم يا أماه.. نعم.. وهل أجابه المطعم بن عدي..

سلمى: نعم أجابه إلى ذلك ثم تسلح هو وأهل بيته وخرجوا إلى المسجد فقام المطعم على راحلته ونادى:

(نقلة صوتية)..

المطعم: يا معشر قريش.. إني قد أجرت محمداً فلا يؤذيه أحد منكم..

سلمى: ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن أدخل، فدخل إلى المسجد وطاف بالبيت وصلّى عنده ثم انصرف والمطعم بن عدي وجماعته مطيفون به ﷺ.. وبدأ رسول الله يعرض نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم إلى الله تعالى ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يقوموا دونه حتى يؤدي رسالة ربه..

وكان أبو لهب يمشي خلفه فإذا فرغ رسول الله من قوله قال أبو لهب:

أبو لهب: يا قوم!.. إن هذا يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى.. وتعبدوا ما جاء من البدع والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه..

مزنة: إذن نفذ أبو جهل اتفاقه هو وأبو لهب..

سلمى: نعم يا بنيتي.. كانا يتناوبان إيذاء رسول الله وتسفيهه أمام القبائل وهذا ما دعاهم إلى عدم الاستجابة إلى دعوته ﷺ..

مزنة: قبحهما الله ولعنهما شر لعنة..

سلمى: فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز وعده لرسوله رغم أنف كل معاند وباغ وحاسد ـ حضر وفد من الأوس من سكان يثرب يستعينون بقريش ليساعدوهم في قتالهم مع بني عمهم الخزرج..

مزنة: وهل أعانتهم قريش يا أماه؟..

سلمى: لا يا بنيتي.. ولكن النبي ﷺ لقي هذا الوفد وقال لهم هل لكم في

خير مما جئتم له؟ فقالوا وما ذاك قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم شيئاً من القرآن الكريم.. فقال أحد أعضاء الوفد واسمه أياس بن معاذ؟..

أياس: يا قوم هذا والله خير مما جئتم له..

سلمى: فرماه رئيس الوفد بحفنة من حصباء في وجهه وقال له:

رئيس الوفد: دعنا منك.. لقد جئنا لغير هذا..

سلمى: وقام الرسول عنهم وعاد الوفد إلى المدينة وجرت بينهم حرب شديدة انتصر فيها الأوس نصراً مؤزراً أنهى ما بين القبيلتين من حروب امتدت وقتاً غير قصير.. وفي الموسم الذي تلا هذه الحروب أقبل إلى مكة جماعة من الخزرج فلقيهم الرسول ودعاهم إلى الإسلام وكان في أنفسهم شيء مما كانوا يسمعونه وهم في المدينة من يهودها عن بعثة نبي يستظهر به اليهود عليهم.. فقال بعضهم لبعض إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه..

مزنة: وماذا حدث قولي إني جداً متلهفة..

سلمى: لقد استجابوا إلى دعوته ﷺ فصدقوه وآمنوا به وقالوا له: (إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك وعليك فلا رجل أعز منك وكان عددهم ستة.. فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم للإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكره..

مزنة: وما جرى بعد ذلك؟..

سلمى: جاء في موسم حج السنة التالية اثنا عشر شخصاً منهم وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ وسميت هذه البيعة في التاريخ ببيعة النساء..

مزنة: لماذا يا أماه؟..

سلمى: سميت بذلك لأنها كانت على الأمور التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء وهي هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).. صدق الله العظيم..

مزنة: صدق الله العظيم..

سلمى: وأرسل النبي ﷺ مع الوفد مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ـ وعاد الوفد إلى المدينة فلم يبق فيها رجل أو امرأة إلاّ مسلماً أو مسلمة إلا فيما نذر..

مزنة: ألم يعلم كفار قريش بهذه اللقاءات بين النبي ﷺ وبين الوفود من يثرب؟..

سلمى: كانت هناك همسات تتناثر هنا وهناك لم تلق قريش لها أهمية ولكن في موسم الحج الأخير وفد إلى الحج من يثرب مسلمون كثيرون بلغ عددهم (٧٣) رجلاً وامرأتان فأرسلوا إلى النبي ﷺ يواعدونه المقابلة عند العقبة..

مزنة: وما هي هذه العقبة يا أماه؟..

سلمى: هي مكان مرتفع تحت الجمرة الأولى من (منى) وقد تمت اللقاءات الثلاثة فيه ولكن اللقاء الأخير عرفت به قريش لأن عدد المجتمعين كان كبيراً وهنا قال لهم رسول الله ﷺ.. «أبايعكم على أن

تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فقال كبير الوفد وهو البراء بن معرور..

البراء: نعم.. والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فإنا والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر..

سلمى: وقال ثانٍ من الوفد واسمه أبو الهيثم بن التيهان:

أبو الهيثم: يا رسول الله.. إن بيننا وبين يهود المدينة حبالاً وأنا قاطعوها، فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا..

سلمى: فتبسم الرسول ﷺ وقال: الدم الدم والهدم الهدم..

يعني أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ثم قال لهم أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم ـ فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فقال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي.. وتمت البيعة.. وعاد الجميع إلى مضاجعهم..

مزنة: وماذا فعلت قريش عندما علمت؟..

سلمى: هرع رؤساء كفار قريش إلى منازل الأنصار وقال كبيرهم:

كبير الكفار: يا معشر الخزرج ـ قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم..

سلمى: فأجابتهم بعض مشركي الخزرج ممن لم يحضروا البيعة بعدم علمهم

بشيء من هذا وحلفوا لهم ثم انصرف كفار قريش من عندهم إلى عبد الله بن أبي سلول وكان من زعماء الخزرج المشركين فسألوه فأجابهم:

عبد الله بن سلول: إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته..

سلمى: فانصرفوا من عنده.. وعندما تأكد رسول الله ﷺ أن الإسلام قد عم أرجاء المدينة أذن لأصحابه الذين بمكة أن يهاجروا إليها وقال لهم ـ إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها ـ فخرج المسلمون إرسالاً نساء ورجالاً إلاّ من حيل بينه وبين الهجرة من المستضعفين..

مزنة: وماذا صنعت قريش بعد أن علمت بهذا النبأ العظيم؟..

سلمى: اجتمعوا في دار الندوة يخططون للمؤامرة الكبرى..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: وماذا كانت مخططات هذه المؤامرة يا أماه..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله.. تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير بنيتي..

الحلقة ـ ٢٧ ـ

مزنة: هات يا أماه.. حدثينا عن مؤامرة قريش الكبرى..

سلمى: إنها لم تكن مؤامرة يا بنيتي بل تعاهد وتحالف وتصميم على ارتكاب الجريمة..

مزنة: حدثيني يا أماه حدثيني..

سلمى: لما رأى كفار قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم وغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه مهاجرين إلى المدينة وأنهم نزلوا داراً وأصابوا من الأوس والخزرج أنصاراً، وأصبحت يثرب لهم منعة وقراراً تأكد لدى كفار قريش أن النبي ﷺ قد أجمع مع أصحابه وأنصاره على حربهم وأن عليهم أن يأخذوا الحيطة وأن يبطشوا برأس الداء قبل استفحال أمره..

مزنة: فاجتمعوا في دار الندوة..

سلمى: نعم لأن دار الندوة كانت عبارة عن قاعة برلمان لهم يجتمعون فيها ليتشاوروا فيما يجد في أمور جسام وهل هنالك أعظم من هذا الحدث الجديد لديهم..

مزنة: ومن هم زعماء هذه المؤامرة والموجهون لها؟..

سلمى: عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، أبو سفيان بن حرب، طعيمة بن عدي، الحارث بن عامر، جبير بن مطعم، النضر بن الحارث أبو البحتري بن هشام، زمعة بن الأسود، حكيم بن حزام أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف وغيرهم..

مزنة: أبو جهل كان وراء كل فتنة لعنه الله..

(نقل صوتية بدون موسيقى)..

عتبة: يا معشر قريش لقد رأيتم من أمر محمد ما رأيتم.. وأنا والله أصبحنا لانأمنه من الوثوب علينا بمن اتبعه منا ومن غيرنا.. وقد اجتمعنا هنا للتشاور فيما يجب أن نفعله بعد أن وصلت الأمور بمحمد إلى هذا الحد..

أمية: الرأي أن نحبسه في الحديد ونغلق عليه باباً ثم نتربص ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم..

أحدهم: لا يا قوم.. والله ما هذا لكم برأي.. لأن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ولا يستبعد أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم..

النضر: أرى أن نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ـ ولا حيث وقع فإذا غاب عنا، أصلحنا أمرنا، والفتنا كما كانت..

أحدهم: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم في بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل ما أراد.. فدبروا فيه رأياً غير هذا..

أبو جهل: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد..

أصوات: قل يا أبا جهل.. قل يا أبا الحكم.. قل..

أبو جهل: أرى أن نختار من كل قبيلة شاباً، فتى جلداً، نسيباً وسيطاً فينا.. ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إلى محمد فيضربونه بها ضربة رجل واحد، فيقتلونه فنستريح منه.. فإنهم إذ فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فليفطنوا إلى قبول الدية منا ونحن على استعداد لدفعها لهم..

الجميع: القول ما قال أبو الحكم.. نوافق عليه.. نعم الرأي..

أبو جهل: فلنتعاهد عليه..

الجميع: نعاهد اللات والعزى والآلهة جميعاً على تنفيذ ذلك..

أبو الجهل: اتركوا لي تدبير الفتيان وتوقيت التنفيذ..

الجميع: هو لك يا أبا جهل.. هو لك يا أبا الحكم..

أنت لها.. أنت لها..

مزنة: قبح أبو جهل.. يا له من شيطان مريد.. تابعي حديثك يا أماه..

سلمى: وعلم الرسول عليه السلام بالمؤامرة وبما أجمع عليه أعداؤه فتوجه إلى صديقه أبي بكر وأخبره أن الله قد أذن له بالهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فأجابه إليها.. ثم هيأ في سرية تامة ما يلزم لهذا السفر.. راحلتين ودليلاً خرتياً أي ماهراً يأخذ بهما أقرب الطرق وأعقدا أن يكون السير في الليلة التي اتفقت فيها قريش على الفتك به في صبحها..

مزنة: قولي يا أماه.. عجلي.. فأعصابي كلها مشدودة..

سلمى: وأظلم الليل واجتمع أبو جهل مع فتيانه على باب دار النبي ﷺ يتربصونه حتى إذا ما نام وثبوا عليه وكان أبو جهل يحدث الفتيان في هزء وسخرية قائلاً:

أبو جهل: يزعم محمد أنكم تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم وبعثتم بعد موتكم (ضحك بسخرية من المتربصين)..

سلمى: ورأى النبي ﷺ مكان المتآمرين فأمر علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ويتسجى ببرده لئلا يرتاب أحد في وجوده ببيته وأمره أن يبقى بمكة حتى يؤدي عنه ودائعه وكان كل من عنده شيء يخشى عليه

بمكة يضعه عنده. وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده فجعل ينثر منه على رؤوس المتآمرين وقد أخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ثم ذهب إلى بيت أبي بكر وخرجا معاً إلى غار بجبل ثور..

مزنة: الحمد لله.. الحمد لله..

سلمى: وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروج النبي لتفتك به فإذا برجل يمر بهم ممن لم يكن معهم يقول لهم..

(موسيقى صوتية)..

الرجل: ما تنتظرون ههنا؟..

أبو جهل: ننتظر محمداً..

الرجل: خيبك الله يا أبا جهل وخيب من معك.. قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً.. أما ترون ما بكم؟..

سلمى: وتحسس كل واحد منهم رأسه فإذا عليه تراب.. بعد أن انصرف الرجل إلى سبيله.. وارتاب المتآمرون بادىء الأمر في كلامه لأنهم رأوا فراش النبي ﷺ كان مشغولاً ولم يلبثوا أن عرفوا أنهم باتوا يحرسون علي بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله..

مزنة: لقد رد الله كيد أبي جهل ومكره في نحره..

سلمى: وهاجت قريش وماجت.. واجتمعت في دار الندوة.. وقال أبو سفيان..

ابو سفيان: ويحك يا أبا جهل كيف أفلت منك محمد لا شك أنك كنت مخموراً..

عتبه: لو سلمنا أن أبا الحكم كان مخموراً فكيف عمي ذلك على من معه من الفتيان وعددهم غير قليل يا أبا سفيان..

النضر: حادث غريب يا عتبة.. إنه من سحر محمد لا شك أن ذلك يؤيد أنه ساحر وإلا كيف أفلت من هذه الحشود من الناس..

أبو جهل: يا قوم لكم كل الحق في لومي وتوبيخي وتقريعي.. واللات إني لم أكن مخموراً ولا من معي بل كنا في أحسن حال حتى جاء منتصف الليل فبدأنا نشعر بنعاس غريب قاومناه بغسل وجوهنا بالماء وبالحديث ولكنا لم نستطع.. لم نستطع.. لقد كنت أشعر بجميع أوصالي تتخدر وعيني تذبلان وأخيراً كان ما كان كما تعرفون..

صوت هادي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩)..

أمية: والآن ما العمل وقد أفلت منا محمد..

أبو سفيان: أرى بعد أن عاد رسلنا من تعقب آثاره فلم يجدوه أن نجعل مئة ناقة مكافأة لمن يأتينا بمحمد حياً أو ميتاً..

الجميع: نعم الرأي.. موافقون.. موافقون؟..

صوت هادر: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)..

سلمى: صدق الله العظيم.. إلى الغد إن شاء الله يا بنيتي..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: إلى الغد إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٨ ـ

مزنة: وماذا صنعت قريش بعد اجتماعها الأخير؟..

سلمى: أعلنت مكافأة قدرها مائة ناقة لمن يأتي بالنبي ﷺ حياً أو ميتاً وأرسلت الرسل والقصاصين في أثره.. ووصل بعض قصاصيهم قريباً من المغارة التي كان بها الرسول الأعظم فوجدوا العنكبوت معششاً على بابها وحمامتين ترقدان على بيض لهما فانقلبوا مرتدين على أعقابهم وأحس سيدنا أبو بكر باقترابهم فكان شديد الخوف منهم على رسول الله ﷺ وليس على نفسه وكان الرسول يطمئنه ويقول: «الله معنا» فنزلت الآية الكريمة.

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

صوت هادر يردد الآية: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)..

مزنة: صدق الله العظيم.. أماه.. كيف كان الرسول ﷺ وصاحبه يتدبران أمر أكلهما وشربهما وهما في الغار..

سلمى: كان عبد الله بن أبي بكر عينا لهما على المشركين يندس بينهم ليأتيهما بأخبار ما يبيته المشركون لهما.. وكان عامر بن فهير، مولى أبي يأتيهما مساء باللبن وأسماء بنت أبي بكر بالطعام..

مزنة: وكم من يوم ظلوا على هذا الحال؟..

سلمى: ثلاثة أيام.. حين جاءهما عبد الله بن أبي بكر وأخبر هما أن اللحاق بهما قد خف، وإن قريشاً قد يئست من العثور عليهما..

مزنة: وكيف أمنا واسطة النقل يا أماه..

سلمى: كان أبو بكر رضي الله عنه قد أعد الرحالتين والدليل قبل لجوئهما

إلى الغار كما تعرفين فلما سكن اقتفاء قريش لهما أتاهما الدليل واسمه عبد الله بن أريقط الليثي بالراحلتين فامتطياها وسارا تكلؤهما العناية الإلهية..

(موسيقى القافلة)..

وكان خروج النبي ﷺ وصاحبه من الغار في الخامس من شهر ربيع الأول وكان ﷺ في الثالثة والخمسين من عمره..

مزنة: وهل مرت الرحلة النبوية إلى المدينة بسلام؟..

سلمى: حدث عارض بسيط كان آية ساطعة على صدق نبوة محمد ﷺ..

مزنة: ما هو يا أماه؟..

سلمى: لحق بهما في الطريق سراقه بن مالك المدلجي على فرسه ليردهما إلى قريش ويظفر بالجائزة التي خصصتها لهذه الغاية.. وقبل أن يقترب منهما تعثرت فرسه وكبت به فنهض وركبها ولما اقترب من رسول الله ﷺ وسمعه يتلو القرآن ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين فارتعدت فرائصه وسقط عنها، ثم انتزعت الفرس يديها من الأرض فتبعها دخان كالإعصار فعرف سراقه أنه هالك إن تمادى في محاولته بعد هذه البينات..

سراقه: يا قوم أنا سراقه بن مالك.. انظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكر هونه..

سلمى: فأوعز ﷺ إلى من معه بأن يرد عليه فقال له أحدهم:

أحدهم: وما تبتغي منا؟

سراقه: تكتبون لي كتاباً يكون آية بيني وبينكم..

سلمى: فأمر رسول الله أبا بكر أن يكتب له ذلك ورجع سراقة من حيث أتى بعد أن وعدهم بأن يرد عنهما من يريد اللحاق بهما..

مزنة: تابعي يا أماه حديثك..

سلمى: ولحقهما في مكان على طريق المدينة يسمى بالغميم رجل يدعى بريدة بن الحصيب السهمي في سبعين راكباً من أهل بيته يريد أخذه ﷺ ليرده على قريش ليأخذ المائة ناقة فلم يعرفه رسول الله ﷺ فسأله: من أنت؟ قال أنا بريدة.. فالتفت الرسول إلى أبي بكر وقال: برد أمرنا وصلح.. ثم قال له: ممن أنت قال من أسلم فقال الرسول لأبي بكر: سلمنا: ثم قال له ممن؟ فأجاب من بني سهم: قال: خرج سهمك..

مزنة: ما أجمل هذه المحاورة.. تابعي يا أماه..

سلمى: ثم سأل بريدة النبي ﷺ: من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله: فقال بريدة..

(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)..

فلما سلم أسلم من كان معه من قومه جميعهم وعددهم سبعون..

(نسمع أصواتهم وهي تردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)..

مزنة: ثم قال بريدة للنبي ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء.. فحل عمامته ثم شدها في رمحه وجعلها لواء فحمله ومشى بين يدي رسول الله ﷺ..

(نقلة موسيقية)..

(أصوات.. ضجيج.. وهرج ومرج.. وأناس يتحدثون)..

أحدهم: لقد تأخر قدوم النبي ﷺ إلينا..

الثاني: لا بد أنه سلك طريقاً أطول ليتجنب مقتفى أثره من القرشيين..

الثالث: إن الناس يخرجون يومياً من الصباح ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة..

الرابع: إن اليهود يروجون إشاعات لا ندري مبلغها من الصحة مرة يقولون: إن قريشاً أمسكت بمحمد.. ومرة يقولون إنه مريض.. إلى غير ذلك مما جعل نفوس أهل يثرب قلقة على مصيره ﷺ..

(أصوات.. ضجيج.. وهرج ومرج.. وأصوات مختلطة)..

أحد اليهود: راشيل! راشيل!..

راشيل: وماذا تريد يا عزرا..

عزرا: محمد الذي بشرت به التوراة ووصفته الأناجيل سيكون نبينا عما قريب فاستعدى للرحيل من هنا يا راشيل..

راشيل: إلى أين.. إلى أين يا عزرا؟..

عزرا: لقد كتب على بني إسرائيل التطواف في بلاد الله..

راشيل: لا أظن أن محمداً يطردنا من هنا إذا أحسنا سلوكنا والتزمنا الهدوء والسكينة..

عزرا: وهل تعتقدين أن كبارنا وأحبارنا سيتركون محمداً يسرح ويمرح في بلادهم.. إنهم سيقضون عليه قبل أن يقضي عليهم..

راشيل: إذا كان هذا رأي كبارنا فالويل لنا من كبارنا..

عزرا: سأصعد على ظهر هذا الحصن فربما رأيت محمداً فقد هلك قومه من حر الهجير وهم ينتظرونه..

راشيل: ما أشد اعتقادهم وإيمانهم بنبيهم.. إنهم أخلص له منا إلى موسى..

سلمى: ويصعد عزرا على ظهر الأطم وهو الحصن.

فيبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين أي لا بسين الثياب البيض يزول بهم السراب فتظهر حركتهم للعين فلم يملك عزرا إلا أن ينادي بأعلى صوته:

عزرا: يا بني قَيَلَهْ.. هذا جدكم قد جاء..

سلمى: ويردد نداءه فيتسامع به الناس فيهرعون للقائه ﷺ وتصدح أناشيد الفرحة من كل مكان مرددة:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: لا يمكنك أن تتصوري مبلغ خوفي قبل أن يصل ﷺ إلى المدينة ولم يتبدد هذا الخوف إلا عندما سمعت النشيد: طلع البدر علينا..

سلمى: إلى الغد إن شاء الله تصبحين على خير..

مزنة: إلى الغد إن شاء الله..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٢٩ ـ

مزنة: نحن ضيوفك يا جدي يوسف هذه الليلة.

يوسف: يا مرحبا.. يا مرحبا..

سلمى: أتذكر يا والدي أني حين هاتفتك أمس بشأن زيارتنا الليلة أخبرتك

أننا نريدك أن تحدثنا عن التشريعات التي أنزلت على النبي ﷺ خلال الثلاثة عشرة سنة التي قضاها في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة وقصدى عن ذلك الفائدة المزدوجة لي ولابنتي مزنة.

يوسف: حاضر.. حاضر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

مكث الرسول الأعظم صلوات الله عليه في مكة من وقت النبوة إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة ثلاث عشرة سنة.

مزنة: ما معنى من وقت النبوة؟

يوسف: أي منذ نزل الوحي عليه ﷺ.. وفي فترة الثلاث عشرة سنة أنزل عليه معظم القرآن الكريم أي ثلاث وتسعون سورة والباقي وهو واحد وعشرون سورة بالمدينة المنورة.

سلمى: ما معنى الوحي يا أبتاه؟

يوسف: الوحي ـ في لغة العرب ـ إعلام مع خفاء وسرعة.

سلمى: وما معنى السرعة؟

يوسف: معنى السرعة أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تنبني عليها تلك النتيجة بل هي أشبه بالعلم الضروري الذي لا يتوقف على نظر واستدلال.

سلمى: وكيف كان إعلام الله أنبياءه المختارين؟

يوسف: إن الوصف العلمي والفني يا بنيتي يضيق عن تحديد كنيته، وغاية ما يمكن الإنسان أن يصل إليه هو أن يحوم حول هذا الموضوع مستعيناً بما قاله الأنبياء أنفسهم عما نزل على ألسنتهم ليقتطف منها ما يقرب ذلك إلى العقل الإنساني.

سلمى: هل كان هذا الإعلام على مرتبة واحدة أن له عدة مراتب؟

يوسف: لا يا بنيتي... كان على عدة مراتب.

مزنة: ما هي يا جدي؟

يوسف: المرتبة الأولى... أن يخاطب في النوم وهو ما يسمى بالرؤيا الصادقة، وقد عبر عنها القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم مخاطباً ابنه إسماعيل ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

مزنة: والمرتبة الثانية؟

يوسف: أن يلقى ما يراد القاؤه على قلب ذلك النبي من غير وساطة أي في حالة اليقظة وهو ما يسمى بالإلهام وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤).

سلمى: والمرتبة الثالثة يا أبتاه؟

يوسف: المرتبة الثالثة أن يرسل الله رسولاً يخبر نبيه المختار بما يريد إعلامه إياه وهو ما يسمى بالملك، فيحدثه، ويصف القرآن الكريم هذا الرسول بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ. مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ١٩ ـ ٢١).

سلمى: وكان جبريل عليه السلام هو الملك الذي يرسله الله إلى محمد ﷺ

مزنة: ﷺ.

يوسف: نعم... أما المرتبة الرابعة فهي أن يسمع الله تعالى نبيه المختار كلامه مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام.

مزنة: وكيف كان ذلك يا جدي؟

يوسف: جاء في القرآن الكريم قوله تعالى عن هذه الحادثة:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ . إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى . فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ . إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ (طه: ٩ ـ ١٣).

سلمى: وهل هناك طرق أو مراتب أخرى يا أبتاه؟

يوسف: فيما أعلم هذه هي المراتب التي عرف أن الوحي كان يبلغ قلوب الأنبياء عليها.

سلمى: ما هو أهم ما جاءت به الآيات المكية من تشريع؟

يوسف: أولاً ـ التوحيد، ورفض الأوثان والأصنام أي لا يكون بين العبد وربه واسطة فقد كانت عامة العرب تدين بالوثنية إلا قليلاً منهم وكان لكل قبيلة إله صنم بل ربما كان لكل فرد صنم من حجر أو شجر يعبده فلم يكن بد من مقاومة شديدة للأوثان والأصنام وكل ما يمت إليها ولذلك جاءت الآيات المكية تدعو لتوحيد القلوب والصفوف على إله واحد ورب واحد لا شريك له وتقيم عليه الأدلة وتناقش المعارضين وتذم الشرك والأوثان والأصنام وتنعي على المتوسلين بها مذاهبهم تصريحاً وتلميحاً.

سلمى: نعم يا أبتاه.. نعم.. لقد ضرب الله في آياته الأمثال بالأمم السابقة وما أصابهم من جراء شركهم بالله وتكذيبهم الأنبياء والرسل.

يوسف: وتكررت الأمثال تكراراً مؤثراً بأساليب مختلفة لأن أشد ما يفعل في النفوس لإثبات التعاليم فيها إنما هو التكرار مع تنوع الأساليب.

سلمى: نعم هذه ظاهرة بينة في القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر ومع قومه وقصة إبراهيم عليه السلام وتكسيره للأوثان والأصنام وغير ذلك من قصص القرآن المجيد.

يوسف: واستتبع التوحيد ونبذ الأوثان والأصنام تحريم كل ما ذبح على تلك النصب كما حرمت الشريعة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه وهذه حركة مضادة لما كانوا يفعلون قبل الإسلام فإن المشركين كانوا يذبحون باسم أصنامهم فأمرهم أن يذبحوا باسم الله تعالى حتى ينسوا تأماهً ما كانوا عليه وجاء التشريع بعد ذلك في جميع الأفعال التي يشرع فيها الإنسان لا بد أن تفعل باسم الله لا باسم غيره أياً كان.

سلمى: لقد كان تشريعاً قوياً وجريئاً يأتي به الإسلام إلى قوم عاشوا مئات السنين وهم يعبدون هذه الأوثان والأصنام. . وأن يعلنها الإسلام حرباً لا هوادة فيها ولا تدرج بل تحريم قطعي تماماً.

يوسف: ولقد ذهب التشريع في هذه الناحية إلى أبعد حد من المقاومة فمنع التصوير وصنع التماثيل وفي هذا المنع ناحية سايكلوجية هامة.

مزنة: صحيح يا جدي كيف منع التصوير وعمل التماثيل؟

يوسف: ظل العرب مئات السنين يتخذون الأوثان والأصنام آلهة من دون الله، والنفس المتشبثة بالشيء الذي نهيت عنه لا يبعد أن تعود إليه بدافع من الحنين متى ظهر أمامها فإن مشاهدتها له مرة واحدة تدك

معالم الأوامر والنواهي وتحدث رد فعل لما اضطرت عليه النفس من أتباع الأوامر.

سلمى: صحيح يا أبتاه.. مثلاً شارب الدخان... لو أمره الطبيب بتركه واقتنع بأن التدخين غير مفيد ثم رأى بعد ذلك أي سيجارة بيد غيره لا شك أن الممتنع يحس بحركة غريبة في نفسه هو نوع من الحنين يحتاج المرء لاتقائه ومغالبته إلى عزيمة قوية.

يوسف: جميل يا بنيتي ما قلت ولذلك حماية لهذا الضعف الإنساني كرهت التصاوير والتماثيل من باب الاحتياط وسد الذرائع فسيدنا عمر بن الخطاب حين رأى بعض المسلمين يتبركون الشجرة التي بايع عندها رسول الله ﷺ أصحابه في الحديبية أمر في الحال بقطعها واعفاء أثرها.

مزنة: وما هي بيعة الحديبية وأسبابها يا جدي؟

يوسف: لا شك أن والدتك ستحدثك عنها في حينه لأن الحديث عنها لا يدخل في موضوعنا الليلة.

سلمى: نعم يا بنيتي سأحدثك عنها إن شاء الله عندما نصل إلى ذكرها في حديثنا المسائي اليومي.

(سلمى متابعة كلامها والآن نستأذنك يا أبتاه شاكرين لك ما اتحفتنا به من معلومات وفوائد مؤملين أن نلقاك في الليلة القادمة على أسر حال).

يوسف: إن شاء الله.

مزنة: تصبح على خير يا جدي.

سلمى: تصبح على خير يا أبتاه.

يوسف: تصبحون على خير.. مع السلامة.

الحلقة ـ ٣٠ ـ

سلمى: ها نحن جئنا على الموعد يا أبتاه.

مزنة: وقد أنهيت كل واجباتي المدرسية وحضرت لاستمع إليك يا جدي.

يوسف: يا مرحبا... يا مرحبا... أنا حاضر... حاضر...

سلمى: أرجوك المعذرة فقد تأخرنا عن الموعد المحدد بسبب زوار الطوارئ الذين يأتون من غير ميعاد مسبق.

مزنة: لقد أتاح الزوار الطارئون الفرصة لي لاستكمال واجبات المدرسة اليومية.

سلمى: تفضل يا أبتاه فكلنا آذان صاغية.

يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين. لقد فرغنا في حديثنا أمس من أهم ما جاء به التشريع المكي وهو التوحيد.. والليلة ننتقل إلى بند مهم أيضاً وهو: اليوم الآخر.

نصت الآيات المكية على وجود يوم آخر يجازي فيه كل إنسان بما قدم من عمل إن كان خيراً فجزاؤه خير وإن كان شراً فجزاؤه شر.. ونهت الآيات عن الشر ورغبت في الخير وأكدت ذلك مراراً في السور التي نزلت في مكة وبينت في جلاء أن العدل سيأخذ مجراه بعد أن توزن أعمال الإنسان. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨).

سلمى: اللهم اجعل حسناتنا أكثر من سيئاتنا.

مزنة: يا رب... يا رب.

يوسف: وقد وصف القرآن الكريم دار الجزاء وما فيها من خير وشر أوصافاً ترغب وترهب... على أنه لم يجعل اليأس يتسرب إلى النفس الإنسانية بما اقترفته من الخطايا بل فتح أمامها باب الرجوع إلى فعل الخير وأخبر أن الحسنة إذا تلت السيئة محتها.

سلمى: وهل الحسنات على إطلاقها تمحوا السيئات؟

يوسف: المفهوم من سياق الآيات القرآنية ـ والله أعلم أن الحسنات المؤثرة في محو السيئات إنما هي الحسنات العملية.

سلمى: اللهم أجرنا من فعل السوء وجنبنا شرور أنفسنا.

مزنة: آمين يا رب العالمين.

يوسف: وأوضحت الآيات القرآنية المكية الخصال التي تقرب العبد إلى الله والتي تبعده منه. ومعظمها يرجع إلى الأخلاق وحسن معاملة الناس مع بعضهم البعض.

يقول الله عز وجل ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (الشورى: ٤٠).

وقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وقال: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤). والسور المكية زاخرة بالفضائل الخلقية والشمائل الإنسانية وسرد ذلك يقتضينا أياماً وليالي.

سلمى: نعم يا أبتاه.. إنه السفر الخالد.. جمع فاوعى. تنزيل من حكيم حميد.

يوسف: وفي التشريع الذي نزل على محمد ﷺ بمكة عبادات عملية تربط المرء بالله وتوجهه نحو الخير وفي مقدمتها الصلاة وكذلك الزكاة

فأننا حيثما تجد أمر الصلاة تجد بجانبه أمر الزكاة. . .

سلمى: ما أعظم الإسلام كنظام، فيه كل ما نتطلع إليه الإنسانية من عدالة اجتماعية شاملة تفقأ عيون دعاة المبادئ الهدامة وتلقم أفواههم حجارة من نار.

يوسف: صدقت يا بنتي في الإسلام كل ما تثق إليه النفس الإنسانية من عوامل التقدم والتحرر والانطلاق هو نظام كامل مستوف لكل ما تتطلبه شئون الحياتين الأولى والآخرة جمع في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

تنزيل من حكيم حميد.

سلمى: فمن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وضع الإسلام مبدأ رفيعاً دقيق التنظيم، غايته الحيلولة دون تضخم ثروات الأفراد مع توفير حاجات العيش الكريم لكل فرد.

مزنة: ما هو هذا النظام يا أماه؟

سلمى: هل تسمح لي يا أبتاه بالجواب؟

يوسف: تكلمي يا بنتي فأنني فخور بمعلوماتك الدينية الواسعة. . .

سلمى: الفضل لله ثم لك يا أبتاه. .

يوسف: لله وحده. . أجيبي على سؤال مزنة. . .

سلمى: هذا النظام هو نظام «الزكاة» ومقدارها (٢،٥) بالمئة تؤخذ عن الأموال النقدية وعروض التجارة، بينما تؤخذ عن المزروع والثمار بنسبة العشر في الأراضي التي تروي بماء السماء والينابيع، وبنسبة العشر في الأراضي التي تسقى بالآلات الحديثة ونحوها.

مزنة: ولكن يا أماه كيف حال هذا النظام دون تضخم ثروات الأفراد؟

سلمى: إني أترك لجدك الإجابة عليه... تفضل...

يوسف: تتجدد ضريبة الزكاة كلما حال الحول على مالك النصاب والنصاب هو عشرون مثقالاً من الذهب أي ما يعادل سبعة جنيهات استرليني أي حوالي (٨٨) ريال سعودي ومعنى هذا أن اكتناز المال أو خزنه في صناديقه أصبح شيئاً على المكتنزين...

سلمى: أين يكمن وجه الخطر يا أبتاه؟

يوسف: إن استيفاء (٢،٥) بالمئة في كل سنة من هذا المال المكنوز معناه تحول المال كله من صندوق المكتنز إلى بيت مال المسلمين أي إلى خزينة الدولة.. وهذا يعني أنه ليس من مصلحة أحد أن يكتنز المال خشية نفاده بسبب ضريبة الزكاة، بل من مصلحته أن يضعه في التداول وفي تمويل المشروعات لكي يستبقي لنفسه موارد تنميته.

سلمى: يا سلام... ما أعظم ما في ذلك من نفع اقتصادي عميق يفيد منه جميع أفراد الأمة كما ينسف بالتدريج صروح الثروات المتضخمة في حال تجميدها حتى يوصلها إلى ما يشبه العدم.

مزنة: وكيف يوفر ذلك العيش الكريم لكل فرد؟

يوسف: الزكاة يا مزنة لا تفرض على طبقة واحدة من الشعب، بل على جميع الطبقات ابتداء من الفرد الذي يملك سبعة جنيهات فما فوق.. وعلى هذا الأساس تدركين عظم الحصيلة التي تعود إلى خزينة الدولة من ضريبة الزكاة وبالتالي تدركين مبلغ سعة الرخاء الذي يمكن أن يحيا في ظله مجتمع الزكاة والعيش الكريم الذي سيتوفر لكل فرد.

مزنة: ما أعظم الإسلام ديناً ودنيا.. نعم.. الآن عرفت كيف أدافع عن هذا الدين أمام أعدائه وأمام أخواتي اللواتي غرتهن الأفكار البراقة الهدامة.

يوسف: بورك فيك..

سلمى: بورك فيك.. أبتاه ألا تكمل حديثك عن التشريع المكي؟

يوسف: مما يلفت النظر إلى الآيات المكية إن قارئها يحس فيها بأمر مدهش.

مزنة: ما هو يا جدي.

يوسف: كان الرسول ﷺ مضطهداً بمكة وكان في حاجة إلى من يدفع عنه أذى أعدائه الذين وقفوا في سبيل دعوته في ذلك الحين كانت الآيات المكية تبلغ له من الله تعالى على غاية من الشدة مما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان على يقين من الله تام بأن العاقبة بالرغم من أنه كان يهان مرة من قومه الذين تمالؤا عليه ومرة يرد أقبح رد من العرب الذين يفدون في موسم الحج إلى مكة وفي غيره من المواسم.

مزنة: أتلُ علينا يا جدي بعض هذه الآيات.

يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٦٠). وقوله تعالى ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الشعراء: ٦) وقوله تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١) وقوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ (غافر: ٥٠) وقوله تعالى ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ

فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ: ٥١) وغير ذلك من الآيات الشديدة الوقع التي ظهر نبؤها بعد حين.

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: زودنا من معين علمك الذي لا ينضب يا جدي وجهزنا بالسلاح الديني القوي حتى ندفع به موجات الكفر والألحاد التي تجتاح عالمنا اليوم.

يوسف: ما شاء الله... ما شاء الله... أنني سعيد جداً بهذه النتيجة ولا شك أن لوالدتك النصيب الأكبر منها.

سلمى: أنت النبع والأصل ومنك تفرعت هذه الجداول الخيرة...

يوسف: الحمد لله... الحمد لله...

سلمى: والآن نستودعك الله شاكرين يا أبتاه..

مزنة: وأي شكر يا أماه.. لقد أضاء الله لي السبيل على يديه.. ربنا يخليك يا جدي ربنا يخليك.

يوسف: ويبارك لي فيك.. وفي والدتك.. مع السلامة.. مع السلامة...

الحلقة ـ ٣١ ـ

مزنة: كم كان رائعاً ذلك الاستقبال الذي قوبل به الرسول الأعظم ﷺ عندما وصل المدينة المنورة..

سلمى: لقد كان استقبالاً منبثقاً من قلوب مخلصة مؤمنة بالله ورسوله ﷺ والآن حديثنا الليلة يبدأ عن حياته ﷺ بالمدينة المنورة.

مزنة: هات يا أماه... هات... فكلي أسماع وأبصار...

سلمى: يحاول بعض الحاقدين على هذا الدين والذين في قلوبهم مرض أن

يقللوا من شأن الهجرة فيلبسونها لباس الفرار المفاجئ وأن النبي ﷺ خشي من أن يقتل فهرب إلى المدينة.

مزنة: وما هو الصحيح يا أماه؟

سلمى: المتفق عليه أن الهجرة لم تكن فراراً فجائياً.. بل كانت خطة مدبرة استغرقت سنتين.. كان النبي ﷺ يمهد لها بمقابلاته مع الخزرج والأوس في العقبة الأولى والثانية والثالثة كما مر معنا.

مزنة: صحيح يا أماه... أذكر أنه ﷺ قابلهم في موسم الحج ثم بعد ذلك في موسم الحج الذي تلاه..

سلمى: هذا صحيح... وبعد أن استكمل للهجرة جميع أسباب نجاحها أذن النبي ﷺ لأصحابه بمبارحة مكة إلى المدينة متفرقين حتى لا يثيروا ريبة قريب فيهم... ثم أمر الله تعالى بالهجرة في تلك الليلة التي حاولت فيها قريش لتكون هجرته معجزة بينة شاهدة على أنه الرسول الذي أختاره المولى جَلَّ وعلا لهذه الأمة. وهكذا شخص ﷺ إلى المدينة فوصلها يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م رغم أنف قريش وما فرضته من حصار ومراقبه.

مزنة: ومتى بدأت السنة الهجرية؟

سلمى: أصبحت السنة الهجرية أول العهد الإسلامي بعد وقوع الهجرة بسبع عشرة سنة وذلك في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل هجرة النبي ﷺ للمدينة بدء التاريخ الإسلامي.

مزنة: وماذا جرى لمن بقي من المسلمين بمكة بعد هجرة النبي ﷺ؟

سلمى: بالرغم من الحصار الشديد الذي فرضته قريش على من بقي من المسلمين بمكة فقد استطاع أكثرهم الخروج والوصول إلى المدينة إلا القليل منهم.

مزنة: أماه! إن تدفق سبل المهاجرين على المدينة قد خلق ولا شك مشكلة الإسكان والإعاشة فكيف تغلب رسول الله ﷺ على ذلك؟

سلمى: سؤالك وجيه ودقيق والجواب عليه هو:

(في مضافة سيد من سادات المدينة يدور الحديث التالي)..

عمير: لقد بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا. وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

سنان: نعم هو ذلك يا عمير.

عمير: وعندما فاء إلينا المهاجرون نشأت أزمة الإسكان والإعاشة وهما أمران لم يحسب حسابهما عندما بايعناه وكنا في موقف مخجل وعصيب بالنسبة للسيل المتدفق منهم وكدنا نيأس من حل هاتين المشكلتين ولكن المؤاخاة التي أمر بها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ستحل أزمة الإسكان يا سنان.

مسعود: كيف يكون ذلك؟

عمير: اسمع يا مسعود... المؤاخاة محت ما بيننا والمهاجرين من الفوارق وربطت بين قلوبنا بوشائج من التعاطف والمودة فأصبح بيت المهاجرين وبيته وبيتي وأهله أهلي... وكل ما أملك مشاركة بيني وبين أخي المهاجري... لقد أصبحنا متضامنين... متحدين... صفاً واحداً، يداً واحدة.

سنان: وفوق ذلك قضت المؤاخاة على التمييز العنصري والتفرقة في اللون والجنس... من كان يظن أن أبا رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخشعي ـ وهو منا كما يقولون ـ يصبح أخاً لبلال الحبشي هذا

أسود اللون وذلك أبيض وهذا عربي وذلك حبشي.

كعب: ومن كان يحلم أن يرى سلمان الفارسي الجنسية أخاً لأبي الدرداء عويمر بن ثعلبة العربي رغم ما بين العرب والفرس من الكراهية.

مزنة: يا الله ما أعظم ذلك.. فقد قضى رسول الله ﷺ على التمييز العنصري الذي نشاهد مآسيه وفواجعه في أفريقية وآسيا.

سلمى: نعم قضى عليه الإسلام منذ ١٣٨٦ عاماً.

مزنة: وكيف تغلب ﷺ على أزمة الإعاشة؟

عمير: أما مشكلة الإعاشة فقد أوجد لها رسول الله ﷺ الحل المبدئي حين أمر بالمؤاخاة من جهة ثم وادع اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم من جهة أخرى.

سنان: الآن استطعت أن أتصور أبعاد هذا الحل ومراميه فبالإخاء والموادعة يتم الاستقرار والتجارة لا تنشط إلا في عهود الاستقرار ومدينتنا مركز تجاري هام والمهاجرون من مكة تجري التجارة في دمائهم وعروقهم.. يا عمير...

كعب: وهناك أمر هام جداً جداً...

عمير: وما هو يا كعب؟

كعب: شرعية القتال... والجهاد في سبيل الله.

عمير: نعم، شرع القتال لسببين أولاً للدفاع عن النفس عند التعدي. ثانياً للدفاع عن الدين إذا وقف أحد في سبيله بفتنة من آمن به بشتى أنواع التعذيب والاضطهاد والتنكيل حتى يرجع عما اختاره لنفسه ديناً أن يصدِّق من أراد الدخول في الإسلام عنه أو يمنع الداعي من تبليغ دعوته.

سنان: عمير!!! هل تحفظ بعض الآيات التي نزلت في أمر القتال؟

عمير: نعم.... بسم الله الرحمن الرحيم...

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩).

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

سنان: وأذكر أنا أيضاً الآيات:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

مسعود: ولقد وعدنا الله بالنصر.. وبالنصر تتحسن أوضاعنا من كل الوجوه..

مزنة: صدق الله العظيم.. «أماه» كيف جاء اليهود إلى المدينة وضواحيها؟

سلمى: عندما احتل نبوخذ نصر ملك بابل القدس وحطم هيكل سليمان وأخذ معه كبار اليهود وأعيانهم أسرى إلى مدينة بابل في العراق... فر كثير من اليهود ممن لم يقع منهم في الأسر إلى الجزيرة العربية فاستوطنوا المدينة وما جاورها من قرى مثل خيبر..

وسأحدثك فيما بعد كيف أجلى اليهود عن الجزيرة العربية بأسرها . .

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى).

عمير: إن النصر الذي وعد به الله عباده آت ولا شك أن الله عز وجل لا يخلف الميعاد وعلينا أن نتمسك بعقيدتنا وإيماننا وأن ندافع عن ذلك بأرواحنا وأموالنا وأولادنا وكل ما نملك.

سنان: إني أسمع همسات. . . ونذر حرب تتلبد في سماء المدينة واستعدادات تجري في حرص تام ودقة. . . فاليهود لا يؤمن من جانبهم بالرغم مما أعطاهم النبي ﷺ من أمان وعهد وحرية دينية. . .

كعب: إنهم اليهود قوم جبلوا على الخيانة والدس والوقيعة وانتهاز الفرص للفتك والغدر. . . لأن الحقد يملأ صدورهم على الناس جميعهم ما عدا بني جنسهم وهم يغذون أولادهم هذا الحقد جيلاً بعد جيل.

عمير: سيأتيهم اليوم الذي تذهل عنه كل مرضعة. . سنبيدهم. . سننتقم منهم. . .

مسعود: لقد رأيت بأم عيني الاستعدادات للحرب، والتشاور بين رسول الله ﷺ وأصحابه فالإشاعات تتناثر عن استعداد كفار قريش لاسترداد زعامتهم وكرامتهم التي ديست وأهينت بعد هجرة النبي ﷺ إلينا.

عمير: إننا أهل حرب ومجالدة وقد بايعنا رسول الله ﷺ على أن ننصره وندفع عنه أذى المعتدين وقد أذن الله لنا بالقتال وشرعه فمرحبا بالجهاد في سبيل الله، في سبيل الإسلام في سبيل رسول الإسلام.

(أصوات أبواق ونفير عام وموسيقى حرب ثم خبطة موسيقية قوية):

مزنة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

سلمى: صدق الله العظيم.. إلى الغد إن شاء الله.

مزنة: إن شاء الله... تصبحين على خير يا أماه.

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٣٢ ـ

مزنة: أماه.. هيا.. هيا.. فقد دنا وقت الحديث.. هاتي..

سلمى: وبعد هذا التطور التشريعي الذي أحل قتال العدو في أي زمان.. دخل الصراع المسلح بين المسلمين وكفار قريش واتسعت الهوة بين الفريقين... وصمم المسلمون على أن لا يتركوا أية فرصة تسنح لهم للإيقاع بعدوهم إلا اغتنموها...

مزنة: ضروري.. ضروري.. لقد أوذي المسلمون كثيراً من كفار قريش.

سلمى: صحيح.. كذلك أدرك كفار قريش أن المسلمين مصممون على محسابتهم عسكرياً على كل ما ارتكبوه في حقهم من سيئات.

(أصوات أبواق حرب وضجيج.. وقعقعة سلاح.. وصهيل خيل.. وصوت هادر يقول):

الصوت الهادر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

مزنة: صدق الله العظيم.

(أصوات أبواق حرب... وسلاح.. ومطاردات وأصوات تردد):

الأصوات: الله أكبر.. الله أكبر... الله أكبر..

(صليل السيوف.. وصهيل الخيل.. وأنات جرحى وسقوط قتلى... وصوت هادر يقول):

الصوت الهـــادر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٦).

(نقلة صوتية من دون موسيقى)..

النضر: كنت يا أبا حزام من شهود يوم بدر فهلا حدثتنا عنه.

حكيم: كنت وعتبة من شهود يوم بدر وكنا مع أبي جهل نسعى لحماية قافلة أبي سفيان فجاءنا رسوله يقول إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ولكن أبا سفيان سلك طريقاً آخر فأمن على القافلة فارجعوا.

النضر: ولكنكم لم تعودوا.

حكيم: أبي أبو جهل أن يعود بالناس وقال لهم. لا واللات لا تقول قريش أني ما رأيت محمداً إلا ملئت منه رعباً ووليت فراراً.

النضر: لقد قضت عليه كبرياؤه.

حكيم: هو ذاك يا نضر. لقد ظن أبو جهل أنه سيغلب المسلمين فيعود إلى

مكة يسقي الخمر ويطعم الطعام ويسمع به العرب فيهابونه ويتخلون عن دعوة الرسول.

النضر: وأين عسكر جيش محمد يوم بدر؟

حكيم: أمر محمد جيشه بالنزول فأشار حباب بأن ينزلوا حول ماء القليب فيشربون ولا يشرب أصحاب أبي جهل فأقره الرسول على رأيه.

النضر: وأين كان موقع الرسول من ساحة المعركة؟

حكيم: بنى له سعد عريشاً وأحاط به أبو بكر وعمر وإذا بقريش تقترب من الماء فيصده جيش الرسول عنها.

النضر: حدثنا عن المعركة يرحمك الله.

حكيم: بارز علي وحمزة وعبيدة بن الحارث عتبة والوليد وشيبة فقتل الوليد وعتبة وجرح شيبة عبيدة فقتله حمزة ثم شدت قريش بالنبال فقتل مهجع مولى عمر وحارثة بن سراقة فاشتد القلق بالمسلمين.

النضر: ولكن الرسول ﷺ لم يهن وأمر الناس بأن يشدوا وأخذ حفنة من التراب ورمى بها وجه قريش وهو يقول: شاهت الوجوه... شاهت الوجوه.

حكيم: لله وحمزة عم النبي ﷺ فقد امعن في تقتيلا... فألهبت شجاعته أخوانه من المهاجرين والأنصار وبدأ الذعر يدب في صفوف قريش بعد أن فقدت الصيد من رجالها...

النضر: وأبو جهل رأس هذه الفتنة والمحرك لهذه المعركة ماذا انتهى إليه..

حكيم: ضربه معاذ بن عمرو الأنصاري فبتر قدمه ونصف ساقه فوقع على الأرض ثم أجهز عليه معوز بن عفراء ولم ينقذه من شر مصيره استنجاده بولده عكرمة... وأخيراً وجد عبد الله بن مسعود فوضع رجله على عنقه ليحتز رأسه وهو يقول له:

(نقلة صوتية):

عبد الله بن مسعود: هل أخزاك الله يا عدو الله.

أبو جهل: أخبرني لمن الدائرة اليوم.

ابن مسعود: لله ولرسوله وللمؤمنين.

سلمى: وعندما جلس عبد الله بن مسعود على صدر أبي جهل ليقطع رأسه قال له أبو جهل.

أبو جهل: لقد ارتقيت صعبا يا رويعي الغنم...

مزنة: كم هو فظيع هذا اللعين وجبار حتى في مماته... لعنه الله وهل صحيح ما قاله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

سلمى: نعم يا بنيتي كان عبد الله بن مسعود من رعاة الغنم بمكة ولكنه كان من السابقين الأولين في الإسلام وكان خادماً مخلصاً للرسول ﷺ ورفيقه في حله وترحاله وغزواته.

مزنة: طمنيني يا أماه ماذا فعل عبد الله بن مسعود بأبي جهل اللعين.؟

سلمى: احتز رأس أبي جهل وأسرع به إلى النبي ﷺ وقال له هذا رأس عدو الله أبي جهل بن هشام فقال رسول الله ﷺ: الله الذي لا اله إلا هو...

مزنة: طمنتيني يا أماه... طمنتيني.

سلمى: وروى عنه ﷺ أنه حين وقف على رأس هذا الطاغية أبي جهل قال: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله... هذا فرعون هذه الأمة.

مزنة: إلى جهنم وبئس القرار.

سلمى: وقد تجلت في معركة بدر يا بنيتي مناظر رائعة برزت فيها قوة العقيدة وتجلى فيها الثبات ـ على المبدأ بأجلى مظاهره فقد قاتل الابن أباه والأخ أخاه فقد كان الصحابة أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واقفاً مع النبي ﷺ يشهد جثة أبيه الكافر تلقى في (القليب) وهو حفرة كبيرة كانت بقرب المعركة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خالد العاص بن هشام في تلك المعركة.

مزنة: ما أقوى رابطة العقيدة والدين أنها أعظم من رابطة الدم واللغة..

سلمى: صدقت يا بنيتي.. كم أنا فخورة بهذه النتيجة.. أليس أول وقود اشتعلت به معركة بدر الفاصلة هو دم الأقربين الذي أسالته سيوف الأسرة الواحدة فقد قتل حمزة وعلى أولاد عمومتهم وأسالوا دمائهم القريبة إليهم والغالية عليهم فهل أسالوها في سبيل القومية والعنصرية أم أسالوها في سبيل العقيدة والدين؟

مزنة: بل في سبيل المبادىء والعقائد لا القوميات والنعرات.

سلمى: لقد رسم يوم بدر يا بنيتي أروع نموذج هي للثبات الصادق على العقيدة.. لقد آخى الإسلام في هذه المعركة بين الأبعدين وباعد الكفر بين الأشقاء والأقربين وكانت وقعة بدر من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام.

مزنة: صحيح يا أماه... صحيح... واراح الله المسلمين من عدوهم اللدود أبي جهل لعنه الله إلى يوم الدين.

سلمى: وابتدأت الغزوات والسرايا بعد وقعة بدر تتري في شكل منظم في سبيل نشر العقيدة وتثبيت الإسلام.

مزنة: ما معنى غزوة وسرية.

سلمى: الغزوة هي الحملة العسكرية التي يقودها ﷺ بنفسه سواء حارب فيها أو لم يحارب والسرايا هي التي يرسل فيها أحد قادته. . .

مزنة: ما أحب الحديث عن النبي ﷺ إلى قلبي.

سلمى: وهل هنالك شيء في الدنيا أحب إلى النفس المؤمنة من أن تسمح أو تتحدث عما تعرفه عن هذا الرسول الأعظم ﷺ فإلى الغد إن شاء الله.

مزنة: إلى الغد إن شاء الله. تصبحين على خير يا أماه.

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي.

الحلقة ـ ٣٣ ـ

مزنة: أماه وصلنا بالأمس إلى انتصار المسلمين المؤزر في بدر فماذا كان صداه داخل المدينة المنورة.؟

سلمى: عند وقوع معركة بدر كان سكان المدينة يتألفون من عناصر ثلاثة: المسلمون واليهود والمنافقون.

مزنة: بالطبع اليهود والمنافقون كانوا يتمنون بل ويتوقعون الهزيمة للمسلمين والنصر والغلبة للمشركين في هذه المعركة.

سلمى: نعم يا بنيتي. . . لقد نظم اليهود والمنافقون قبل وصول البشير بنصر المسلمين إلى المدينة حملة من الأرجاف وبلبلة الأفكار وكان المسلمون الذين تخلفوا عن حضور المعركة يعيشون على أعصابهم حتى جاء زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة مبشرين من قبل النبي ﷺ بالانتصار فعمت البهجة والسرور نفوس المسلمين.

مزنة: وكيف كان وقع نبأ المعركة على قريش في مكة؟

(أصوات متداخلة متشابكة ومبهمة. . وهمسات خفيفة وقائل يقول):

الأول: لقد نجت العير وسلمت تجارتنا وقافلتنا.

الثاني: ولكن رجالنا الذين ذهبوا للقاء محمد في بدر ماذا جرى لهم ما هو مصيرهم؟

الثالث: وهل تشك في أنهم قضوا على محمد ومن معه؟

الرابع: إن أخبار النصر لا تخفى...

الأول: وأخبار السوء لا تخفى أيضاً..

الثاني: انظروا أيها القوم أني أرى أحد فرساننا قادماً وهو يلهث أعياء هلموا إليه...

أصوات: هلموا.. إليه... هلموا... إليه...

أحدهم: ما وراءك يا حيسمان؟؟

الثاني: قل وبشر..

الحيسمان: (وهو يلهث) هزمنا.. هزمنا.. قتل عتبة وشيبة وأبو جهل وأمية ابن خلف وغيرهم من صناديد قريش.

صفوان ابن أمية: إنه مجنون يا قوم.. لا تصدقوه.. أسالوه إن كان يعقل...

الحيسمان: لقد رأيت أباك وأخاك يا صفوان صريعين على أرض بدر وتقول أني مجنون... أنك أنت المجنون.

أبو لهب: يا قوم... يا قوم... جاءكم سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخ محمد من الرضاعة وعنده الخبر اليقين قل يا بن الحارث ما صنعت اللات والعزة بأخيك من الرضاعة.

سفيان بن الحارث: والله يا أبا لهب ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم

أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأ سروننا كيف شاؤوا، وأيم الله ما لمست الناس.. لقد لقينا رجال بيض على خيل بلق بين الماء والأرض.. والله لا يقوم لها شيء.

أبو رافع: تلك والله الملائكة.. تلك والله الملائكة.. وأنا أبو رافع..

أبو لهب: اسكت أيها الصابئي.. خذ.. خذ..

أم الفضل: أتضربه يا عدو الله.. لقد استضعفته واستأسدت عليه في غياب سيده.. خذها مني.. خذها مني.. يا عدو الله..

سلمى: وضربت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب أبا لهب بعامود من الأعمدة التي كانت في حجرتها فشجت رأسه شجة منكرة فقام من بين القوم ذليلاً مهاناً ولم يعش بعد ذلك إلا سبع ليال هلك بعدها بداء العدسة.

مزنة: وما هي العدسة يا أماه.

سلمى: مرض معد مشهور عند العرب كانت تتقيه كما نتقي نحن إلا أن مرض الطاعون... وعندما هلك أبو لهب تركه أبناؤه ثلاثة أيام حتى انتهى لأنهم خافوا من العدوى ثم استحيوا عندما قام عليهم المجاورون فاحتملوه وأسندوه إلى جدار ورضموا عليه الحجارة..

مزنة: لعنة الله عليه... إلى جهنم وبئس القرار... طيب يا أماه وماذا كان تأثير معركة بدر على سكان الجزيرة العربية...

سلمى: انتهت معركة بدر بالانتصار الحاسم للمسلمين وبتدهور سمعة قريش العسكرية والسياسية في بلاد العرب ورفعت سمعة المسلمين إلى القمة وجعلتهم سادة الموقف وخاصة في منطقة المدينة ولكن..

مزنة: ولكن ماذا؟

سلمى: هل استكان أعداء الإسلام بعد هذه الهزيمة المنكرة..؟

لا..

مزنة: كيف يا أماه...

(أصوات مبهمة تدل على اجتماع وصوت أبو سفيان يقول):

أبو سفيان بن حرب: يجب أن تخمد أصوات الثكالى والنائحات على قتلى بدر حتى لا تنهار أعصاب رجالنا ـ وغنانا.. فقد انقلبت مكة من أقصاها إلى أقصاها إلى مناحة مفزعة رهيبة.

صفوان: صدقت يا أبا سفيان.. يجب أن نمنع البكاء على قتلى بدر لئلا يشمت بنا المسلمون...

أبو سفيان: يا قوم أن صفوان ابن أمية فقد أباه وأخاه في المعركة وكان أولى منا جميعاً بالبكاء والحزن.. ومع ذلك فقد تجمل وها هو يطالبنا بمنع النواح والبكاء.

أحدهم: نعم الرأي.. يجب أن نعلن من فوق جبل ابن قيس حظر البكاء والنواح.

الجميع: موافقون.. موافقون..

أبو سفيان: علينا أن نوطد العزم على أن لا نمكن لمحمد وأتباعه من تحقيق أي نصر بعد اليوم يزيد من قوتهم ويقوي من شوكتهم.

عمير بن وهب: أرى أن نستعين بيهود يثرب والمنافقين فيها.

أبي بن خلف: صدقت يا عمير بن وهب يجب أن نستميلهم إلى جانبنا وأن نعبىء أنفسنا في سرية تامة وحذر من عيون المسلمين الموجودين ببن ظهرانينا.

صفوان بن أميه: سأكفيك شر أتباع محمد الموجودين في مكة سأنكل بهم أشد التنكيل وأعذبهم أشد العذاب يا أبي بن خلف.

أبي بن خلف: أنت لها يا صفوان.. أنت لها..

صفوان: لن يذهب دم أبي وأخي هدراً.. واللات والعزى لأنتقمن لها..

أبو سفيان: لقد اتفقنا أيها القوم فلنأخذ في التأهب استعداداً لمعركة الثأر القادمة..

سلمى: وفيما كانت قريش تستعد لمعركة الثأر كان اليهود والمنافقون في يثرب يبثون الفرقة بين المسلمين ويصطنعون جميع الوسائل لتصديع جبهة الأخاء بإثارة النعرات الجاهلية بين الأوس والخزرج وبالتشويش على المسلمين ومحاولة تشكيك البعض منهم في عقيدتهم..

مزنة: إن طبيعة الدس والتآمر متأصلة في نفوس اليهود فقد أصبحت جزء من كيانهم ومرضاً مزمناً في قلوبهم إلى يومنا هذا...

(اثنان يلهثان هما حبيب بن أخطب وأخوه ياسر):

ياسر: أهو هو... محمد.. الذي تتحدث عنه كتبنا يا حبيب.

حبيبي: إنه هو أي والله يا ياسر... أنه هو...

ياسر: أتعرفه وتسميه؟؟

حبيبي: نعم..

ياسر: فما في نفسك منه؟

حبيبي: «عداوته والله ما بقيت»...

سلمى: لقد زادهم غماً وملأ قلوبهم حسداً حين تأكد لديهم أن النبي ﷺ هو النبي الموعود الذي تحدثت عنه كتبهم وثوراتهم.. وزاد في

حسدهم بل وأقض مضاجعهم انتشار ظل الإسلام على أرجاء يثرب في سرعة مذهلة لم يكونوا يتوقعونها.

مزنة: لعنهم الله... لقد ضمن لهم رسول الله ﷺ حرية الرأي وحرية العقيدة والتصرف المطلق فيما يملكون فماذا يريدون أكثر من ذلك سماحة وتسامحاً؟

سلمى: لم يجد اليهود طوال تاريخهم ديناً يعاملهم بالحسنى ويمنحهم الحرية العقائدية والملكية والحرية الشخصية غير الإسلام فالمسيحية اضطهدتهم وعذبتهم... ولكنه مرض الحقد والحسد المزمن في نفوسهم وقلوبهم وحسد ما بينهم وبين أعداء الإسلام فأصبحوا جميعاً كتلة واحدة وأصبح مركز النبي ﷺ محفوفاً بالأخطار في المدينة.

مزنة: قاتلهم الله أنّى يؤفكون..

سلمى: لقد رأوا بعد معركة بدر أن فجر الإسلام قد بدأ يظهر ويمتد وأن لا سبيل للقضاء عليه إلاَّ بقتل قائد المسلمين..

مزنة: من.. يا أماه.. أيريدون قتل النبي ﷺ.

سلمى: نعم.. نعم..

مزنة: كيف.. يا أماه.. كيف..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله.

مزنة: إن شاء الله.. تصبحين عليّ خير يا أماه..

سلمى: تصبحين على خير يا بنيتي..

الحلقة ـ ٣٤ ـ

مزنة: تعالى يا أماه.. فقد انتظرتك طويلاً على أحر من الجمر..

سلمى: إنني أعرف السبب.

مزنة: إذا كنت تعرفينه.. فهلاً شفيت غلتي وظمأي لمعرفة المؤامرة الثانية على حياة الرسول الكريم ﷺ...

سلمى: لقد دهش العرب في الجزيرة للنصر الحاسم الذي حققه المسلمون في معركة بدر بل لقد عقدت الدهشة ألسنة الكثيرين من أعداء هذا الدين بهذا النصر غير المتوقع.

مزنة: وكان اليهود والمنافقون من أشد الناس استياء لهذا النصر المبين...

سلمى: كذلك كان الاستياء في ذروته بين الكفار من قريش وغير قريش ممن بلغهم هذا الانتصار.. وكان الاجماع منعقداً على الوقوف في وجه الزحف الإسلامي.. والصمود في سبيل هذه العقيدة مهما كلف الثمن.. وهكذا تضافرت جهود أعداء هذا الدين وابتدأوا يكيدون للإسلام فرادى وجماعات.

صفوان بن أمية: سمعت أن محمد يطلب الفداء من أسرى بدر مقابل اطلاق سراحهم فماذا أنت فاعل يا عمير بن وهب بابنك وهب الأسير الاتود أن تفديه.

عمير بن وهب: بودي ذلك لو أن لدي مبلغ الفداء.. فأنت تعلم أني لا أملك شيئاً وأني مثقل بالديون والعيال.

صفوان بن أميه: إن المبلغ جاهز لدي في أي وقت تطلبه.. إنما هنالك موضوع أحب أن أفاتحك فيه وكلي أمل أن يبقى مكتوماً بيننا..

عمر بن وهب: قل ولا تخف فسرك مأمون وعرضك مصون.

صفوان بن أميه: إنني اتعهد بدفع فدية ابنك وتسديد جميع ديونك وإعالة أولادك طيلة حياتهم.. إذا..

عمير: إذا... إذا... ماذا..؟.. قل وأوضح..

صفوان بن أميه: إذا قتلت محمداً..

عمير: وكيف يكون ذلك ومحمد محاط برجال أشداء من الأنصار والمهاجرين...

صفوان: أنت فارس قريش المجلى ولا يعجزك أن تتدبر طريقة لذلك..

عمير: دعني أفكر فيما عرضته على مفر جداً وقد كانت نفسي تساورني بقتل محمد من قبل لولا الدين والعيله..

صفوان: إنها خدعة لك ولبني قومك الذين إذ لَّهم محمد وقذف بهم إلى الحضيض وجعلهم موضع السخرية بين العرب.

عمير: نعم.. نعم.. إن زعامة قريش قد دفنت في رمال بدر...

صفوان: ولكنك وأنت الشجاع الجريء والبطل المغوار أتستطيع أن تغسل عار الهزيمة وتسترجع لقريش كرامتها السليبة...

عمير: اتفقنا... اتفقنا....

(يسمع صوت رنين النقود).

سلمى: واتخذ عمير طريقه إلى المدينة لتنفيذ هذه المؤامرة بطريقة انتحارية بعد أن وعده صفوان بما وعد..

مزنة: ولكن يا أماه هل كان مسموماً للمشركين أن يدخلوا المدينة.

سلمى: نعم.. كان في ذلك الوقت بالذات غير مستنكر وجود أي مشرك مكي في المدينة ولاسيما من جاؤوا لدفع الفدية..

مزنة: قولي يا أماه... قولي..

سلمى: ووصل عمير إلى المدينة متظاهراً بأنه إنما جاء ليدفع الفداء عن ابنه وهب الأسير.. وكان عمر بن الخطاب أول من رأى عميراً هذا فارتاب في نواياه.

مزنة: وكيف توفرت الريبة عند عمر رضي الله عنه.

سلمى: لقد رآه متوشحاً سيفه.. وكان عمر يعرف عنه بغضه الشديد للنبي ﷺ كما يعرف بأس عمير وشجاعته وجرأته.. ثم إن عمر رضي الله عنه شخصية لها من قوة الفراسة وبعد النظر وقوة الإدراك والعبقرية ما ستعرفينه في أحاديثنا القادمة إن شاء الله...

مزنة: وعندما ارتاب سيدنا عمر فيه ماذا فعل؟

سلمى: قال لمن كانوا معه، هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر.. وسأذهب إلى النبي في المسجد لأخبره عنه.. فأسرعوا أنتم معي لنتولى حراسة الرسول ﷺ.

صوت: سنفعل.. سنفعل.. سنفعل.. أسبقنا وسندخل في أثرك من دون أن يلاحظ عمير ذلك.

سلمى: ودخل عمر على النبي ﷺ وأخبره أن عمر بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه فأمره أن يدخله.

مزنة: قولي بسرعة يا أماه.. فأعصابي متوترة..

سلمى: وقاد عمر بن الخطاب عميراً هذا بحمائل سيفه بعد أن ربطها إلى عنقه حتى لا يمكنه من استعمال سيفه إذا ما حاول الغدر.

مزنة: لله درك يا بني الخطاب.. وماذا بعد ذلك.. قولي يا أماه قولي..

سلمى: ولكن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحل عميراً من وثاقه ثم طلب من عمير أن يدنو منه...

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

رافع: لقد كنت حاضراً يا عبد الله حيث أدخل بعمير بن وهب على رسول الله ﷺ فبالله عليك ألاماورويت لنا ما رأيت..

عبد الله: نعم كنت حاضراً ويدي على سيفي مستعد لقتل عمير لأقل بادرة منه وإذا بالرسول الأعظم يقول لعمير في هدوء وبساطة، ما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه..

قال: فما بال السيف في عنقك؟

قال: قبحها الله من سيوف.. وهل أغنت عنا شيء.

قال: أصدقت ما الذي جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذاك (أي لولدي الأسير).

فقال له رسول الله ﷺ بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر وذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى اقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك.. على أن تقتلني له.. والله حائل بينك وبين ذلك.

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

عمير: أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان.. والله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق.

رافع: إنها وربي معجزة..

عمير: إنها وربي معجزة من معجزات هذا النبي العظيم.. قل لي وماذا حدث بعد ذلك يا عبد الله؟

عبد الله: قال رسول الله ﷺ فقهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره...

رافع: وهكذا فشلت المؤامرة الصفوانية.

عبد الله: بل قل مؤامرة كفار قريش.

رافع: صدقت يا عبد الله.. كانت مؤامرة قريش.. حسناً ولكني لا أرى عسيراً بيننا بعد أن هداه الله إلى الإسلام.

عبد الله: لقد جاء إلى النبي ﷺ وقال:

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

عمير: يا رسول الله.. إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله... وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم...

سلمى: فأذن له النبي ﷺ.. وعاد عمير مع ابنه وهب إلى مكة... وكان صفوان يترقب وصوله بين آوانه وأخرى.. فكان يسأل عنه الركبان...

مزنة: وماذا جرى لصفوان بن أمية حين علم ياسلام عمير.

سلمى: غضب غضباً شديداً وحلف ألا يكلم عميراً أبداً ولكن عميراً جاءه بنفسه وقال له.

عمير: يا صفوان.. خذ.. هذه نقودك فقد من على رسول الله بإطلاق سراح ولدي وهب من دون فدية.

صفوان: وأخيراً صبأت يا أبا وهب.. وخيبت جميع الآمال المعقودة عليك...

عمير: إنني لم أصبأ يا صفوان بل هداني الله للإسلام على يد رسوله محمد ﷺ...

صفوان: اسكت.. اسكت.. لا تكمل كلامك..

عمير: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

صفوان: كفى.. كفى.. يا عمير.. إذهب في سبيلك إذهب..

عمير: لا.. لن أذهب إنني أدعوك للإسلام أنت يا صفوان.. قل معي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

صفوان: (هارباً) لقد سحرك محمد.. وأنني راحل عنك خشية أن أصاب بسحرك.

عمير: (صارخاً) لا تهرب.. لا تهرب.. يا صفوان إنني أدعو الله لك الهداية والرشد.

صفوان: (يخاطب نفسه وهو يلهث) يا الهي ما هذه القوة الخارقة التي يملكها محمد.. لقد خشيت أن أصبأ كما صبأ عمير وهو يردد شهادته..

مزنة: وهل أسلم صفوان بن أمية أم مات على كفره؟

سلمى: لقد أسلم بعد فتح مكة وعلى الأصح بعد وقعة حنين وحسن إسلامه.. وشهد معركة اليرموك وكان قائد إحدى الكتائب التي اشتركت في القتال ومات بالمدينة المنورة في اليوم الذي قتل فيه سيدنا عثمان رضي الله عنه..

مزنة: سبحانك يا الله ما أعظم قدرتك عمير يذهب مصمماً على قتل رسول الله ويعود مؤمناً برسول الله يدعو بدعوة ويؤمن برسالته.

سلمى: نعم لأنه دين من عند الله نزل به الروح الأمين على رسول الله ﷺ.

مزنة: ﷺ.

سلمى: إلى الغد يا بنيتي إن شاء الله.

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير يا أماه.

سلمى: تصبحين على خير.

الحلقة ـ ٣٥ ـ

مزنة: الحمد لله الذي باءت المؤامرة على حياة الرسول ﷺ بالفشل وكانت برهاناً ساطعاً على صدق الرسالة.

سلمى: نعم يا بنيتي ولكن كفار قريش لم يرتضوا هزيمة أحد وكان المنافقون الموجودون في المدينة يزودونهم بالأخبار واليهود وفي مقدمتهم كعب بن الأشرف يحرضونهم على قتال الرسول لأنهم يريدون القضاء على المسلمين والكافرين..

مزنة: ومن هو كعب بن الأشرف يا أماه؟

سلمى: هو كعب بن الأشرف الطائي يهودياً أمه يهودية أيضاً من بنى النضير كان يقيم في حصن له قريب من المدينة ما تزال آثاره باقية حتى اليوم عندما سمع بانتصار بدر قال:

(نقلة صوتية بدون موسيقى)..

كعب بن الأشرف: والله لأن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.. يا أم آزر.

أم منبه: أنظر من أعلى شرفات حصنك ألا ترى الجموع ألا تسمع الدفوف... ألا تفرق بين التهليل والتكبير والبكاء والعويل.

(أصوات طبول ودفوف.. وأفراح وقعقعة سلاح تردد):

الأصوات: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. سأذهب إلى مكة أعزي قريشاً في صناديدها وأحرضهم على قتال محمد... والله لئن استمر محمد في انتصاره فلن يكون لنا مكان في هذه المنطقة.

أم آزر: ولكن محمداً أطلق لنا حريتنا في ديننا وأموالنا لقد عامل المسلمون أحسن مما كان يعامل المسيحيون آباءنا...

كعب: ولكني أكره هذا الرجل.. أكرهه.. لا أطيق سماع اسمه.. لا أطيق.. لا أطيق.

أم آزر: رافقتك السلامة.. السلامة..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

سلمى: وذهب كعب بن الأشرف إلى مكة، ومعه بعض وجوه قومه واتباعه وأخذ يحرض كفار قريش على المسلمين ويدلهم على عوراتهم ناكثاً بذلك كل العهود والمواثيق التي أعطاها هو وقومه للنبي على أنفسهم.

مزنة: لقد أفقد النصر ببدر اليهود صوابهم فاشتد حقدهم على الإسلام وتضاعف نشاطهم ضده وضد حاملي دعوته...

سلمى: نعم يا بنيتي لقد اكتشف المسلمون عدة مؤامرات دبرها اليهود بغية القضاء على المسلمين ولكن المسلمين ظلوا ضابطين لأعصابهم...

مزنة: وماذا كانت نهاية كعب بن الأشرف اليهودي اللعين.

سلمى: عاد إلى حصنه بالمدينة بعد أن ألهب صدور قريش حمية وحماساً وحقداً وانتقاماً بأشعاره وخطبه فقد كان لعنة الله عليه شاعراً وخطيباً مفوها...

مزنة: وهل تركه المسلمون يسرح ويمرح ويدس ويكيد؟

سلمى: لا يا بنيتي... فعند ما اشتد ايذاء كعب بن الأشرف للمسلمين واندفع في تشبيبه بنسائهم وبناتهم قال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمه وهو من الأنصار وقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال نعم.. قال: فأذن لي أن أقول شيئاً. قال: قل...

مزنة: أماه ما معنى فأذن لي أن أقول شيئاً.

سلمى: يعني ألفق كلاماً.. وافتعل أسباباً لكي أصل إلى مرامي...

مزنة: (ضاحكة) يعني يقوم بكل الحيل والوسائل في سبيل الوصول إلى قتل كعب.

سلمى: نعم هو ذلك.

مزنة: وماذا جرى بعد ذلك يا أماه.

محمد بن مسلمه: يا أبا نائلة وأنت يا حارث هل توافقنا على القصة التي اخترعتها من أجل الوصول إلى كعب بن الأشرف.

الحارث: نعم موافق يابن مسلمه ولكن كيف الوصول إلى رأس كعب؟.

أبو نائله: عندي أنا؟.

محمد بن مسلمه: كيف يا أبا نائلة.

أبو نائله: أنك كما تعرف يابن مسلمة أني أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة ولا شك أنه يأتمنني ولكن في هذه المرة تمشي أنت ومعك اثنان وتعقد الصفقة مع كعب وعندما تتواعدان لتنفيذها سآتي أنا والحارث ولتكن المواعدة ليلاً...

محمد بن مسلمه: قل خطتك حتى تناقشها فأما أن نقرها أو نعدلها.

أبو نائله: إن كعب بن الأشرف يحب الطيب وهو يتعطر كالنساء.

الحارث: (ضاحكاً) لأنه زير نساء....

أبو نائله: فإذا نزل إلينا وجلس معنا سأمتدح عطره وريح طيبه ثم اطلب منه أن أشم رأسه وعند ذلك أتمكن من عنقه والباقي عليكم..

محمد بن مسلمه: يا لها من خطة رائعة..

الحارث: هيا بن مسلمه.. اذهب والله معك.

محمد بن مسلمه: يا كعب! يا كعب!

كعب: من الداعي.

محمد بن مسلمه: محمد بن مسلمة.

كعب: أهلاً... ادخل... وسهلاً بك ومن معك...

محمد بن مسلمه: عم صباحاً يا أبا آزر.

كعب: عم صباحاً يابن مسلمه.. ماذا تبغي؟.

محمد بن مسلمه: إن الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا

كعب: (بابتسامة ساخرة) وأيضاً والله لتملنه.

محمد بن مسلمه: أنا قد تبعناه فلا نحب أن ندعه حتى تنظر إلى أي شيء يصيب شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين.

كعب: نعم... أرهنوني.

أحدهم: أي شيء تريد.

كعب: أرهنوني نساءكم.

الثاني: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب.

كعب: فارهنوني ابناءكم.

أحدهم: كيف نرهنك ابناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو بوسقين.

محمد بن مسلمه: هذا عار وكلنا نرهنك اللأمة.

مزنة: وما هي اللأمة يا أماه.

سلمى: هي السلاح.

مزنة: وهل وافق كعب؟

سلمى: نعم وتواعدوا ليلاً فجاء محمد بن مسلمه ومعه أبو نائله والحارث فدعاهم إلى الحصن ونزل إليهم فقالت له امرأته.

زوج كعب: أين تخرج هذه الساعة.

كعب: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي ورضيعي أبو نائله. إن الكريم لو دعى إلى طعنة أجاب.

محمد بن مسلمه: عم مساء يا أبا آزر.

أبو نائله: عم مساء يا أخي.

كعب: أهلاً بكم.. أهلاً..

محمد بن مسلمه: جئناك بالرهن.

كعب: والوسقان جاهزان.

أبو نائله: (متضاحكاً) أراك في أحسن زينة وأبهى حلة فما شممت ريحا أطيب من عبيره.. فهل أنت على موعد.

كعب: صه يا أخي.. أتريد أن تسمعك أم آزر..

أبو نائله: أتخشاها... وهل مثلك يخشاها...

كعب: (ضاحكاً) ولكنها بعيدة عنا..

أبو نائله: إن ريح الطيب الذي تضمخ بها شعرك له نفحة غريبة لم أشم مثلها على أحد..

كعب: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

أبو نائله: أتأذن لي أن أشم رأسك..

كعب: ولم لا يا أخي..

سلمى: وبدا أبو نائله يشم شعر رأسه ثم أشم أصحابه.. وفي أثناء قبض على يدي كعب بقوة وصرخ..

(نقلة صوتية)

أبو نائله: دونكم عدو الله..

كعب: حتى أنت يا أخي تبيعني في سبيل محمد..

أبو نائله: أبيع نفسي ووالدي وأخي في سبيل الإسلام ورسول الإسلام..

مزنة: حقيقة يا أماه أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة الدم..

سلمى: صدقت يا بنيتي.. صدقت.. إلى الغد إن شاء الله..

مزنة: تصبحين على خير أماه..

سلمى: تصبحين على خير..

الحلقة ـ ٣٦ ـ

مزنة: أماه.. تعالي.. قولي وبعد أن أستمكن أبو نائلة من كعب بن الأشرف... ماذا جرى...

سلمى: ساعد الحارث أبا نائلة على وثاق كعب وقام محمد بن مسلمة وأخذ رأسه.. وأسرع الثلاثة إلى المدينة.. فلما اقتربوا حيث يقيم الرسول ﷺ كبروا فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوا كعباً فلما وصلوا إلى رسول الله قال لهم، أفلحت الوجوه... قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأس كعب بين يديه فحمد الله على قتله..

مزنة: ما أعظم روح التضحية التي كان يتحلى بها المسلمون الأوائل.

سلمى: إنها تلك الروح التي فتحوا بها أكثر آسيا وأفريقيا وأوروبا...

مزنة: لا بد أن قتل كعب قد أحدث رد فعل لدى اليهود يا أماه.

سلمى: نعم يا بنيتي لقد أصبح كل يهودي يخاف على نفسه ويتخذ لنفسه وأهله الحيطة من المسلمين ولكنهم لم يقلعوا عن الدس والتعاون مع أعداء الإسلام وخاصة كفار قريش... فقد نظم اليهود جهاز مخابرات سري يدل كفار قريش ويطلعهم على تحركات المسلمين وأخبارهم.

مزنة: لا يستغرب الحقد والمكر والدس على اليهود فذاك شيء يجري في دمائهم وعروقهم...

سلمى: وقد أثرت اتصالات اليهود على كفار قريش وأثمر تحريضهم بصورة فعالة على من فقدوا آباءهم أو أبناءهم في معركة بدر وخاصة عنصر الشباب بينهم...

مزنة: كيف يا أماه؟

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

عبد الله بن أبي ربيعه: أنصبر يا عكرمة على ذل الهزيمة في يوم بدر أترضى أن يذهب دم أبيك أبي جهل هدراً أتهنأ لك الحياة بعده؟

عكرمة: لا يا بن أبي ربيعه... ولكن شيوخ قريش لا تستمع إلى آراء شبابها... إني أتحرق شوقاً إلى الانتقام ممن قتلوا أبي.. وداسوا كرامة قومي وعزتهم تحت أقدامهم يوم بدر...

عبد الله بن أبي ربيعه: هلم بنا إلى صفوان بن أمية فإن مشاعره معنا... فقد آباه وأخاه في بدر... ثم أنه صاحب نفوذ وجاه... وله مكانة عند أبي سفيان هيا إليه... هيا إليه..

عكرمة: عم صباحاً يا عماه...

صفوان: عما صباحاً... ماذا تريدان... قولا ولا تخشيا...

عبد الله: أنت تعلم يا عماه نكبتنا يوم بدر فلقد كنت أكثر من اصطلى بنارها...

صفوان: نعم... لقد راح أبي وأخي في أتونها...

عكرمة: أتسكت هكذا بعد أن مرغ محمد أنوفنا في التراب.

صفوان: ولكن هل لديكما سبيل للانتقام؟

عبد الله: أرى أن نذهب إلى التجار الذين ربحوا من وراء تلك العير التي هرب بها أبو سفيان يوم بدر ونسألهم أن يعينونا بهذا المال على حرب محمد...

صفوان: لله أبوك يا عبد الله...

عبد الله: إنه رأي عكرمة يا عماه لكنه استحى أن يقوله...

صفوان: إن العصا من العصية...

سلمى: وراح الثلاثة إلى تجار العير من قريش وقالوا لهم أن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا.

سلمى: وكانت أعصاب كفار قريش متوفزة ومتحفزة لا تحتاج إلا لمن يقودها... فقد أثرت الدعاية اليهودية فيهم كثيراً وفجرت فيهم طاقات الثأر لقتلاهم ببدر... وانتهز أبو سفيان هذه الثورة النفسية فقال:

أبو سفيان: يا قوم لقد حانت ساعة الانتقام واشتاقت الأنفس إلى الثأر لكرامتها وعزتها... وآن لقريش أن تستعيد مكانتها، وأن تسترد سيادتها.. وتمحو وصمة العار التي لحقتها يوم بدر... إن قتلانا يستصرخون لنا... يطالبوننا بدمائهم التي أهرقت على رمال بدر... وأنتم يا وجوه قريش ويا أحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة أخرجوا بالضعن التماس الحفيظة وعدم الفرار فإني سأخرج بهند بنت عتبة.

عكرمة بن أبي جهل: وأنا بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة

الحارث بن هشام: وأنا يا عكرمة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة

أبو سفيان: وأنت يا صفوان بن أمية

صفوان: سأخرج ومعي برزة بنت مسعود الثقفية

أبو سفيان: وأنت يا عمرو بن العاص

عمر بن العاص: بريطة بنت منبه بن الحجاج

أبو سفيان: لا جناح على من ليس قادراً على الخروج بأهله

أصوات: إلى يثرب... إلى يثرب.. إلى الثأر... إلى الثأر...

(تدق طبول الحرب، ويسمع صهيل الخيل... وصليل السيوف وقعقعة السلاح... وفي غمرة هذا الضجيج نسمع صفوان ابن أميه يتحدث إلى ابن عزه الجمحي)..

صفوان بن أميه: ألا تخرج معنا يا أبا عزة الجمحي... فأنت الشاعر الفحل الذي سيلهب إنشاده الجموع حمية وحماسة...

أبو عزة: إن محمداً قد من على يوم بدر فأطلق سراحي من دون فدية ولا أريد أن أظاهر عليه يا صفوان...

صفوان: أعنا بنفسك ولسانك وبيانك فلك الله علي أن رجعت أن أغنيك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر...

أبو عزة: لبيك يا صفوان... لبيك...

صفوان: أخرج إلى كنانة واستحثهم على الخروج من معنا وسر بعد إلى أهل تهامة وسننتظر عودتك سريعاً

أبو عزة: سأفعل... سأفعل...

جبير بن مطعم: لله درك يا صفوان... لعمري أنك لساحر ما كنت أصدق أنك تستطيع إقناع أبي عزة الجمحي على الخروج معنا لقتال محمد...

صفوان: إنه الثأر... إنه الثأر... يا جبير بن مطعم... قل لي لماذا لا يخرج غلامك وحشي معنا للقتال فأنه بارع في قذف الحربة قذف الحبشة الذي قلما يخطئ...

جبير: لقد ذكرتني به... سأدعوه.. وأمنيه بالعتق إن قتل حمزة عم محمد يعمى طعميه.

صفوان: من يدري.. إنها الحرب... محك الرجال.. وميدان تجربتهم..

(تصدح موسيقى الحرب... ويسمع صوت ينادي)

الصوت: يا قوم... يا قوم... إن قائدكم اليوم هو أبو سفيان..

أصوات: مرحى... مرحى... مرحى...

(يبتدئ زحف جيش كفار قريش والموسيقى تصاحب الزحف... وأصوات تعلو وتخفت وكلما انضمت جماعة إلى الزاحفين يصيح أبو عزة الجمحي):

أبو عزة: هذه كنانة بخيلها ورجلها وظعنها ورحلها

أصوات: مرحى... مرحى... مرحى...

مزنة: لقد خرجت قريش في جمع غفير وعدد وفير

سلمى: نعم يا بنيتي... إن حماسها واستعداداتها قد بلغت ذروتها.

مزنة: وماذا فعل المسلمون؟

سلمى: لقد كتب العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ يخبره بخبر قريش وتجهيزاتها وعدتها وعديدها وأرسله مع رجل من غفار فلقى النبي ﷺ عند مسجد (قبا) وكان الرسول أمر أميا لا يقرأ ولا يكتب فدفع الكتاب إلى أبي بن كعب ليقرأه له وبعد أن عرف مضمونه أمره أن يكتم الخبر.

مزنة: ثم ماذا يا أماه..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

الحارث: لقد كنت ممن شهد موقعة أحد يا حكيم فهلا حدثتنا عنها..

حكيم: وبعد أن عرف النبي ﷺ بخبر زحف قريش على يثرب... أخذ في الاتصال بقادة المهاجرين والأنصار والتشاور معهم لمواجهة الموقف..

زيد: وماذا كان أول شيء فعله المجتمعون...

حكيم: وضعت المدينة في حالة استنفار عام وتمنطق الرجال فيها بسلاحهم لا يفارقهم حتى وهم في أوقات الصلاة وانتخبت مفرزة من الأنصار لحراسة النبي ﷺ في غدوه ورواحه ومنزله..

الحارث: يا لها من تدابير هائلة...

حكيم: وأرسلت دوريات من المسلمين لاستطلاع حركة الجيش المكي وترقب وصوله ومعرفة أين سيعسكر..

زيد: وكم كان عدد جيش كفاره قريش؟

حكيم: بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف رجل وخمسة عشرة امرأة..

زيد: وهل هذا العدد كله من القرشيين..

حكيم: لقد كان فيهم مئة من قبائل كنانة المتطوعين وألفان وتسعماية من قريش ومواليها وأحابيشها..

مزنة: ما معنى أحابيش يا أماه؟

سلمى: الأحابيش قبائل غير قرشيه، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه... حالفوا قريشاً... وسبب تسميتهم بالأحابيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبش يقع أسفل مكة وتحالفوا عنده على

أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم فسموا أحابيش باسم ذلك الجبل. . .

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى حربية وصوت يقول):

حكيم: وعسكر جيش قريش وأحلافها بالقرب من جبل عينين وسارع الرسول إلى عقد اجتماع مع قادة المهاجرين والأنصار للتشاور فكان الرأي في أول الأمر أن يتحصن المسلمون بالمدينة ويقاومون هذا الجيش الضخم وأخيراً تغلب رأي الخروج على الرأي الأول.

الحارث: وكم كان عدد المسلمين يا حكيم. .؟

حكيم: حوالي الألف رجل ولكن هذا العدد نقص إلى السبعمائة بعد أن انسحب منه ثلاثمائة مقاتل من المنافقين على رأسهم عبد الله بن أبي سلول. . . مدعياً أن النبي خالف رأيه لأنه كان من أنصار الرأي القائل بالتحصن في المدينة. . .

مزنة: وهل تعتقدين يا أماه إن انسحاب المنافقين كان بسب مخالفة النبي ﷺ لهم في الرأي.

سلمى: لا يا بنيتي إن الباعث الحقيقي لهذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق هو أحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم القرشيين.

مزنة: ياه يا لها من خطة ماكرة ومكيدة محكمة. . .

سلمى: ولكن هذه المؤامرة فشلت فشلاً ذريعاً إذ لم ينجح رأي النفاق عبد الله ابن أبي سلول في الانسحاب بأصحابه من أهل الريبة والنفاق. . .

مزنة: من حسن حظ المسلمين يا أماه فقد يكون بقائهم داخل جيش

المسلمين ساعة القتال عاملاً من عوامل تحطيم الجيش الإسلامي... إذ لا يبعد وهذه نواياهم الخبيثة أن يميلوا على المسلمين ساعة احتدام المعركة ثم ينضمون إلى عدوهم.

سلمى: ما أروع تحليلك يا بنيتي لهذه المسألة... ما شاء الله ما شاء الله... لعمري أنك مصيبة في تقديرك إذ أراد الله تطهير هذا الجيش من عناصر الناس والانهزامية ولينطبق على هؤلاء المنافقين قوله تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التوبة: ٤٧).

مزنة: صدق الله العظيم.

سامي: إلى الغد إن شاء الله تصبحين على خير أماه..

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير أماه..

سلمى: تصبحين على خير..

الحلقة ـ ٣٧ ـ

مزنة: أماه... لا شك أن حركة التمرد التي قام بها عبد الله بن أبي بن سلول قبل الالتحام في معركة أحد... كانت مؤامرة خسيسة قصد بها المنافقون تفتيت وحدة جيش المسلمين.

سلمى: نعم يا بنيتي... لقد كانت مؤامرة دنيئة هدفها إضعاف قوة المسلمين وكسر معنوياتهم وهم على أبواب معركة حياة أو موت. ولقد أنزل الله تعالى في عبد الله بن أبي بن سلول وزمرته الخائنة قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ . ٱلَّذِينَ قَالُوا۟

لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٧ ـ ١٦٨).

مزنة: صدق الله العظيم..

سلمى: وعسكر المسلمون في فم الشعب من أحد مستقبلين المدينة وجاعلين ظهرهم إلى هضاب جبل أحد...

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى حربية)..

الحارث: تابع حديثك يا حكيم عن معركة أحد...

حكيم: فتعبأ رسول الله ﷺ للقتال وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير الأنصاري وقال له «أنضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا. إن كانت لنا أو علينا فاثبت في مكانك لا نؤتين من قبلك. احموا ظهورنا فإن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا»...

زيد: لقد كان الوضع دقيقاً جداً بالنسبة للمسلمين فالتفاوت في العَدَ والعُدَد كبير جداً.

مزنة: ولماذا كل الاهتمام بالرماة يا أماه...

سلمى: لأن فصيلة الرماة أشبه بسلاح المدفعية في عصرنا هذا يا مزنة والخيل تخشى النبال وتحجم عن الهجوم على رماتها... ثم إن تمركز هذه الفصيلة في الجبل حماية للمسلمين من خطر التفاف المشركين وضربهم من الخلف ساعة احتدام المعركة..

مزنة: فهمت يا أماه فهمت...

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وتعبأت قريش فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعه... ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة العبدري وقال أبي سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

أبو سفيان: يا بني عبد الدار أنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم.. وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم.. إذا زالت زالوا تماماً فإمَّا أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه.

حكيم: فهم بنوا عبد الدار بأبي سفيان وتوعدوه وقال كبيرهم طلحة.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

طلحة: نحن نسلم إليكم لواءنا ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟

حكيم: فكان هذا التحمس من آل عبد الدار هو ما أراده أبو سفيان.

الحارث: يا له من داهية...

حكيم: وبعد إتمام التعبئة وتقارب الفريقين قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم وهي تقول:

هند: ويها بني عبد الدار... ويها حماة الأدبار... ضرباً بكل بتار.

(أصوات طبول وقعقعة سلاح وصهيل خيل وركض فرسان وأصوات من جانب المسلمين تقول):

الله أكبر... الله أكبر.. الله أكبر... الله أكبر.. أَمِتْ.. أَمِتْ..

حكيم: وابتدت معركة أحد واشتد أوارها وأبلى المسلمون بلاء حسناً في كفار قريش وأحلافهم وقتل عشرة من بني عبد الدار حول لواء قريش وأنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحصدوا الكفار بسيوفهم حتى كشفوهم عن معسكرهم وبدأوا يولون الأدبار وإذا بصوت يصرخ... محمد قتل.. محمد قتل...

الحارث: وكيف كان ذلك؟.

حكيم: لما رأى رماة المسلمين الذين أمرهم الرسول ألا يبرحوا مكانهم أبداً، هزيمة المشركين وأن المسلمين صاروا يجمعون غنائم قريش قالوا لأميرهم عبد الله بن جبير الأنصاري.

أحد الرماة: الغنيمة ظهر أصحابكم... ماذا تنتظرون؟

عبد الله بن جبير: أنسيتم يا قوم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟؟

أحد الرماة: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة هيا... هيا... هيا...

حكيم: ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقى من النفر الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير الأنصاري... وبينما المسلمون منشغلون بالنهب والغنائم إذْ دخلت خيل قريش يتنادى فرسانها بشعاراتها..

أصوات الفرسان: يا لعزي.. يا لهبل...

حكيم: ووضع كفار قريش السيوف في رقاب المسلمين وجاؤوهم من خلفهم فانتفضت صفوفهم وساروا يقتتلون على غير هدى بل ربما ضرب بعضهم البعض. وانهزمت طائفة منهم إلى المدينة فلقيتهم أم أيمن الصحابية وجعلت تحثو في وجوه الفارين التراب وتقول:

أم أيمن: هاكم المغزل فاغزلوا به وهلم السيف عودوا قاتلوا عن أعراضكم وديباركم وأبنائكم... عودوا... عودوا... الموت... ولا العار...

حكيم: وانتهز وحشي الحبشي غلام جبير بن مطعم انشغال حمزة رضي الله عنه بقتل أحد المشركين فرماه بحربته فتمكنت منه حتى خرجت من بين وركيه... وعندما وقع على الأرض ومات بقرت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بطنه وأخرجت كبده فلاكتها فلم تستسغها فلفظتها..

مزنة: يا للفظاعة يا للقساوة... ما أبشع الحروب.

سلمى: ومثل المشركون بكثير من قتلى المسلمين فجدعوا الآذان والأنوف واتخذت هند من ذلك قلائد وأقراط وخلاخيل..

مزنة: ما أقسى قلبها... وما كان أشد حقدها.

(نقلة صوتية)..

حكيم: ودافع حامل راية المسلمين مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئه وهو يظنه رسول الله وعندها صاح قائلاً: محمد قتل... فارتبك الناس وأتاهم العدو من خلفهم فازدادوا حيرة وخبالاً وهنا تجلت عظمة رسول الله ﷺ كقائد محنك.

الحارث: كيف يا حكيم...

حكيم: لم يكد الرسول يرى خالداً ينقض على المسلمين ويحتل الموقع الذي هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالمسلمين. ولم يكن أمامه في تلك اللحظات سوى سبيلين اثنين... إما أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالهرب إلى أي مكان تاركاً أصحابه

لمصيرهم المحتوم، وإما أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكي ينقذهم من خطر الإبادة والتهلكة ويجعل من مقره مكان تجمع لهم.

زيد: يا للحرج... يا لخطورة الموقف...

حكيم: وقد اختار الرسول السبيل الثانية فصاح بأعلى صوته..

(هلموا إلى... أنا رسول الله)..

مزنة: يا للشجاعة.. يا للبسالة النادرة..

سلمى: لقد أشار القرآن الكريم إلى موقف الرسول البطولي الرائع هذا الذي أنقذ به جيشه من الفناء المصيري فقال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٣).

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وسرى صوت الرسول الكريم فأعاد للمنهزمين رشدهم فأخذوا يتوافدون إليه ونجح الكثير من المطوقين في شق طريقهم عبر صفوف العدو غير مبالين بالخسائر الباهظة في الأرواح.

الحارث: ولا بد أن صيحة الرسول ﷺ قد نبهت المشركين إلى أنه حي لم يقتل ودلتهم على مكانه...

حكيم: نعم لئن كانت صيحة الرسول قد جمعت شتات المسلمين على صعيد الهزيمة فقد جعلت من الذات النبوية هدفاً لهجمات المشركين المتلاحقة السريعة التي ركزت اهتمامها على القضاء على شخص الرسول الأعظم للتخلص منه والقضاء عليه...

زيد: وعلى ذلك فقد دخلت المعركة في طور آخر وأخذت نيرانها في الاشتعال من جديد وبضراوة فظيعة..

حكيم: بلى يا زيد لقد احتدم أوار المعركة.. وأدرك الصحابة الخطر المحدق بنبيهم فتدافعوا نحوه وأخذوا في إقامة سور بشري من أنفسهم لمواجهة ضربات المشركين المسددة إلى الرسول شخصياً..

الحارث: لا شك أن معركة أحد كانت أعظم معركة خاضها النبي ﷺ.

حكيم: أجل فقد ثبت النبي القائد لتلك الهجمات القرشية المتلاحقة وقاتل بضراوة وشجاعة منقطعة النظير ـ وجرح في وجهه الشريف عدة جروح وكسرت رباعيته وانشقت شفته ومع ذلك ظل ثابتاً كالطود يقاتل ويساعد الرماة ويعطيهم النبال بيده الكريمة.

زيد: قل يا حكيم فقد أثرتني.. وهززت أعصابي...

حكيم: وبعد أن تجمع لدى الرسول كثير من أصحابه قام بحركة ارتداد إلى مواقع حصينة في جبل أحد لتجنب المسلمين خطر التطويق والإبادة من جديد..

الحارث: ولا بد أن المشركين هاجموا المنسحبين لعرقلة انسحابهم...

حكيم: نعم.. ولكن المسلمين تصدوا للهجوم واوقعوا بالمهاجمين ضربات قاتلة حتى أن النبي ﷺ قتل بيده الكريمة أبي بن خلف الجمحي عم صفوان بن أمية إذ قذفه ﷺ بحربة قبل أن يقترب منه وقع على أثرها من فرسه وصار يتدحرج من شدة الضربة...

زيد: وقد سمعت أنه الشخص الوحيد الذي قتله الرسول ﷺ بيده الكريمة.

حكيم: نعم يا زيد...

مزنة: وهل نجح انسحاب المسلمين يا أماه؟

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله؟

مزنة: إن شاء الله تصبحين على خير؟

سلمى: تصبحين على خير؟

الحلقة ـ ٣٨ ـ

مزنة: حدثيني يا أماه هل نجحت خطة الانسحاب التي قام بها المسلمون يوم أُحد؟

سلمى: إليك يساق الحديث..

(موسيقى انتقالية)..

الحارث: وماذا يا حكيم بعد أن ترجل أُبيُّ بن خلف عن فرسه أثر الطعنة التي تلقاها من رسول الله ﷺ..

حكيم: لقد انقلب أُبيٌّ لعنه الله عن ظهر فرسه وصار يتدحرج على الأرض عدة مرات من شدة الطعنة والدم يتدفق من عنقه فاحتمله أصحابه وقد هلك وهو في طريق عودته إلى مكة.

زيد: إلى جهنم وبئس القرار..

حكيم: ونجح المسلمون في انسحابهم المنظم نحو هضاب جبل أُحد بعد اشتباكات متعددة تغلبوا فيها على خيالة المشركين الذين قاموا بمحاولات يائسة لإعاقة هذا الانسحاب.. وحينما وصل المسلمون إلى هضبة عالية من هضاب جبل أُحد جعلوا منها خط دفاع حصين تحدوا بها كل المحاولات التي قام بها المشركون لسحقهم أو تشتيتهم من جديد..

الحارث: ولا شك أن هذا الانسحاب الناجح قد نجّى المسلمين من خطر الإبادة..

حكيم: نعم يا حارث.. لقد سلم بهذا الانسحاب أكثر من ستمائة رجل من جيش النبي ﷺ البالغ عدده (٧٠٠) رجل..

زيد: ألم يحاول المشركون مهاجمة المسلمين في مركزهم الجديد..

حكيم: لقد حاولت كتيبة من الفرسان بقيادة أبي سفيان وخالد بن الوليد ضرب المسلمين في مقرهم ولكن المسلمين بقيادة عمر بن الخطاب شنوا هجوماً مضاداً وقاتلوهم حتى أجبروهم على الارتداد والهبوط إلى وادي أُحد..

الحارث: وماذا جرى بعد ذلك؟

حكيم: عندما فشلت هذه المحاولة يئس المشركون وقرر أبو سفيان إنهاء القتال ونادى بأعلى صوته..

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: يا معشر محمد..

الحرب سجال.. يوم بيوم.. يوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نُسَر.. أعْلِ هبل..

حكيم: وقد أمر النبي ﷺ أن يجيبه عمر بن الخطاب.. فأجابه: اللَّه أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

زيد: صدق والله.. لقد صدق.

حكيم: ولما سمع أبو سفيان صوت عمر بن الخطاب ناداه قائلاً:

هلم إلي يا عمر.. فقال رسول الله ﷺ لعمر:

إئته فانظر ما شأنه، فلما جاءه قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر.. أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللَّهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. فقال أبو

سفيان: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر..

الحارث: أليس ابن قمئة هو الذي قتل مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين يوم أُحد وأشاع أنه قتل محمداً..

حكيم: نعم يا حارث.. وعندما ارتحل أبو سفيان ومن معه نادى:

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: إن موعدكم بدر للعام القابل..

حكيم: فأمر النبي ﷺ أحد أصحابه ليجيبه:

أحد أصحاب النبي (ﷺ): نعم يا أبا سفيان.. هو بيننا وبينكم موعد..

حكيم: وحينما بدأ جيش أبي سفيان الرحيل قال النبي ﷺ لعلى بن أبي طالب أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم..

وخرج علي بن أبي طالب في أثرهم فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة..

مزنة: وكم كان عدد قتلى المسلمين في أُحد يا أماه؟

سلمى: سبعون شهيداً يا بنيتي..

مزنة: وقتلى المشركين؟..

سلمى: اثنان وعشرين قتيلاً..

مزنة: لا شك أن مركز المسلمين قد تأثر بعد معركة أُحد يا أماه..

سلمى: نعم لقد تأثر مركز المسلمين العسكري والسياسي نتيجة للانتكاسة

التي أصيبوا بها في أُحد وتعرضوا إلى مشاكل داخلية وخارجية..

فالمشاكل الداخلية كانت من المنافقين واليهود..

والمشاكل الخارجية كانت من الأعراب ومن قريش..

مزنة: كيف كان ذلك يا أماه؟..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

(هرج.. ومرج.. وضجيج.. وأصوات مبهمة تعلو وتهبط وأحدهم يقول)..

منافق: لقد انهزم محمد وقتل أكثر من كانوا معه..

منافق آخر: لو كان نبياً حقاً ما انهزم..

منافق ثالث: لو أطاع محمد رأي رئيسنا عبد الله ابن أُبي بن سلول ما أصابه..

مسلم: أسكت يا عدو الله.. إننا لم ننهزم أيها المنافق.. لو كنا منهزمين لتبعنا أبو سفيان بجيشه.. إنه لم يظفر بأسير منا ولا بأية غنيمة.

(أصوات ضحك وسخرية)..

منافق: إن قريشاً قد عسكرت بالروحاء استعداداً للهجوم على المدينة..

هيئوا أيها القوم أنفسكم.. وباعدوا بين منازلكم ومنازل أصحاب محمد..

يهودي: إن محمداً طالب ملك.. طالب عرش ودنيا.. فما أصيب نبي قط بمثل ما أصيب به محمد في بدنه وفي أصحابه..

يهودي: لقد قرأت سير الأولين.. ودرست التوراة والإنجيل.. فلم أسمع عن نبيّ يا عزرا نكب في معركة كما نكب محمد..

مسلم: أسكتوا أيها اليهود الأوغاد.. سيأتي اليوم الذي تحاسبون فيه حساباً

عسيراً على أرجافكم وتآمركم علينا نحن المسلمين الذين وادعناكم وأعطيناكم الحرية المطلقة في دينكم وأموالكم.

مسلم آخر: دعهم يا كعب فسيكون لنا معهم شأن قريب وأي شأن..

ألا تسمع.. ألا تسمع..

مسلم: نعم.. إنه مؤذن رسول الله عليه الصلاة والسلام يطلب الخروج في أثر العدو..

المؤذن: يا أبطال أُحد.. يا أبطال أُحد.. إن رسول الله يدعوكم للخروج لمطاردة أبي سفيان ومن معه.. فالبدار البدار.. لا يخرجن معنا أحد.. إلا أحد حضرنا يومنا بالأمس..

(أصوات أبواق الحرب وصهيل الخيل وقعقعة السلاح وضجيج وهمساً مبهماً)..

أحد اليهود: عزرا.. يا عزرا.. النجاة.. النجاة.. النجاة.. إن المسلمين ما يزالون اقوياء.

عزرا: يجب أن تصل أنباء خروج المسلمين إلى قريش قبل أن يؤخذوا على غرة هلمّ بنا يا حزقيل.. فأنت خير من يقوم بهذه المهمة..

منافق: هيا بنا يا جندب.. هيا نتظاهر بأننا مع المسلمين فإن وفقوا رأوا أننا كنا معهم وإن انخذلوا كفينا شرهم..

منافق آخر: أجل إنها تعاليم رئيسنا عبد الله بن أُبي بن سلول..

منافق ثالث: لا تقل رئيسنا.. إنه لم يعد رئيسنا بعد أن أهانه المسلمون وأفحشوا في إهانته وإذلاله..

منافق: سنعرف كيف نثأر لإهانته.. فالاتصالات بيننا وبين اليهود وستؤتى أكلها قريباً هيا نحمس المسلمين..

منافق آخر: هيا.. هيا..

(أصوات.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر)..

كما تسمع حركات الزحف.. والخيل وأقدام المشاة..

حكيم: وتحركت قوة الجيش المدني بقيادة الرسول الأعظم الذي أعطى لواء هذه الحملة إلى علي بن أبي طالب وقد عمرت الدهشة المنافقين واستولى الذعر على اليهود وهم يرون هذا الجيش الذي ظنوا أنه هزم وأبيد، يتسابق أفراده في عزم وتصميم إلى حمل السلاح لمطاردة العدو الذي حسبوه أنه قد انتصر على المسلمين انتصاراً حاسماً..

الحارث: لقد كانت وأيم الحق خطة بارعة قام بها النبي ﷺ ولما لم يمض أكثر من نهار واحد على معركة أُحد..

حكيم: نعم يا حارث.. ولعلّ أبرز ما في هذه الحملة أن يرى المنافقون واليهود جرحى المسلمين في أُحد يهرعون إلى حمل السلاح، ويتدافعون للاشتراك في هذه الحملة حتى الذين كانت جراحهم غائرة تحاملوا على أنفسهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ وفي بعضهم عشرات الجراح.. وسارت هذه الحملة النبوية إلى موضع اسمه حمراء الأسد.

زيد: وأين كان أبو سفيان ومن معه؟..

حكيم: كانوا يعسكرون في الروحاء حيث عقد أبو سفيان ومن معه من القادة: أمثال صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبي جهل، ندوة استشارية يجترون فيها انتصارهم في معركة أُحد..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

عكرمة: يا أبا سفيان.. إنك الوالد والقائد.. فهل ترى كنت مصيباً عندما

سارعت في الانسحاب من أحد قبل أن نقضي على محمد ومن معه..

أبو سفيان: إن النصر الذي أحرزناه لم يكن نتيجة بسالة جيشنا وإنما جاء نتيجة غلطة رماة محمد لقد هزمنا في أول المعركة.. ووصلت سيوف المسلمين إلى نسائنا.. أليس كذلك يا عكرمة وأنت يا خالد.

عكرمة: ولكن جيش محمد انهزم..

أبو سفيان: يا بني.. إن جيش محمد انهزم فعلاً بعد غلطة الرماة عاد وتماسك وتحصن في الأماكن التي حاولنا احتلالها عدة مرات ففشلنا وقد كنت معنا في هذه المحاولات..

أحدهم: يا أبا سفيان.. لا محمداً قتلتم.. ولا الكواعب أردفتم.. بئس ما صنعتم.. إنكم قتلتموهم حتى لم يبق إلاّ الشريد، تركتموهم..

أرجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة..

صفوان ابن أمية: يا قوم لا تفعلوا.. فإني أخاف أن يجتمع عليكم من تخلف عن الخروج يوم أُحد.. فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم..

(هرج ومرج وأصوات تقول):

الأصوات: يجب أن نعود إلى يثرب.. لا يجب أن نعود إلى مكة بدون الأسلاب والسبايا إننا لا نوافق أبا سفيان.. ولا صفوان بن أمية.. عودوا بنا.. عودوا بنا..

أبو سفيان: يا قوم.. يا قوم.. لا تستمعوا إلى عواطفكم.. بل إلى عقولكم.. إن كثيراً من أصحاب هذه الأصوات المتأججة حماساً

رأيتها تولي الأدبار.. لا تلوي على شيء في بداية معركة أُحد.. ما أنتم والله بأشد مني حرصاً على الظفر والنصر وما دمتم مصرين على العودة فأنا معكم.. والويل لمن تحدثه نفسه منكم بالارتداد والهزيمة..

أصوات: مرحى لأبي سفيان.. مرحى.. مرحى.. مرحى..

(وصوت يقول بعد ذلك)..

الصوت: يا أبا سفيان.. لقد قدم رجالنا الذين بعثناهم يستطلعون أخبار محمد..

أبو سفيان: أدخلوهم حالاً..

(نسمع حركة دخولهم وأحدهم يقول)..

أحدهم: عم مساءً يا أبا سفيان..

أبو سفيان: عم مساءً ما وراءك؟..

أحدهم: لقد خرج محمد في جيش غير قليل لمطاردتنا وقد عسكر في حمراء الأسد..

أبو سفيان: ألم أقل لكم يا قوم أن تصيخوا لعقولكم ولا تستمعوا لعواطفكم.. هاهو محمد في آثاركم يطلبكم قبل أن تطلبوه..

صفوان: بن أمية: ربما جاء بمدد جديد لمقاتلتنا..

أبو سفيان: لا شك في ذلك.. لن يخاطر محمد إذا لم يكن واثقاً من نفسه..

أصوات: ما الرأي أيها القائد؟..

أبو سفيان: الرأي ما ترون..

أحدهم: يا أبا سفيان.. هذا معبد بن أبي معبد سيد خزاعة قادم للسلام عليك..

أبو سفيان: يا مرحبا به.. أدخلوه.. أدخلوه..

(يدخل معبد فينهض أبو سفيان ومن معه للقائه وهو يقول)..

يا مرحبا بك يا معبد.. أهلاً بأخ كريم وسيد عظيم..

معبد: حييت يا ابن حرب.. وهنيئاً لك بالنصر..

أبو سفيان: أبلغتك أخبارنا يوم أُحد..؟

معبد: بلى.. لقد سارت بذكرها الركبان ولكن..

أبو سفيان: ولكن ماذا.. قل بربك.. قل..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: إلى الغد يا بنيتي إن شاء الله..

مزنة: إنك تتعمدين يا أماه بتر حديثك في أحرج المواقف.. الأمر لله.. إلى الغد إن شاء الله..

الحلقة ـ ٣٩ ـ

مزنة: أريد أن أقول كما قال أبو سفيان: ولكن ماذا.. قولي بربك.. قولي.. فقد تركتني أمس في أحرج موقف..

سلمى: لقد قال معبد بن أبي معبد الخزاعي مخاطباً أبا سفيان:

(نقلة صوتية)..

معبد: يا أبا سفيان.. لقد رأيت في طريقي محمداً وقد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، ومعه من

كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج ـ والمهاجرين وقد تعاهدوا على أن لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا لقتلاهم وعزتهم وكرامتهم..

أبو سفيان: (بانزعاج) ويلك ما تقول؟..

معبد: أخالك تستريب فيما أقول..

أبو سفيان: حاشا واللات والعزى.. ولكننا أجمعنا الكرة على محمد وأصحابه حتى نستأصل بقيتهم..

معبد: إني أنهاكم عن ذلك وأحذركم من مغبته.. عمو مساء.. فإني راحل..

أبو سفيان: رافقتك السلامة..

(نقلة صوتية)..

حكيم: وبعد ذهاب معبد اختلى أبو سفيان بصفوان بن أمية وعكرمة ابن أبي جهل وخالد بن الوليد للتشاور فيما يجب أن يفعلوه بعد الأخبار الأخيرة وابتدرهم أبو سفيان قائلاً:

أبو سفيان: لا شك فيما قاله سيد خزاعة ولا سيما وقد جاء بذلك رجالنا الذين أرسلناهم يستطلعون أخبار محمد فماذا ترون؟..

صفوان: لو لم يتلق محمد مدداً جديداً ما أقدم على هذه الحركة السريعة وإني أرى مواصلة العودة إلى مكة..

أبو سفيان: ولكن مواصلة الانسحاب إلى مكة يجعل مركزنا حرجاً عند العرب عندما يعلمون أننا انسحبنا إثر خروج محمد لمطاردتنا وسيكشف للعرب أننا لم ننتصر حقاً في معركة أُحد..

عكرمة: هذا صحيح يا عماه.. وإني ما زلت عند رأي أن ننهد للقاء القوم فإما نصر مؤكد وإما غير ذلك..

أبو سفيان: إن مرجل الشباب يغلي فيك يا عكرمة والحرب خدعة يا بني.. وجيش محمد حانق متوثب وقد بلوناهم في بدر وعرفناهم في الصفحة الأولى من معركة أُحد..

خالد: الرأي لك يا عماه.. وما علينا إلا السمع والطاعة..

أبو سفيان: بورك فيك يا خالد وبورك للشباب في عكرمة.. إني أرى أن نتحاشى الاصطدام وأن نحمل أحد المتوجهين رسالة تهديد إلى محمد نضمنها أننا عقدنا العزم على مهاجمته في حمراء الأسد فقد يرهب ويرتد إلى المدينة..

صفوان: هو ما تقول يا أبا سفيان..

أبو سفيان: انظروا أي الركبان في طريقه إلى المدينة..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وحمل أبو سفيان ركباً من بني عبد القيس رسالة تهديد إلى النبي ﷺ الذي تجاهل هذا التهديد وظل في مكانه بحمراء الأسد ثلاثة أيام يوقد النيران طيلة لياليها ليدل قريشاً على مكانه وأنه على عزمه مستعد لخوض المعركة.

زيد: إذن لم يفد هذا التهديد أبا سفيان شيئاً..

حكيم: لا يا زيد.. لقد اضطر أبو سفيان تجاه ثبات المسلمين أن يعود أدراجه إلى مكة وهكذا رجع ﷺ بجيشه إلى المدينة بعد أن استعاد للمسلمين هيبتهم ومكانتهم في النفوس بهذه الحملة الجريئة..

مزنة: لقد سجل النبي ﷺ بهذه الحركة العسكرية البارعة نصراً سياسياً وعسكرياً باهراً..

سلمى: نعم يا بنيتي.. لقد اثبت الرسول القائد العظيم بهذه الحركة السريعة

للعرب أجمعين أن أبا سفيان لم يكن منتصراً حقيقة في معركة أُحد، وأن نصره لم يكن ألا نصراً مزيفاً جاء نتيجة غلطة فحسب.

مزنة: والمنافقون واليهود.. لا شك أثرت فيهم هذه الحملة النبوية السريعة..

سلمى: بلى يا بنيتي ولكنهم لم يتوانوا في الدس والأرجاف والشماتة والسخرية والتآمر..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

عبد الله بن سلول: انظر يا مسافع هل من أحد يسترق السمع؟..

مسافع: لا يا بن سلول فالطرق إلى دارك محروسة برجالنا الأشداء..

ابن سلول: إذا جاء سيد رهط عُضَل والقارة فادخلوه إلي واحرسوا المداخل والأبواب من عيون المسلمين..

مسافع: كن مطمئناً يا بن سلول..

ابن سلول: بورك فيك..

(يذهب ويقول ابن سلول لمن معه)..

كلما قلنا إن أمر المسلمين سائر إلى الزوال، أراهم يستردون قواهم ويجمعون أمرهم وقد أصبحت لا أطيقهم بعد أن تجرأوا عليَّ أنا سيد يثرب.. أهان يا أخنس من قبل صعاليك قريش الطرداء من بلادهم.. العالة على بلدي وقومي.

الأخنس: صدقت يا مولاي.. فحادثة الأمس القريب معك قد ألهبت نار الحقد والبغضاء في صدورنا.. والله لولا انسحابك وتجنبك الفتنة لأنتقمنا لك منهم بسيوفنا..

ابن سلول: بورك فيك.. بورك فيك..

(يدخل مسافع)..

مسافع: هذا عمرو سيد رهط عضل والقارة إليك..

ابن سلول: عم مساءً يا عمرو..

عمرو: عم مساءً يا بن سلول..

ابن سلول: لقد رأيتم ما صار إليه أمر محمد.. إن هزيمته في أُحد أصبحت نصراً له بعد حملته إلى حمراء الأسد وأرى أننا إذا بقينا في استخذائنا هذا سيصبح محمد سيد العرب أجمعين..

عمرو: ما الرأي عندك يا بن سلول؟..

ابن سلول: أرى أن نأخذ أصحاب محمد بالحيلة..

عمرو: كيف يا بن سلول؟..

ابن سلول: مثلاً تطلبون منه أن يرسل معكم من يفقهكم في الدين ويعلمكم الإسلام.. وتغتالوهم في الطريق..

عمرو: ولكن محمداً سيغزونا وأنتم تعلمون أننا لا قبل لنا بجمعه..

ابن سلول: تدعون أن جماعة من كفار قريش هم الذين كمنوا لكم في الطريق وقتلوا من معكم..

عمرو: رأي سديد.. ولكن هذا لا يكفي..

ابن سلول: أتريد رأس القوم..

عمرو: نعم أريد رأس محمد..

ابن سلول: هذا أمر نعد العدة له مع من جاورنا من اليهود ونتراسل في شأنه مع قريش في مكة كن مطمئناً.. المهم هو أن نقضي على المتفقهين في الدين من رجاله والرؤوس المدبرة حول محمد وأحب أن أزيدك

إيضاحاً أنك ستسمع بمثل ما ستفعل في مكان آخر..

عمرو: لله درك يا بن سلول.. عم مساءً..

ابن سلول: عم مساءً.. ولتكلؤك السماء..

(يسمع اصطفاق الباب بعد خروج عمرو وابن سلول يقول)..

أجل سيأتي اليوم الذي أتربع فيه على عرش يثرب..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

زيد: حدثنا يا حكيم عما تم بعد حملة حمراء الأسد..

حكيم: قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله: «إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام»..

الحارث: من أي القبائل كان رهط عضل والقارة؟..

حكيم: كانا قبيلتين من الهون بن خزيمة بن مدركة، وقد استجاب الرسول لطلبهم وأرسل معهم نفراً من أصحابه وهم مرشد ابن أبي مرشد وخالد ابن البكير وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق.

فلما كانوا على الرّجيع وهو ماء لقبائل هذيل في موضع بين عسفان ومكة غدر رهط عضل والقارة بمن معهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع أصحاب الرسول وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقال لهم كبير الهذليين:

(نقلة صوتية)..

كبير الهذليين: يا معشر محمد إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب

بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ نقتلكم..

مرتد: أتريدون بيعنا واسترقاقنا لن يكون ذلك وفينا عرق ينبض..

خالد: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً يا مرتد..

عاصم: صدقت يا خالد..

ما علتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل والموت حق والحياة باطل
وكل ما حَمَّ الإله نازل بالمرء والمرء إليه نائل

حكيم: ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا ثلاثتهم وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة، فأعطوا بايدهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بقرب مكة أنتزع عبد الله بن طارق يده من القيد ثم أخذ سيفه واستأخر عنه فرموه بالحجارة حتى مات.

زيد: وماذا جرى لخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة؟..

حكيم: قدموا بهما إلى مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.. فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه وأما زيد ابن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بابيه أمية بن خلف، وبعث به مع مولى له اسمه نسطاس إلى التنعيم ليقتلوه.

زيد: يا للغدر.. يا للفظاعة..

حكيم: واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان الذي ما أن رأى زيداً يقدم للقتل حتى قال له:

أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد.. أتحب أن محمداً عندما الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟

زيد: والله يا أبا سفيان ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي..

أبو سفيان: والله ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً..

حكيم: وأما خُبيب حين جيء به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم:

خبيب: يا قوم ـ إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا..

أحدهم: دونك فاركع..

حكيم: فركع خبيب ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال:

خبيب: لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة..

حكيم: ثم رفعوه على خشبة ـ فلما أوثقوه قال:

خبيب: اللَّهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا.. اللَّهم أحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.. (ولست أبالي حين أقتل مسلماً. على أي شق كان في الله مصرعي)..

حكيم: وحين بلغ المنافقين مقتل أصحاب السرية قالوا يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا..

لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم.

فأنزل الله تعالى في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ

ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٧)..

مزنة: صدق الله العظيم..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: إلى الغد إن شاء الله يا بنيتي..

مزنة: إلى الغد إن شاء الله..

الحلقة ـ ٤٠ ـ

مزنة: أماه لقد حان وقت الحديث ـ هيا تفضلي..

سلمى: حاضر.. إلى أين وصلنا في حديثنا بالأمس؟..

مزنة: وصلنا إلى مقتل المسلمين الستة في حادث بئر الرجيع وشماتة المنافقين واليهود فيما جرى للمسلمين..

سلمى: نعم لقد كانت حادثة بئر الرجيع محك أهل الإيمان الصحيح الذين يرضي الواحد منهم بالقتل ولا تحصد نبيه شوكة..

مزنة: صحيح يا أماه، ولكنها برهنت أيضاً على خسة المنافقين ودناءتهم وكيدهم ومكرهم فلماذا لم يتخلص النبي ﷺ منهم.. من أعدائه في عقر داره.

سلمى: كلام جميل وسليم ما تقولين يا بنيتي.. لقد جاء عمر بن الخطاب بعد حادث أحد يستأذن النبي ﷺ في قتال اليهود والمنافقين بعد أن سفروا عن عدائهم للإسلام والمسلمين، فكان جواب النبي ﷺ له كما قيل:

إن لليهود ذمة علي فلا اقتلهم. والذمة هنا العهد فقد عاهدهم النبي ﷺ

كما تعرفين وعندما قال له عمر رضي الله عنه والمنافقون قال:

أو ليسوا يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

فقال ابن الخطاب: بلى.. ولكنهم امتنعوا عن القتال بجانب المسلمين فبدا بذلك أمرهم ـ وكشف الله سريرتهم ـ فقال النبي ﷺ:

لقد نهيت عن قتل من أظهر الشهادة يا عمر..

مزنة: ولا شك أن المنافقين وعلى رأسهم ابن سلول كانوا في نشوة وفرحة بعد حادثة بئر الرجيع..

(نقلة صوتية)..

حكيم: لقد كان حزن النبي ﷺ على من قتل من المسلمين في حادث الرجيع شديداً.. أما المنافقون واليهود فقد أثلجت صدورهم وأشرقت وجوههم بالبهجة والفرحة.. وطفقوا ينشرون أنباء هذه الكارثة ويبلغونها إلى كل مكان..

الحارث: قاتلهم الله..

حكيم: ويا ليتهم اقتصروا على النشر والأخبار فحسب بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك في مكائدهم ومؤامرتهم.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

مسافع: لقد أحكمت الخطة يا بن سلول ونفذها رهط عضل والقارة على وجه يضيع معه طالب الثأر.. ولقد كانت فجيعة المسلمين في من قتلوا وجيعة..

ابن سلول: سيرون من بأسنا أكثر وأكثر والأيام شهيدة.. إنني أرتقب رسول حُيي بن أخطب سيد بني النضير فأدخله حال قدومه.. وأرصد الطرق والمنافذ..

مسافع: أمرك يا بن سلول..

(يذهب ـ تدخل زوجته فيبتدرها قائلاً)..

ابن سلول: ما جاء بك يا أمة الله في هذا الليل البهيم؟..

الزوجة: إن جراح ابنك عبد الله تمضه وتؤلمه فهلاّ أرسلت في طلب من يعرفون..

ابن سلول: من قال له أن يشترك في معركة أُحد.. لقد نهيته.. ونصحته فلم يُصغ.. وعليه أن يتحمل وزر ما صنعته يداه.

الزوجة: إنه ولدك..

ابن سلول: ولكنه ولد عاق..

الزوجة: وإذا كان كما تقول أنتركه يموت؟

ابن سلول: إذهبي الآن وسأرسل في طلب من يعتني بأمره..

(تذهب ويدخل أحد أتباعه قائلاً)..

التابع: رسول حيي بن أخطب بالباب..

ابن سلول: أدخله حالاً..

الرسول: عم مساءً يا بن سلول..

ابن سلول: عم مساء يا بن جحاش.. ما وراءك؟..

ابن جحاش: لقد أعد حيي للأمر عدته والمهم أن يقتنع محمد بإرسال الحملة إلى نجد بناء على رغبة عامر ملاعب الأسنة فقد علمنا أن محمداً متردد.. يخشى عليهم أهل نجد..

ابن سلول: أبلغ حيياً أن الأمور تسير في صالحنا فليكن مطمئناً من هذه الناحية وعليه أن يمكن أمره مع الجهة المقابلة..

ابن جحاش: حسناً.. سأبلغه.. عم مساءً..

ابن سلول: عم مساءً..

(يخرج ونسمع اصطفاق الباب وابن سلول يقول مخاطباً نفسه)..

سيرى محمد وأصحابه منا الشدائد والأهوال..

ثم يصرخ.. مسافع.. مسافع!..

مسافع: لبيك يا بن سلول..

ابن سلول: أرسل أحد الأطباء لمعالجة ولدي عبد الله من جراحه..

مسافع: سمعاً وطاعة..

حكيم: ولم يمض على حادث الرجيع وقت طويل حتى أتى إلى النبي أبو براء عامر بن مالك ويعرف بملاعب الأسنة ـ وهو رجل من نجد ـ مسموع الكلمة في قومه فقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك ـ فقال رسول الله: إني أخشى عليهم أهل نجد قال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم يدعون الناس إلى أمرك..

زيد: وهل كان أبو براء رجلاً ذا مكانة في قومه.. يأمن على نفسه من أجاره وشمله بحمايته..

حكيم: نعم وكان من فرسان العرب المشهورين.. ولذلك وافق النبي ﷺ على إرسال وفد مؤلف من صفوة أصحابه ومن خيرة مثقفيهم وكان عددهم سبعين صحابياً برئاسة المنذر بن عمرو الأنصاري، وعندما وصل الوفد بئر معونة بعث أحد أعضائه بكتاب رسول الله إلى زعيم قبائل بني عامر وديار بني سُليم عامر بن الطفيل وهو ابن أخي ابن براء ملاعب الأسنة..

الحارث: ولا شك أنه قابلهم بالترحاب لأنهم موفدون في جوار عمه ويطلب منه.

حكيم: لم ينظر عامر في الرسالة بل عدا على حاملها فقتله واستصرخ قبائل بني عامر عليهم فرفضوا طلبه فلجأ إلى قبائل رِعْل وعَصية وذَكْوان وهم من بني سُليم فأجابوه إلى ذلك..

زيد: وسارع أصحاب الرسول إلى سيوفهم..

حكيم: واحتدم القتال واستشهد ثمانية وستون منهم ولم ينج إلاّ رجلان فقط هما كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري..

الحارث: وكيف نجوا من هذه المذبحة؟..

حكيم: جرح كعب فاندس بين القتلى وظن أنه قتيل.. أما عمرو بن أمية فقد كان في سرح القوم ساعة الهجوم على المسلمين فوقع في الأمر فأعتقه عدو الله عامر بن الطفيل..

زيد: إذن هو الذي نقل نبأ الكارثة إلى النبي ﷺ.

حكيم: نعم.. ويروى أن الرسول ما وجد على أحد مثلما وجد على شهداء بئر معونة.. وقد قتل عمرو بن أمية أثناء عودته إلى المدينة اثنين من رهط عامر بن الطفيل بقصد الثأر لقتلى بئر معونة وهو لا يعلم أن الرسول ﷺ قد أعطاهما أماناً..

الحارث: لا حول ولا قوة إلا بالله..

حكيم: وقد أصبح النبي ﷺ مسؤولاً عن ديتهما لأنهما قتلا وهم في جواره فخرج إلى قباء ثم مال إلى بني النضير مع وفد من كبار أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ليطلب من اليهود كحلفاء معه ومع بني

عامر المشاركة في دفع دية ذينك العامريين..

زيد: أستطيع أن أقول نيابة عنك يا حكيم إن اليهود لن يدفعوا شيئاً.. فالمال عندهم أغلى من أرواحهم وأعراضهم..

حكيم: صدقت يا زيد ولكن اليهود في هذه المرة أظهروا الترحيب بالوفد وأبدوا استعدادهم لإجابة الطلب قائلين:

نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، فيما استعنت بنا عليه..

الحارث: شيء غريب.. لا بد وأن هناك هدفاً آخر لليهود من وراء هذا الترحيب وهذا القبول..

حكيم: نعم.. لقد عقدوا اجتماعاً سرياً عاجلاً بينما كان النبي ﷺ جالساً في ظل جدار أحد حصونهم..

(نقلة صوتية)..

حيي: إنكم لن تجدوا محمداً على مثل حاله هذه.. إنه يستروح إلى جنب جدار أحد بيوتكم فمن رجل يعلو على سطح هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه..

سلام بن مشكم: لا تفعلوا يا قوم.. والله ليخبرن بما هممتم به وأنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه..

عمرو بن جحاش: أي عهد.. إنها فرصة العمر.. أنا لها.. أنا لها.. أنا لها.. إني صاعد لأخلصكم منه..

حكيم: ونزل الوحي على رسول ﷺ فقام من مكانه وقال لأصحابه لا تبرحوا حتى آتيكم.

الحارث: يا للتخلص الرائع الحكيم.. لا شك أن الرسول العظيم قد قدر ـ في يقين وسرعة ـ أن اليهود إذا علموا أنه اكتشف مؤامرتهم لا

يستبعد أن يغتنموا فرصة وجوده في ديارهم مع قلة من أصحابه فيستعجلوا الفتك به قبل أن يتمكن من العودة سالماً إلى المدينة ولذلك أوهمهم أنه ذاهب لقضاء حاجة.

مزنة: الحمد لله ـ لقد فوت ﷺ على اليهود فرصة قد تكون من أثمن فرصهم للقضاء عليه..

سلمى: لقد نجى الله نبيه من مؤامرتهم ومنحه فرصة التخلص منهم.

مزنة: وكيف كان ذلك؟..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وقد اعتبر النبي ﷺ ما اعتزم اليهود القيام به من الفتك به غدراً في ديارهم نقضاً للعهد الذي بينه وبينهم فاستدعى إليه محمد بن مسلمة الأنصاري وقال له: «اذهب إلى يهود بني النضير وقل لهم ـ إن رسول الله أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادي ـ لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر»..

وقد أجلتكم عشراً فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه.

الحارث: وماذا كان صدى هذا الإنذار عند اليهود؟..

حكيم: لقد انهار اليهود.. وتجهزوا للرحيل على إبلهم وإبل استأجروها من إحدى القبائل المجاورة ـ ولكن زعماء النفاق في المدينة وعلى رأسهم عبد الله ابن أُبي بن سلول أرسلوا إليهم يشجعونهم على البقاء ـ ويطلبون منهم رفض الإنذار والاستعداد لحرب المسلمين وأنهم سيمدونهم بألفي مقاتل وأنهم سيتصرخون يهود بني قريظة وقبائل غطفان لتهب لمساعدتهم..

زيد: ونتيجة لهذه التحريضات والتأكيدات رفضوا الإنذار..

حكيم: نعم لقد أرسلوا للنبي ﷺ من يبلغه رفض الإنذار قائلين:

إنا لا نخرج من ديارنا.. فاصنع ما بدا لك..

(نقلة صوتية)..

أصوات: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

(نسمع أصوات ابواق وقعقعة سلاح.. وصهيل خيل.. وهمسات فرسان)..

حكيم: وحاصر المسلمون بني النضير.. وامتنعت قلاعهم على المهاجمين فلجأ النبي ﷺ إلى وسيلة أضعف بها حماسة اليهود للمقاومة..

زيد: وما هي هذه الوسيلة يا حكيم..

حكيم: اليهود مشهورون بعبادة المادة والحرص الشديد على اقتناء الأموال.. وكانوا يملكون من بساتين المدينة ونخيلها أحسنها ـ فأمر النبي ﷺ بالبدء في قطع نخيل بني النضير وتحريقها.

الحارث: وقد جنّ اليهود حينما رأوا ذلك..

حكيم: نعم إذ أرسل حيي بن أخطب إلى النبي ﷺ يقول: «كنت تنهي عن الفساد فلم تقطع النخيل، فرفض احتجاجه واستمر المسلمون في التقطيع»..

زيد: ألم يسرع ابن سلول لمساندتهم أو تنجدهم قبائل غطفان؟..

حكيم: لقد انتظروا بدون جدوى وعد المنافقين وقطفان.. ولما اشتد حصار المسلمين لهم وقتل كثير من شجعان بني النضير وبعد حصار دام أكثر من عشرين يوماً قبل اليهود الجلاء على أن يخرجوا من منطقة يثرب جميعها إلى أي مكان يشاؤون وأن يسلموا للمسلمين كل ما يمتلكون من سلاح بكافة أنواعه وأن يحملوا من أموالهم ما تقدر على حمله إبلهم.

الحارث: وأين اتجه اليهود؟..

حكيم: اتجه بعضهم إلى الشام وأكثرهم إلى خيبر ولم يبق إلاّ يهوديان اثنان أسلما هما: يامين ابن عمير ابن عم عمرو بن جحاش الذي وكلت إليه مهمة اغتيال النبي ﷺ كما مر معنا والثاني هو أبو سعد ابن وهب..

مزنة: وقد حفظا بذلك أموالهما وساوى الإسلام بينهما وبين بقية المسلمين..

سلمى: نعم يا بنيتي ـ لقد اسلما قبل استسلام بني النضير ثم أعلنا إسلامهما فأحرزا أموالهما ـ وقد تقرب يامين بن عمير إلى الله تعالى بدم ابن عمه عمرو بن جحاش الذي أراد اغتيال الرسول ﷺ.

(خبطة صوتية قوية)..

مزنة: كيف جرى ذلك يا أماه.. قولي..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله.. وسأقص عليك معها حادثة أعظم من هذه وأجل.

مزنة: امري لله يا أماه.. إلى الغد إن شاء الله..

الحلقة ـ ٤١ ـ

مزنة: أماه.. وعدتني بالأمس أن تقصي على حادثتين، بل عبرتين حدثتا في غزوة بني النضير.

سلمى: نعم يا بنيتي ـ أما الحادثة الأولى فهي:

(نقلة صوتية)..

يامين بن عمير: إنك لتعلم يا أبا سعد أن محمداً هو رسول من عند الله بشر

به علماؤنا وأحبارنا الذين جاءوا من بيت المقدس يتوقعون قدومه ثم أمرونا أن نتبعه ولكن الحقد والكره البغيض المتأصلين في صدر حيي بن أخطب حالا دون ذلك..

أبو سعد بن وهب: أذكر ذلك ولا أنساه.. إن العالمين اليهوديين هما ابن الهبيان وابن جواس وقد ماتا ودفنا هنا في حارتنا هذه وهما ينتظران ظهور محمد..

يامين: إن محمداً سيظهر علينا وخاصة بعد أن قتل شجعاننا في الكمين الذي نصبه لهم ولا أظن أن مقاومتنا ستطول وإني قررت أن أراسل محمداً في إسلامي سراً ولكن أخشى أن يبطش بي ابن عمي عمرو بن جحاش فأنت تعلم مبلغ كرهه لمحمد.

أبو سعد: وأنا قررت أن أسلم فهات يدك وقل معي:

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

(يردد يامين معه الشهادة)..

يامين: إن لدي رجلاً من قيس أطمئن إليه وسيكون رسولنا إلى محمد.

أبو سعد: ورسولي معك..

يامين: نعم وسأستأجره أيضاً لتخليصي من عمرو بن جحاش.. فتعال معي إليه فإنه ينتظرنا في مكان سري حددته له..

(موسيقى وبعد ذلك صوت يامين يقول)..

يامين: سلام عليك يا سراقة..

أبو سعد: سلام عليك ـ من معك؟

ياميـن: إنه أخي أبو سعد بن وهب.. وقد أسلم مثلي ويريدك أن تكون رسوله إلى محمد..

أبو سعد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

سراقه: هنيئاً لك بالهداية يا أخي..

ياميـن: والآن نتركك لتذهب إلى النبي ﷺ وتخبره بأمرنا وتطلب لنا منه الأمان على أرواحنا وأموالنا..

سراقه: حسناً ـ السلام عليكم..

(يسمعون صوت عمرو بن جحاش يقول وهو يشهر سيفه)..

عمرو بن جحاش: آه.. يا ويلكم أيها الخونه.. قفوا.. لا تتحركوا..

يامين وأبو سعد: من عمرو بن جحاش.. لقد هلكنا وأيم الله..

سراقه: لا تخشيا منه.. إني معكما..

عمرو بن جحاش: لقد علمت بإسلامكما وظللت أراقبكما لأقبض عليكما متلبسين بالجريمة.. وأنت أيها العربي اتركنا وشأننا وأذهب بأمان..

سراقه: كيف أترك أخوي في الإسلام لتقتلهما وأسلم أنا.. لا.. أقتلني قبلهما إن استطعت..

عمرو بن جحاش: خذ.. خذ..

سراقه: يا مرحبا بالطعان في سبيل الإخوان..

(نسمع صوت صليل السيوف والضربات من الطرفين ويامين يقول لأبي سعد)..

ياميـن: أخشى أن يظهر على سراقة..

أبو سعد: لا تخف.. إن سراقة فارس ماهر..

(وبعد مجالدة غير يسيرة تغلب سراقة على عمرو بن جحاش، وفرز سيفه في صدره فوقع عمرو على الأرض وهو يجأر)..

عمرو: آه ـ قتلتني ولم يحرك قريباي ساكناً.. لقد شدهما الإسلام إليك.. أكثر.. مني آه ما أقوى رابطة الإسلام.. آه.. آه..

(ثم فاضت روحه فالتفت سراقة إلى يامين وأبي سعد وقال لهما)..

سراقه: هيا أنجوا.. وأتركاني انصرف بالجثة..

يامين: لك عندي مكافأة خمسة أوسق من تمر..

سراقه: لا أريد منكما جزاءاً ولا شكوراً.. لقد قتلته في سبيل الإسلام.. هيا أذهبا على عجل هيا..

(نسمع ركضهما)..

مزنة: نعم ما أشد رابطة الإسلام وأقواها.. الحمد لله على نعمة الإسلام والحمد لله على الخلاص من عدو الله عمرو بن جحاش.

سلمى: الحمد لله.. الحمد لله.. أما الحادثة الثانية فهي:

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

زيد: ولا بد أن غنائم المسلمين من وراء غزوة بني النضير كثيرة جداً يا حكيم..

حكيم: وبالرغم من الحرية المطلقة التي أعطاها النبي ﷺ لبني النضير ليحملوا على إبلهم كل ما يقدرون حمله حتى أن أحدهم صار يعمد إلى عتبة باب داره فيخلعها ثم يضعها على ظهر البعير.. بالرغم من كل ذلك فقد تركوا غنائم وغلالاً عظيمة مع مساحات شاسعة مزروعة بالنخيل وغيرها من الزروع..

الحارث: وكان نصيب المقاتلين من المسلمين كبيراً ولا شك..

حكيم: لم يقسم النبي ﷺ غنائم يهود بني النضير كما تقسم غنائم الحرب المقاتلين المسلمين وإنما قسّم هذه الغنائم على المهاجرين دون الأنصار.

زيد: وكيف كان ذلك يا حكيم؟..

حكيم: جمع رسول الله ﷺ الأنصار بعد انتهاء غزوة بني النضير ووقف فيهم خطيباً فقال ما معناه.

إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال.. فإن شئتم قسمت هذه الأموال التي أفاء الله علي وخصني بها مع أموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت فيهم هذه خاصة، (أي غنائم بني النضير) فقالوا:

بل أقسم هذه فيهم وأقسم لهم من أموالنا ما شئت فسرّ النبي ﷺ لموافقة الأنصار على طلبه..

مزنة: يا الله ما أكبر هذه الروح السامية التي أظهرها الأنصار نحو إخوانهم من المهاجرين..

سلمى: نعم يا بنيتي.. ما أعظمها واسماها.. لقد روى أن النبي ﷺ حين رأى من الأنصار ذلك قال:

اللَّهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار..

مزنة: اللَّهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار..

سلمى: وفي موقف الأنصار المشرف هذا أنزل الله تعالى قوله:

«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»..

وبهذه القصة صار للمهاجرين مال وديار عوضتهم بعض الشيء عما تركوا بمكة وأغنتهم عن أن يكونوا عالة على إخوانكم الأنصار.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

زيد: لقد كان حزن المنافقين ولا شك شديداً على جلاء بني النضير..

حكيم: نعم تأثر المنافقون ونزل بهم من الهم والغم أمر عظيم وخاصة رأس النفاق عبد الله ابن أُبي بن سلول لأن اليهود كانوا سنداً لهم في مقاومتهم للنبي ﷺ..

الحارث: ولكن الضربة التي نزلت ببني النضير قد حدت ولا شك من نشاط المنافقين..

حكيم: لقد سكن المنافقون ظاهراً.. ولكن دسائسهم ومكايدهم كانت مستمرة في الباطن..

زيد: إن إجلاء بني النضير قد قوى مركز المسلمين في المدينة وخلصهم من جار عدوهم وبنو النضير..

حكيم: هذا صحيح وقد انفسح المجال أمام المسلمين للقيام بحملات ضد الأعراب والقبائل المجاورة للمدينة فقد كانوا مصدر إزعاج وكانوا مع كل ناعق ضد النبي ﷺ..

زيد: الأعراب أشد كفراً ونفاقاً.

حكيم: وبالرغم من التوفيق الذي لازم الحملات الإسلامية ضد الأعراب والقبائل فقد ظل بنو قريظة شوكة في جنب المسلمين وكذلك وكرهم في خيبر ظل منتجعاً لكل دسائس ومؤامرة وقاعدة الانطلاق الدسائس والمؤامرات ضد المسلمين..

الحارث: ولا شك أن المنافقين في المدينة كانوا يغذون قاعدة الدس والتآمر في خيبر بكل ما يحصلون عليه من أخبار المسلمين..

حكيم: نعم «كما أن يهود بني النضير حين خرجوا من أماكنهم حول المدينة

هددوا بأنهم سيرفعون الأرض ويخفضونها بأموالهم ويجعلون عاليها سافلها على المسلمين..

(خبطة موسيقية)..

مزنة: قاتلهم الله أنى يؤفكون.. ألم يتخلص المسلمون من هذه الأوكار ويهدموها على من فيها.

سلمى: ستعرفين ذلك في الأيام القادمة إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله..

الحلقة ـ ٤٢ ـ

مزنة: أماه.. قلت في حديثك أمس أن يهود بني النضير بعد أن أجلوا من أماكنهم حول المدينة هددوا بأنهم سيرفعون الأرض ويخفضونها بأموالهم ويجعلون عاليها سافلها على المسلمين..

سلمى: نعم يا بنيتي.. قيل إن أحد زعماء بني النضير المدعو سلاّم بن أبي الحقيق عندما خرج كان معه جلد ثور مملؤ ذهباً وفضة وكان يضرب بيده على هذا الجلد ويقول مخاطباً المسلمين.. هذا الذي أعددنا لرفع الأرض وخفضها.. وإن كنا تركنا نخلاً.. ففي خيبر النخل..

مزنة: إنه صراخ الموتورين وجعجعة الحانقين لعنة الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين..

سلمى: وبعد جلاء بني النضير قام النبي ﷺ بحملات تطهيرية ضد الأعراب والقبائل المجاورة للمدينة كما قلت لك في المرة الماضية وفي إحدى هذه الحملات جرت محاولة لاغتيال النبي ﷺ للمرة الرابعة..

مزنة: وكيف كان ذلك؟..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)

زيد: حدثنا يا حكيم عن الحملات التأديبية التي قام بها الرسول ﷺ لقمع القبائل المجاورة للمدينة..

حكيم: لم يهدأ بال للمنافقين ولا لليهود من فلول بني النضير ومن بني قريظة ومن سكان خيبر فظلوا يتحينون الفرص للإيقاع بالمسلمين ـ وأخيراً وجدوا ضالتهم في القبائل المجاورة للمدينة وعلى رأسها قبيلة غطفان أكبرها وأشدها إيذاء للمسلمين فحرضوها على التجمع واستفزوها لغزو المسلمين..

الحارث: ولا بد أن مال اليهود قد أغرى قبائل غطفان ووسوسة المنافقين شجعتهم على الإقدام.

حكيم: نعم.. يا حارث.. ولكن النبي ﷺ فوت عليهم فرصة المبادرة..

زيد: كيف يا حكيم؟..

حكيم: عندما بلغ النبي ﷺ هذا التجمع الغطفاني سارع بالتأهب والخروج بسرعة من المدينة لتأديبهم، وعندما وصل الجيش الإسلامي إلى ذات الرقاع وجد غطفان قد استعدت لهم بجمع عظيم..

الحارث: وكم كان عدد جيش المسلمين؟..

حكيم: لقد كان أربعمائة مقاتل بينما كانت غطفان في حشد بلغ أضعاف جيش المسلمين.. فتقارب الفريقان.. إلا أنهم توقفوا حيث خاف بعضهم البعض الآخر وكان مشركو غطفان يعلمون أن المسلمين يقومون بأداء الصلاة جماعة في أوقات مختلفة فكانوا يترقبونهم محاولين أخذهم على حين غرة وهم يصلون.. فأوحى الله إلى نبيه

بأن يصلي بالناس صلاة الخوف وبين له كيفية أدائها..

زيد: أتحفظ الآيات التي رسمت للمسلمين صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو..

حكيم: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء: ١٠٢)..

زيد: صدق الله العظيم..

حكيم: ويظهر أن مشركي غطفان لم يتمكنوا خلال خمسة عشر يوماً من إيجاد ثغرة بين المسلمين للإيقاع بهم وأخذهم على حين غرة فبدأ الملل والخلف يتسرب بين صفوفهم ففضلوا الانسحاب وتفرقوا في رؤوس الشعاب..

الحارث: ألم يتعقبهم المسلمون حينما بدؤوا في الانهزام؟

حكيم: لا.. لم يفعلوا.. بل اكتفوا بالتشتيت الذي نال قبائل غطفان وألقوا عليهم درساً بأن المسلمين يستطيعون ليس فقط سحق أية قوة تحاول مهاجمة يثرب فحسب بل يقدرون على نقل المعركة إلى أرض العدو وضربه في عقر داره..

زيد: يا لعظمة الرسول.. وبعد نظره وصائب تقديره للأمور إن هذه الحركة السريعة بالقوة الضاربة البسيطة التي انتهت بتبديد هذا الحشد الكبير

من قبائل غطفان لا مرية إنها ألقت الرعب والفزع في قلوب كل من تحدثهم أنفسهم بمهاجمة المسلمين من القبائل الأخرى..

حكيم: نعم يا زيد.. ولكن قبائل غطفان وإن لم تأت بجمعها وقضها وقضيضها بشيء فقد لجأت إلى الغدر والوسائل الدنيئة الأخرى..

الحارث: وما هي؟..

حكيم: عندما قفل النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة وكان الوقت شديد الحرارة نزل برجاله في واد كثير الشجر وتفرق أصحابه يستظلون بالشجر واستروح النبي الكريم ظل شجرة بعد أن علق سيفه على أحد أغصانها وراح في نوم عميق فجاء غورث بن الحارث وهو من بني محارب وقد تعهد لقومه بقتل الرسول فاخترط سيف النبي ﷺ من الشجرة فأستيقظ الرسول فوجد (غورث) قائماً على رأسه والسيف مصلت في يده وهو يقول:

ـ أما تخافني؟..

قال:

ـ لا... وما أخاف منك؟

قال:

ـ أما تخافني وفي يدي السيف؟.

قال:

ـ لا.. يمنعني الله منك..

مزنة: يا لشجاعة الرسول ﷺ ورباطة جأشه.. قولي يا أمَّاه قولي.. ماذا حدث بعد ذلك..؟

سلمى: فوقع السيف من يد (غورث) فأخذه النبي ﷺ وقال (لغورث)..

ـ من يمنعك مني؟..

قال:

ـ يا محمد كن خير آخذ..

قال:

ـ تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..

قال:

ـ أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ـ فخلى النبي ﷺ سبيله فجاء إلى قومه فسألوه:

(نقلة صوتية)..

أحدهم: ما وراءك يا غورث.. هل أجهزت على محمد..؟

غورث: لقد جئتكم من عند خير الناس.. وأكرم الناس..

رجل آخر: لقد سحرك محمد..

غورث: صه يا هذا.. وإلاّ أسكت فمك إلى الأبد..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وقد أسلم غورث فيما بعد وحسن إسلامه..

زيد: ولماذا سميت هذه الغزوة بذات الرقاع؟..

حكيم: لأن الأرض التي نزل بها جيش المسلمين كانت ذات ألوان تشبه الرقاع فيها بقع حمر وسود وبيض وقيل سميت بهذا الاسم لأن كثيراً من المسلمين في هذا الجيش كانوا حفاة لا نعال لهم فلفوا على أقدامهم الخرق لمقاومة الحفاء..

الحارث: وهل استكان المنافقون واليهود بعد أن رأوا نتيجة غزوة ذات الرقاع؟..

حكيم: لم يستكينوا بالشكل الذي يجب أن يكون.. وظلوا يعملون في الظلام بل لقد خرجوا من حجورهم حينما بلغهم أن قريشاً وعلى راسها أبو سفيان بن حرب تستعد لخوض معركة بدر الآخرة وفاء بتهديدها ووعيدها يوم أُحد..

زيد: نعم.. أذكر أن أبا سفيان نادى يومئذ (يا محمد الموعد بيننا وبينكم بدر العام المقبل) وأن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب أن يجيبه:

(هو بيننا وبينكم موعد إن شاء الله..)..

حكيم: ولما حال الحول.. أخذ الفريقان يستعدان لخوض معركة ثانية في بدر.. فحشدت قريش جيشاً بلغ عدد رجاله ثلاثة آلاف مقاتل.. وبلغ جيش المسلمين ألفاً وخمسمائة مقاتل..

الحارث: لقد كان جيش كفار قريش ضعف عدد جيش المسلمين..

حكيم: أجل.. غير أن أبا سفيان لم يكن متحمساً لهذا اللقاء فقد كان يخشى المسلمين ولكنه كان ملزماً بأن يفي بوعده ووعيده فكيف يوفق بين كرهه خوض هذه المعركة وسمعته بين العرب التي سوف تتدهور إن لم يفعل شيئاً..

زيد: صحيح إنه كان موقفاً حرجاً على أبي سفيان فكيف تغلب عليه؟..

حكيم: لا نقدر أن نقول تغلب عليه ولكنه حاول أن يفعل شيئاً في سبيل ذلك..

زيد: ما هو؟..

حكيم: لقد أرسل إلى المدينة من يشيع بين المسلمين أن قريشاً قد خرجت إلى بدر بجيش لم تشهده العرب من قبل وهو يهدف من وراء ذلك

تثبيط عزيمة المسلمين وإلقاء الرعب في قلوبهم لعلّهم يعدلون عن الخروج إلى بدر فيحصل له ما أراد من دون أن يعرف العرب أنه كان كارهاً للخروج إلى بدر..

زيد: يا له من داهية.. ومن كان رسول فتنته إلى المدينة؟..

حكيم: لقد استأجر رجلاً اسمه نعيم بن مسعود الأشجعي للقيام بهذه المهمة وجعل له مكافأة عشرين بعيراً إن وفق فيما أرسل له..

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: يا نعيم.. يا نعيم.. لقد بدا لي أن لا أخرج لقتال محمد وإني أكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا.. فيزيد المسلمون بذلك جرأة علينا.. وإنه لأحب إلي أن يكون الخلف من قبلهم من أن يكون من قبلي..

نعيم: ماذا تراني فاعلاً من أجلك؟

أبو سفيان: إلحق بالمدينة.. وأعلمهم أنّا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا وستجد في عبد الله بن أُبي بن سلول وأصحابه خير معين..

نعيم: وما هو جزائي عندك؟..

أبو سفيان: لك عندي عشرون من الإبل أدفعهما لك على يد سهيل بن عمرو..

سهيل بن عمرو: إني كفيل بالدفع يا نعيم فسر في مهمتك..

نعيم: حباً وكرامة..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: وماذا جرى بعد ذلك يا أماه؟..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله..

الحلقة ـ ٤٣ ـ

مزنة: أماه.. وصلنا بالأمس إلى سفر نعيم بن مسعود الأشجعي إلى المدينة في المهمة الدنيئة التي كلفه بها أبو سفيان..

سلمى: نعم يا بنيتي.. بعد أن ضمن له سهيل بن عمرو ما تعهد أبو سفيان بدفعه من الإبل له..

مزنة: وهل كان من السهولة بمكان وصول المشركين إلى المدينة..

سلمى: لم يكن ممنوعاً على المشركين دخول المدينة في تلك الفترة ولا سيما المشركون الذين هم على علاقة حسنة بالمسلمين.

مزنة: وهل كان نعيم منهم..؟

سلمى: نعم.. لقد كان نعيم شخصية عجيبة إن لم يكن عبقرياً فقد حافظ على حسن العلاقة مع المسلمين وكفار قريش وسأقص عليك في الأيام القادمة كيف أن نعيماً هذا لعب دوراً مشابهاً ولكن في صالح المسلمين..

مزنة: هات يا أماه.. هات..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى القافلة وصوت أحدهم يقول)..

أحدهم: من أين قدمت يا نعيم؟..

نعيم: من مكة..

الثاني: يا مرحبا بك.. يا مرحبا..

الثالث: وكيف خلفت من وراءك.. يا نعيم..

نعيم: خلفت ورائي الداهية الدهياء..

الأول: أعوذ بالله.. ماذا تقول يا رجل؟..

نعيم: خلفت ورائي جحفلاً لجبا من قريش أوله مرُّ الظهران وآخره أباطح مكة.. وكلهم متشوق متلهف.. حانق حاقد يريد لقاء المسلمين في بدر وفي المدينة..

الثاني: ما عدد هذا الجيش؟..

نعيم: إنه يربو على العشرة آلاف مقاتل.. لقد استنفرت قريش أحابيشها وحلفاءها من قبائل هوازن وثقيف وهذيل وأهالي تهامة والحجاز وجاءت في عديد لا قبل للمسليمن به وقد هرعت مسرعاً لأحذركم..

(أصوات مختلفة تبين كيف تتناثر الإشاعة)..

صوت: لقد سالت بجيش قريش أباطح مكة وأوديتها..

صوت: إنه يقدر بالألوف..

أصوات أخرى: لا أدري ماذا ستفعل بنا قريش إن هي استحلت المدينة..

صوت امرأة أخرى: أخشى ما أخشاه أن نؤخذ سبايا.. تباً للحروب..

(أصوات.. قريش.. أحابيش.. هوزان)..

ثقيف.. هذيل.. غطفان.. سليم..)..

صوت: لماذا نخرج إلى بدر.. لنقتل.. ليمثل بنا كفار قريش كما فعلوا يوم أُحد؟ لا يا قوم.. لنبقى في المدينة ندافع عن أعراضنا وأموالنا إذا ما هاجمتنا قريش..

آخر: إنه نعم الرأي.. يجب أن نقوله لرسول الله إنه لا يرضى أن يصيبنا ما أصابنا يوم أُحد..

(همسات وضجيج.. وأصوات مبهمة)..

ابن سلول: لقد أثلجت صدري يا نعيم بأخبار قريش.. لعمري أن نهاية محمد آتية لا ريب فيها..

نعيم: إني أخشى أن تكون أنت ومن معك من الضحايا إذا ما هاجم القرشيون المدينة..

ابن سلول: لا تخف.. سأنحاز بمن معي جانباً ونترك المسلمين لقريش يتخطفونهم كما يشاؤون..

نعيم: ولكن بين أصحاب محمد من هم من لحمك ودمك.. ولن يسرك أن يهلكوا..

ابن سلول: هل عندك حل لهذا الأمر..؟

نعيم: إن ما عندي من الأخبار يدل على أن أبا سفيان لن يهاجم المدينة إذا تخلف محمد عن الخروج إلى بدر.. أما إذا خرج فالويل لمن معه في بدر والويل والثبور لمن سيبقون في المدينة..

ابن سلول: إذن علينا أن نثبط المسلمين عن الخروج ونشجعهم على البقاء في المدينة.

نعيم: هذا هو الرأي الصواب..

(أصوات.. سندافع عن المدينة.. مالنا وللخروج إلى بدر.. أعراضنا وأموالنا وأطفالنا بالمدينة.. لمن نتركهم ونخرج إلى بدر..

أحدهم: لا تصدقوا هذه الإشاعات الكاذبة يا قوم.. أنسيتم وعد الله لكم بالنصر.. أنسيتم قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (القرة: ٢٤٩)..

الثاني: ولكن الخروج يا مسلمة فيه موت وتهلكة والله يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)..

(أصوات.. لا خروج لبدر.. ولا قتال في بدر)..

حكيم: وقذفت إشاعة نعيم بن مسعود الرعب في قلوب المسلمين وخمدت جذوة الخروج إلى بدر في نفوسهم وانتشرت هذه الإشاعة في طول المدينة وعرضها.. فسرّ اليهود والمنافقون سروراً عظيماً وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع..

زيد: ما أفظع ما كان يفعله اليهود والمنافقون في المدينة..

حكيم: وقد أحس كبار الصحابة بخطورة هذه الشائعة وغاظهم أن تسري بين الناس في المدينة سريان النار في الهشيم فجاء أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ وقالا له:

يا رسول الله.. إن الله مظهر نبيه.. ومعز دينه.. وقد وعدنا القوم (أي قريش) موعداً لا نحب أن نتخلف عنه.. فيرون أن هذا جبن.. فسر لموعدهم فوالله إن في ذلك لخيرة..

الحارث: يا لأصالة الرأي وصدق النصيحة..

حكيم: ولقد سرّ رسول الله ﷺ بذلك وأعلن أنه سيخرج إلى بدر وقال: والذي نفسي بيده «لأخرجن «وإن لم يخرج معي أحد» ثم أصدر أمره بالتعبئة فسرّي عن المسلمين ما كان قد أصابهم من خوف وما استحوذ عليهم من قلق نتيجة ارجاف نعيم بن مسعود وأعوانه من المنافقين واليهود..

صوت: (يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يدعوكم

للخروج إلى بدر فهلموا إلى ساحة القتال.. هلموا إلى الجهاد في سبيل الله..

أصوات مرددة: (الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..)..

(قعقعة سلاح.. وصليل سيوف.. وصهيل الخيل)..

حكيم: وقد استخلف النبي ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول أميراً على المدينة مدة غيابه في هذه الحملة.

مزنة: يا للحكمة والحنكة.. ابن رأس النفاق يصبح أميراً على المدينة في غياب النبي ﷺ..؟

سلمى: لقد كانت ضربة قاصمة لليهود والمنافقين وطعنة لهم في الصميم..

مزنة: وماذا فعل الله بنعيم بن مسعود..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى حربية)..

حكيم: وهرب نعيم بن مسعود واختفى في جحر من جحور أعوانه من اليهود والمنافقين وهو يعض أصابعه حزناً.. على ضياع المكافأة..

زيد: وماذا فعل أبو سفيان عندما بلغته أخبار خروج النبي ﷺ إلى بدر؟..

حكيم: كان أبو سفيان بعد أن بعث نعيم بن مسعود إلى المدينة واطمأن إلى وصوله جمع خلص أصحابه وقال لهم:

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: لقد بعثنا نعيم بن مسعود لثبط أصحاب محمد عن الخروج وقد جاءتنا الأخبار الأولية إنه جاهد في مهمته موفق فيها ولكني أرى..

عكرمة: ماذا ترى يا عماه؟..

أبو سفيان: أرى أن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع.. فإن كان محمد لم يخرج بلغه أنا خرجنا فرجعنا لأنه لم يخرج فيكون هذا لنا عليه.. وإن كان خرج أظهرنا أن هذا عام جدب ولم يصلحنا إلاّ عام خصب.

أصوات: نعم ما رأيت..

حكيم: وخرجت قريش في ألفي مقاتل بينما خرج النبي ﷺ في ألف وخمسمائة مقاتل فلما ساروا مسيرة ليلتين وافاهم معبد بن أبي معبد الخزاعي فلما رآه أبو سفيان قال له:

أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟.

معبد: لقد خرج محمد إلى بدر في جيش عرمرم من أصحابه يربو على الألفي مقاتل ولعمري لم أر محمداً في عنفوان وقوة مثلما رأيته في هذه المرة..

أبو سفيان: كيف.. كيف.. قل..

معبد: لقد جاءه مخشي بن عمرو الضمري سيد القبائل النازلة ببدر وقال له يا محمد: أجئت للقاء قريش على هذا الماء أي ماء بدر الواقع في أراضي بني ضمرة..

أبو سفيان: وماذا أجابه محمد؟..

معبد: قال له: نعم يا أخا ضمرة وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك من موادعة ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك..

أبو سفيان: وبماذا أجاب الضمري؟..

معبد: أجاب: لا والله يا محمد.. ما لنا بذلك منك من حاجة بل نكف أيدينا ونتمسك بحلفك..

أبو سفيان: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا جدب وإني راجع فارجعوا..

صفوان بن أمية: قد نهيتك والله يومئذ أن تعد المسلمين وقد اجترؤوا علينا ورأوا أنا قد أخلفناهم وإنما أخلفنا الضعف..

أبو سفيان: قل ما تشاء يا صفوان بن أمية..

(أصوات رحيل وخبطة موسيقية قوية)..

مزنة: الحمد لله ـ الحمد لله ـ لقد محا الجيش الإسلامي بخروجه إلى بدر الآخرة آخر أثر للانتكاسة الأليمة التي تعرض لها المسلمون في معركة أُحد..

سلمى: لقد أصبت يا بنيتي فيما قلت فقد كانت حملة بدر الآخرة تحدياً سافراً مهيناً لكفار قريش، ونصراً مبيناً للمسلمين وإرهاباً وتأديباً لجميع القبائل المعادية للإسلام.. وللحديث بقية..

في غد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله..

الحلقة ـ ٤٤ ـ

مزنة: أماه.. أما انتهيت من سحورك.. وقد هيأت لك الشاي لتشربي وتتحدثي..

سلمى: بورك فيك يا بنيتي.. أين وصلنا في حديثنا أمس..؟

مزنة: وصلنا إلى عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة بعد نكول جيش المشركين عن القتال ورجوعهم إلى مكة..

سلمى: لقد كانت حملة النبي ﷺ مناورة بارعة رائعة موفقة برهنت بالدليل القاطع على أن الجيش الإسلامي أصبح قوة مرهوبة الجانب يحسب حسابها لا في المدينة وحدها فحسب بل في جميع المناطق المجاورة للمدينة..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: وبدأت كفة المسلمين ترجع بعد غزوة بدر الآخرة أو الأخيرة.. وطارت سمعتهم وانتشرت وخشي الأعراب منهم..

الحارث: كيف كان ذلك يا حكيم؟..

حكيم: لقد بلغ النبي ﷺ أن القبائل النازلة في دومة الجندل تقطع السابلة وتنهب وتسلب وتثير الفساد في تلك المنطقة مدفوعة من الرومان الذين كانت لهم حامية في دومة الجندل..

زيد: وهل وصل حكم الروم إلى هذه المنطقة؟..

حكيم: نعم.. وكانوا يصطنعون هذه القبائل ويعملون على إيجاد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في تلك المنطقة يتذرعون بها لغزو الأماكن المجاورة لدومة الجندل والاستيلاء عليها..

زيد: كم تبعد دومة الجندل عن المدينة؟..

حكيم: مسيرة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة..

زيد: إنها على حدود الشام..

حكيم: نعم يا زيد..

الحارث: وماذا كان هدف هذه الغزوة؟

حكيم: كان القصد السافر من وراء هذه الغزوة إخضاع هذه القبائل وتأديبها

أما المغزى البعيد من ذلك هو إعلان الرومان بأن في الجزيرة قوة تستطيع أن تقاوم كل من تحدثه نفسه بمهاجمة الجزيرة العربية..

زيد: وماذا كانت نتيجة هذه الغزوة؟..

حكيم: لم يجد الجيش الإسلامي أحداً من هذه القبائل لأنهم هربوا بمجرد علمهم بهذه الحملة وخلفوا من هلعهم وخوفهم سوائمهم ومواشيهم فغنمها المسلمون..

الحارث: ومما لا ريب فيه أن هذه الحملة قد عززت مركز المسلمين وقوت سمعتهم في الداخل والخارج..

حكيم: بلى يا حارث.. ولكن المشتغلين في الظلام انتهزوا فرصة غياب الرسول ﷺ عن المدينة في مكان ناء عنها فبدؤوا يحوكون المؤامرات..

زيد: وهؤلاء هم اليهود والمنافقون ـ أليس كذلك؟..

حكيم: نعم يا زيد.. المنافقون واليهود في المدينة وما جاورها وكفار قريش في مكة فأغروا بني المصطلق وهم بطن من قبائل خزاعة كانوا يسكنون (قديد) في الطريق من مكة إلى المدينة على غزو المسلمين في يثرب ووعدهم بالمساعدة..

الحارث: ألم يأخذوا درساً من غزوتي بدر الأخيرة ودومة الجندل..

حكيم: لم يزدجروا بل انساقوا في طريق الغواية وعلم النبي ﷺ بأمرهم فخرج لقتالهم.. ومن المفارقات المثيرة أن يخرج في هذه الغزوة جمع كبير من المنافقين وعلى رأس كبيرهم عبد الله بن أُبي بن سلول..

زيد: لعلّي لا أكون حانثاً إن أقسمت أنهم لم يخرجوا للجهاد في سبيل الله وإنما لاغتيال أية فرصة لإيذاء المسلمين..

الحارث: أليسوا من الدافعين ببني المصطلق على خوض غمار هذه المعركة..

حكيم: ما تقولانه لا يَعْدو بعيداً عن الحقيقة..

زيد: حسناً.. وماذا جرى في هذه المعركة؟..

حكيم: تقارب الفريقان وقبل أن يلتحما أمر النبي ﷺ أن يتوجه عمر بن الخطاب بنداء إلى بني المصطلق يدعوهم للدخول في الإسلام ليمنعوا به أنفسهم وأموالهم فامتنعوا وابتدأت المعركة فحمل عليهم المسلمون حملة صادقة وأحاطوا بهم من كل جانب فلم يفلت منهم أحد فاستسلموا واستولى المسلمون على منازلهم وما فيها واستاقوا أموالهم وسبوا نساءهم..

زيد: ولم تنفعهم وعود اليهود والمنافقين وقريش شيئاً؟..

حكيم: لئن كان الانتصار الباهر الذي حققه المسلمون بسرعة في غزوة بني المصطلق قد أدهش المنافقين وأذهلهم فإنهم بعد أن انتهت المعركة انتهزوا فرصة مشاجرة عادية بين مهاجري وأنصاري على الماء فألبوهما على بعضهما فاقتتلا فصاح الأنصاري:

(نقلة صوتية)..

الأنصاري: يا معشر الأنصار.. أدركوني.. أغيثوني..

منافق: ولماذا لا تستصرخ قومك أيها المهاجري..

المهاجري: يا معشر المهاجرين هلموا إلي.. قتلني الأنصار..

(أصوات ركض وجري وأسلحة تشهر وناس يقولون)..

الناس: لبيك يا أخا الأنصار.. لبيك يا أخا المهاجرين..

حكيم: وابتدأ المنافقون يوسعون شقة الخلاف فيقولون:

منافق: إن المهاجري هو الذي اعتدى.. انظروا كيف شج رأس الأنصاري..

منافق آخر: لا حول ولا قوة إلى بالله.. مسكين هذا الأنصاري..

منافق ثالث: إنه حليف الخزرج.. إلينا أيها الخزرج.. أدركوا حليفكم قبل أن تخترطه سيوف الأنصار.

منافق: إلينا أيها المهاجرون.. هذا رجل عمر بن الخطاب يكاد أن يقتله الأنصار..

حكيم: وخرج الرسول ﷺ على صوت الضجيج واللغط وهو يقول ما معناه:

(ما بال دعوى الجاهلية) ولما أخبروه بالأمر قال ما معناه:

(دعوها فإنها منتنة) ثم أمر بعض أصحابه بأن يسعوا بالصلح بين المتشاجرين ففعلوا..

مزنة: وهكذا أحبط النبي ﷺ بحكمة وسرعة هذه الفتنة العمياء..

ورد كيد المنافقين إلى صدورهم.

سلمى: ولكن رأس الفتنة وزعيمها بل وموقد نارها ابن سلول أغاظه أن يتمكن الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه من إخماد هذه الفتنة ووأدها في مهدها فقام بين نفر من جماعته يرغي ويزبد ويقول):

(نقلة صوتية)..

ابن سلول: أو قد فعلها المهاجرون.. ما رأيت كاليوم مذلة قط.. قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه

الأَكما قال الأول: سمِّن كلبك يأكلك.. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأوْل..

(أصوات تأييد من عصابته ـ فيتحمس ابن سلول ويقول):

هذا ما فعلتم بأنفسكم.. أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم.. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا إلى غير داركم.

أحد عصابته: صدقت يا بن سلول.. لنثيرهن جذعة..

(أصوات تقول بلى.. بلى.. مرحى.. مرحى..)..

ابن سلول: وأنتم أيها الأنصار.. لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونه فايتمتم أولادكم وقللتم وكثروا.. فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد..

(أصوات.. مرحى.. مرحى.. سنفعل.. سنفعل..)..

حكيم: ونقل هذا الكلام الخطير إلى النبي ﷺ فغضب وتغير وجهه ولكنه تمالك نفسه كعادته ﷺ وقال لزيد بن أرقم وهو الغلام الذي نقل إليه الخبر الخطير..

يا غلام ـ لعلّك غضبت عليه؟

قال: والله يا رسول الله لقد سمعته منه..

قال: لعلّه أخطأ سمعك..

حكيم: وعلم جماعة من كبار الخزرج بمقالة الغلام فلاموه عليها فكان يقول لهم:

والله سمعت ما قال بن سلول.. ولو أني سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله وإني لأرجو أن ينزل الله تعالى على نبيه ما يصدق حديثي..

زيد: لقد كانت مؤامرة دنيئة وشنشنة جاهلية أثيمة باطلة وأنه لمن المؤلم حقاً أن تجد مثل هذه الدعوى آذاناً صاغية..

حكيم: لقد كان عبد الله بن أُبي بن سلول سيداً في قومه.. وعندما حاول النبي ﷺ إسدال الستار على هذا الأمر خوف الفتنة ظن بعض كبار الخزرج إن مقالة الغلام فرية لا أساس لها فبدأوا يلومون مع أن رسول الله يعلم في قرارة نفسه أن الغلام صادق..

الحارث: وماذا كان صدى هذه الفتنة عند المهاجرين؟..

حكيم: عندما سمع كبار المهاجرين بها وعلى رأسهم عمر بن الخطاب استشاطوا غضباً وطلب ابن الخطاب من رسول الله أن يسمح له بضرب عنق عبد الله بن أُبي بن سلول فرفض ﷺ هذا الطلب وقال:

(فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)؟..

فقال عمر بن الخطاب:

إن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر أنصارياً يقتله..

فلم يوافق على ذلك وقال:

ـ ترعد له أنف كثيرة بيثرب.

الحارث: عجيب أمر بن سلول هذا..

حكيم: ولكي يحسم أمر هذه الفتنة ويخمد جذوتها أمر النبي ﷺ بأن يتحرك الجيش الإسلامي بسرعة إلى المدينة ليشغل الناس برحيلهم بدلاً من الخوض في حديث الفتنة..

زيد: لعمري أنها خطوة حكيمة حاسمة..

حكيم: وبينما كان يتهيأ النبي ﷺ لقيه أسيد بن حضير وهو من سادات الخزرج فحياه وقال له: يا نبي الله والله لقد أمرت بالرواح في ساعة مبكرة ما كنت تروح مثلها.

فقال له النبي ﷺ:

ـ أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟

فأجاب أسيد: وأي صاحب يا رسول الله؟

قال: عبد الله بن أُبي..

قال: وما قال؟

قال:

ـ زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..

فغضب أسيد وقال:

فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز..

ثم تابع أسيد كلامه قائلاً:

ـ يا رسول الله أرفق به.. فوالله لقد جاءنا الله بك وأن قوم بن سلول لينظمون له الخرز ليتوجوه.. وإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: ما أعظم القرار الحكيم الذي أتخذه الرسول العظيم ﷺ بشأن بن سلول..

سلمى: لقد كان ﷺ يعرف بمنزلة بن سلول في قومه ويعلم أيضاً ـ في يقين عداوة ابن سلول له وبغضه له ولذلك ترك لقومه أن يحاسبوه على فعلته القبيحة وسترين ذلك في حديثنا القادم إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٤٥ ـ

مزنة: تعالي يا أماه.. فقد آن وقت الحديث في هذه الساعة المباركة..

سلمى: قلت في حديث أمس أن النبي ﷺ قد ترك لقوم رأس النفاق عبد الله بن أُبي بن سلول يحاسبونه على ما يأتي من أفعال قبيحة وما يخترع من أكاذيب وافتراءات وقد أثرت هذه الطريقة الحكيمة على قومه.. فحينما بلغهم مقالته جاؤوا إليه وقالوا له:

(نقلة صوتية)..

أوس بن قيظي: يا أبا الحباب.. إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي فليستغفر لك، ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك، وإن كنت لم تقله فأنت رسول الله فاعتذر له..

ابن سلول: والله العظيم ما قلت من ذلك شيئاً وسوف أذهب إلى محمد أقسم له أني لم أقل شيئاً مما نقله إليه الغلام الفدم زيد بن أرقم..

سويد: خيراً تفعل يا أبا الحباب..

ابن سلول: هيا بنا إلى محمد بن عبد الله..

حكيم: وذهب ابن سلول إلى النبي ﷺ وحلف أنه لم يقل شيئاً مما بلغ رسول الله ﷺ..

زيد: ما كان أفظع هذا الرجل وجرأته على الكذب.. لم يكن له ضمير يحاسبه ولا رب يخشاه..

حكيم: وإنه لمن المفارقات المثيرة أن يكون لهذا المنافق الكبير ولد في منتهى الصلاح وقوة الإيمان..

الحارث: أليس هو عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول الذي استخلفه النبي ﷺ على المدينة حين سار إلى غزوة بدر الأخرة..

حكيم: نعم.. حينما بلغت هذا الابن الصالح مقالة أبيه ذهب إلى النبي ﷺ وقال: «يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل والدي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني أن أحمل لك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالده مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن انظر إلى قائل أبي يمشي في الناس فاقتله، فاقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار..

فقال رسول الله ﷺ لهذا الابن المؤمن الصالح ما معناه:

(ما أردت قتله ولا أمرت به، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا).

مزنة: يا للموقف الحكيم الذي وقفه الرسول العظيم من زعيم المنافقين..

سلمى: وما أقوى عقيدة الإيمان في قلب ابن سلول.. إنه كان لا يتوانى عن قتل أبيه في سبيل عقيدته لو أمره النبي ﷺ بذلك.. حقاً لقد صدق من قال:

(إن العقيدة تصنع الرجال)..

(نقلة صوتية)..

زيد: لقد تجلّى أثر الخطة الحكيمة البارعة التي انتهجها رسول الله ﷺ في معالجته لفتنة ابن سلول..

حكيم: نعم يا زيد.. إن هذا الابن الصالح لم يكتف بما قاله لرسول الله ﷺ فبالرغم من انصياعه لأمر نبيه فقد أحب أن يظهر سخطه واستنكاره لفعلة أبيه عملياً..

الحارث: كيف كان ذلك يا حكيم؟..

حكيم: وقف هذا الابن الصالح إثر عودة الجيش الإسلامي من غزوة بني المصطلق عند مدخل المدينة وقال لأبيه ابن سلول:

(نقلة صوتية)..

عبد الله بن أُبي: قف.. مكانك يا أبي.. وانخ ركابك..

ابن سلول: ما تريد يا لكع..

عبد الله بن أُبي: والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وتعلم أيهما الأغز من الأذل.. أنت أو رسول الله ﷺ..

أحد المنافقين: أتصنع هذا بأبيك يا عبد الله..؟

عبد الله بن أُبي: اذهب وشأنك يا هذا..

ابن سلول: أتركني يا بني.. لأنا أذل من الصبيان.. لأنا أذل من النساء..

عبد الله بن أُبي: لن تمر حتى يأذن لك رسول الله ﷺ..

جكيم: وظل هذا الولد الصالح واطئاً على يد راحلة أبيه حتى مر به رسول الله ﷺ فرأى ما رأى فأمر هذا الولد الصالح بأن يخلي عن أبيه.. فامتثل وفعل..

الحارث: لعمري هذه هي النتائج الباهرة للموقف الحكيم الذي أتخذه النبي ﷺ إزاء فتنة ابن سلول..

حكيم: نعم يا حارث.. ويروي أن النبي ﷺ بعد أن رأى ما رأى من معاملة هذا الولد الصالح لأبيه التفت إلى عمر بن الخطاب وقال له:

«يا عمر!! أما والله لو قتلته يوم قلت لي، لأُرعدت أنُف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته.. فقال عمر»:

«قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»..

زيد: حقاً لقد حدث في غزوة بني المصطلق أمور كثيرة..

حكيم: نعم يا زيد.. ولذلك سميت غزوة العجائب..

الحارث: لقد نسيت أن أسألك عن الغلام الذي نقل إلى رسول الله ﷺ مقالة ابن سلول الخبيثة ماذا تم بأمره؟..

حكيم: لقد أنزل الله تعالى سورة من القرآن بعد هذه المقالة الأثيمة هي سورة المنافقين كشف فيها أمر هذا المنافق الكذاب وعصابته ومن جملة ما جاء في هذه السورة قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)..

الحارث: صدق الله العظيم..

حكيم: وفي هذه السورة تأكيد لما قاله الغلام زيد بن أرقم عن ابن سلول ويروى أن النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة أخذ بإذن زيد بن أرقم وقال:

ـ هذا الذي أوفى الله بإذنه..

زيد: وهل ارتدع هذا المنافق الكذاب بعد هذه الآيات البينات؟.

حكيم: لا يا زيد ـ لم ينقطع عن دسه وكذبه وبهتانه.. وقد ساعده على الإمعان في غيه ومضيه في إيذاء المسلمين وجود يهود بني قريظة في أحياء المدينة القريبة وفي وكرهم اللعين في خيبر..

زيد: وقريش والقبائل المجاورة للمدينة وفي مقدمتها قبائل غطفان..

حكيم: بلى.. ولكن عداء اليهود للنبي ﷺ يتميز بعمق جذوره وتأصل الحقد والبغض والحسد فيه وذلك لأن الرسول جاء برسالة سماوية فيها محاربة سافرة للكيان اليهودي القائم على الاستغلال والغش والخداع والدس والتآمر..

الحارث: صدقت يا أخي فموقف اليهود منه ﷺ ومن دينه موقف حياة أو موت.. ولذلك كان اليهود أحرص من قريش وكافة القبائل العربية الأخرى على السعي بكل ما لديهم من إمكانات ووسائل لمحو الإسلام والقضاء على المسلمين..

حكيم: هو ما رأيت يا حارث.. وهذا ما دفع باليهود أن يدخلوا في معركة مصيرية إبقاء على وجودهم وقد أبصروا العقيدة الإسلامية تنمو وتتسع ويكثر معتنقوها وأحسوا أن وضعهم يسوء يوماً عن يوم وأن ساعتهم آتية لا ريب فيها..

زيد: يا لهول ما تقول.. تابع يا أخي حديثك.. تابع..

حكيم: لقد فكر اليهود في محاولة يائسة للقضاء على الإسلام قبل أن يقضي عليهم واجتمع زعماؤهم في خيبر فوضع خطة محكمة لسحق المسلمين..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

(أصوات مبهمة وهمسات.. ولفظ يدل على أن هناك اجتماع.. وصوت حيي بن أخطب يقول)..

حيي: يا قوم.. ها أنتم ترون بأم أعينكم أن الإسلام ينتشر بسرعة واليهودية يتقلص ظلها في هذه الجزيرة.. ونحن الآن في موقف حياة أو موت.. لم تجد محاولاتنا السابقة في تفريق صفوف المسلمين

فتيلاً.. بل لقد زادتهم استمساكاً ببعضهم البعض وقد جمعتكم الآن للتفكير في مصيرنا المهدد بالزوال..

سلاّم: يجب أن نبحث هذا الأمر بحثاً شاملاً من جميع نواحيه واحتمالاته يا حيي..

كنانه: إن علاقاتنا مع القبائل المجاورة ليثرب متينة وقوية ولنا ديون مادية في أعناق رؤسائها يمكن استغلالها في صالح قضيتنا يا سلاّم..

هوذه: صحيح ما تقوله يا كنانة.. وأحب أن اضيف إلى ذلك أن هذه القبائل موتورة من محمد لقد حرمها من غزواتها ومن عيشها على النهب والسلب..

حيي: لعلّكم نسيتم في غمرة ذلك قريشاً التي سلبها محمد زعامتها ومكانتها وهدر كرامتها وأنا أرى:

سلاّم: ترى ماذا يا حيي؟..

حيي: نؤلف وفداً منا يقوم بالاتصال بالقرشيين في مكة وإقناعهم بتجهيز حملة غزو واسعة مع استعدادنا للمساهمة في تمويل هذه الحملة..

سلاّم: رأي سديد يا حيي ولكن يجب أن نطمئنهم أن القبائل المجاورة للمدينة وفي مقدمتها قبيلة غطفان ستسشترك معهم..

أبو عامر: ولا تنسى أقرباءنا بني قريظه يا سلاّم وعبد الله بن أُبي بن سلول صديقنا الودود وعيننا الساهرة هنالك على المسلمين..

سلاّم: لم أغفل ذلك يا أبا عامر ولكن أخشى أن يتردد بنو قريظة في التحزب معنا لأنهم على عهد محمد أما ابن سلول فهو مع كل من يثور في وجه محمد..

حيي: أما القبائل المجاورة للمدينة وفي مقدمتها غطفان فيمكن شراؤهم

بوعدهم بثمار خيبر لهذه السنة وبتأجيل الديون التي لنا عليهم لسنة أخرى والأعراب أكثر منا شغفاً بالمال.. والمهم قريش فإن لديها الرجال والعتاد والعقول المدبرة.. أما بنو قريظه فسأتكفل باستمالتهم عندما يرون جيشاً عرمرماً من قريش وغطفان وغيرها من القبائل يهاجمون محمداً وأصحابه في عقر دارهم..

هذيل: أؤيد ما رأيت يا حيي.. والرأي للجميع..

أصوات: موافقون.. موافقون.. موافقون..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: قاتل الله اليهود وأخزاهم إنهم بلاء على الإسلام في كل زمان ومكان.

سلمى: بسم الله الرحمن الرحيم.. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (المائدة: ٨٢)..

مزنة: صدق الله العظيم..

سلمى: صدق الله العظيم.. إلى الغد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٤٦ ـ

مزنة: هيا يا أماه.. فقد حان وقت الحديث..

سلمى: لقد اتفق اليهود على تشكيل وفد للاتصال بالقرشيين في مكة وبالقبائل العربية المجاورة للمدينة وتأليبهم وتجميعهم في جيش موحد يستقطب أكبر عدد ممكن من الفرسان البارزين بقصد القضاء على المسلمين في المدينة نهائياً..

(نقلة صوتية)..

حكيم: وتشكل الوفد اليهودي من حيي بن أخطب، وسلاّم بن مشكم، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عامر، وأتخذ الوفد طريقه إلى مكة رأساً..

زيد: إن هذا الوفد كله تقريباً من بني النضير الذين أجلوا إلى خيبر.

حكيم: نعم.. لأن يهود بني النضير كانوا سادة اليهود في تلك المنطقة وكانوا الطبقة المترفة الثرية بينهم كما أنهم كانوا أنشط اليهود تجارة واتصالاً بالقبائل في الجزيرة العربية وبجماعتهم اليهود في بر الشام.

الحارث: وماذا جرى للوفد اليهودي في مكة؟..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

(أصوات مبهمة.. وهمسات خفيفة ـ ولفظ يدل على اجتماع وصوت أبي سفيان يعلو من بين الحاضرين وهو يقول):

أبو سفيان: يا معشر قريش.. إننا نرتقب الفينة بعد الفينة وصول وفد يهودي من مدينة خيبر يقوده حيي بن أخطب.. فعلينا أن نرحب بهم ونكرمهم بما يستحقون.

صفوان ابن أمية: أجل يا أبا سفيان.. إن هؤلاء اليهود شوكة في جنب المسلمين بالمدينة والواجب يقتضينا بل يفرض علينا أن تبقى هذه الشوكة حادة سليمة وإذا استطعنا أن نجعل منها حربة في ظهور المسلمين كان ذلك أجدى وأولى..

أبو سفيان: ما أروع ما تقول يا صفوان.. إن هؤلاء اليهود خير معين لنا في حربنا مع محمد بأموالهم بآرائهم.. بسرعة اتصالاتهم وخاصة

رئيسهم حيي بن أخطب.. إنه رجل فذ..

عكرمة: أعندك يا عماه معلومات عن مهمة هذا الوفد؟..

أبو سفيان: لا يا عكرمة.. إن اليهود بارعون في التستر على خططهم وأعمالهم..

صفوان: يجب أن نستغل الموقف ونهتبل هذه الفرصة بجميع الوسائل والطرق.. فاليهود موتورون مثلنا وقد جمعتنا عداوة محمد ووحدت ما بيننا..

أحدهم: وصل وفد خيبر..

(أصوات نزولهم عن خيلهم ومشيهم وصوت أبي سفيان يقول):

أبو سفيان: مرحبا.. مرحبا باليهود.. أهلاً ومرحبا.. إن أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد...

حيي: لقد جئنا نشد أزركم.. وسنكون معكم على محمد وأصحابه حتى نستأصلهم جميعاً..

صفوان: لقد نزلتم منا الصدور والقلوب.. وإننا لنرحب بكل يد تمد إلينا في سبيل القضاء على محمد ودين محمد..

حكيم: وعرض الوفد اليهودي على قريش كامل الخطة التي رسموها لتحزيب القبائل وتجميعها لغزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين فيها وسحقهم عن بكرة أبيهم..

زيد: ولا شك أن سرور قريش بالغاً جداً..

حكيم: نعم يا زيد وخاصة حين امتدح اليهود عبادة قريش للأصنام وأنها خير من دين الإسلام ـ لعنهم الله ـ..

زيد: لعنهم الله وأخزاهم إلى يوم القيامة.

حكيم: لقد ذهب اليهود إلى أبعد مدى في استرضاء قريش واستجداء موافقتهم على الغزو فوق وعدهم المساهمة في تمويل هذا الجيش.

الحارث: كيف يا أخي كيف؟..

حكيم: لقد سجدوا للأصنام إرضاء للقرشيين عندما طلبوا منهم ذلك ليطمئنوهم إلى قولهم الذي قالوه بتفضيل الوثنية على الإسلام..

زيد: إنهم اليهود لا يتورعون عن ارتكاب أي شيء في سبيل الوصول إلى غاياتهم.. إنهم يلبسون لكل حالة لبوسها.

حكيم: وبعد أن ضمن الوفد اليهودي الشرير موافقة قريش وحدد معهم موعد الغزو وعدد الجيش الذي سيشترك في هذه الغزوة بحيث لا يقل عن أربعة آلاف مقاتل.. توجهوا إلى ديار غطفان وصاروا ينتقلون من منزل إلى منزل ومن مضرب إلى آخره يؤلبون القلوب ويستميلونها بالدرهم والدينار والوعد المعسول حتى اطمأنوا إلى موافقة غطفان ومن جاورها من القبائل العربية فعقدوا معهم اتفاقاً أهم ما جاء فيه هو:

أولاً: أن تجهز غطفان جيشاً لا يقل عن ستة آلاف مقاتل.

ثانياً: أن يدفع اليهود لهذه القبائل ثمر نخل خيبر لسنة واحدة.

الحارث: إذن لقد حشدوا جيشاً لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل.

حكيم: نعم يا حارث.. وهو جمع لم يسبق للمسلمين أن واجهوا مثله في حروبهم من قبل وقد نقل اليهود إلى قادة قريش تفاصيل اتفاقهم مع القبائل العربية..

زيد: فسروا أيما سرور وفرحوا بما لم يحلموا به واغتبطوا..

حكيم: نعم وهكذا عاد الوفد اليهودي إلى خيبر بعد أن حقق الجانب الأكبر من مهمته، أما قادة الأحزاب المشتركة في هذه الغزوة فقد بدؤوا يحشدون قواهم ويركزون جهودهم لكي تكون الغزوة التي سميت بغزوة الأحزاب ناجحة ومحققة لأهدافها.

الحارث: ومن هم قادة هذه الأحزاب؟

حكيم: أبو سفيان قائد الجيش المكي.. أما قبائل غطفان فكانت لهم قيادات أربعة:

عيينة بن حصن الفزاري قائداً لبني فزارة..

طليحة بن خويلد قائداً لبني أسد..

مسعود بن نويرة قائداً لبني أشجع..

الحارث بن عوف قائداً لبني مرة..

زيد: ألم يكن المسلمون على علم بهذه التجمعات؟

حكيم: كان المسلمون يتابعون في حذر وترقب تحركات الوفد اليهودي واتصالاته.. عندما بلغتهم أنباء الحلف الثلاثي بين قريش واليهود وقبائل غطفان دعا النبي ﷺ إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيشه من المهاجرين والأنصار للتشاور في مجابهة هذا الموقف الخطير..

زيد: إن كلمة خطير لا تفي التعبير عن دقة هذا الموقف.. إنه معركة مصيرية بالنسبة للمسلمين كما هو بالنسبة لليهود المحرضين عليه..

حكيم: لقد درس المجتمعون الهدف الرئيسي من هذه الغزوة فوجدوا أنه يهدف إلى احتلال المدينة ثم تناولوا شؤون المقاتلين فوجدوا أن ما

لديهم لا يزيد عن تسعمائة مقاتل بينما عدد جيش الأحزاب يبلغ عشرة آلاف مقاتل..

زيد: إن المقارنة بين الجيشين تكاد تكون مفقودة بالرغم من أن المسلمين كانوا يمتازون بالشجاعة النادرة النابعة من قوة العقيدة الصادقة.. إلا أن الكثرة كما يقولون تغلب الشجاعة.

حكيم: وقد حسب المجتمعون لكل شيء حسابه وقدروا تقديره وقرروا التحصن بالمدينة والدفاع عنها ولكنهم كانوا يفكرون في إيجاد مخرج لتفادي الالتحام المباشر مع جيوش الأحزاب الجرارة المتفوقة عدداً وعدة..

الحارث: حقاً إنه موقف دقيق وحرج للغاية فعدد المسلمين ضئيل لا يكاد يسد ثغرة من مداخل المدينة..

حكيم: بلى يا حارث.. ولكن الله أرسل لهم الفرج حين أقترح سلمان الفارسي أن يسارع المسلمون إلى حفر خندق عميق يشمل المنطقة التي يتوقع أن تنفذ منها جيوش الأحزاب لاقتحام المدينة.. وراق للنبي ﷺ الاقتراح فوافق عليه وأمر بتنفيذه.

زيد: إن حفر الخنادق شيء جديد في تاريخ الحروب العربية، وسلمان فارسي الأصل ولا بد أن قومه كانوا يستعملون مثل ذلك في حروبهم..

حكيم: نعم يا زيد.. لقد قال سلمان الفارسي وهو يعرض اقتراحه: يا رسول الله.. إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا..

الحارث: وأين كان موضع الخندق يا حكيم؟..

حكيم: لقد كانت الجهة الشمالية من المدينة الناحية الوحيدة المكشوفة التي لا بد لأي غاز يريد احتلال المدينة من أن يتجه إليها.. أما

الجهات الأخرى من المدينة فمتشابكة الأبنية والزروع والأشجار ومن الصعب للخيل اجتيازها.

زيد: وكم كان طول الخندق؟..

حكيم: حوالي خمسة آلاف ذراع..

زيد: إنها عملية شاقة ولا ريب.

حكيم: لقد كان المسلمون يحفرون الخندق وهم في حالة معيشية صعبة فالعام كان عاماً مجدباً ولم يكن عندهم ما يتبلغون بل كان بعضهم يقع مغشياً عليه من الجوع.. وكان النبي ﷺ يعمل بيديه الكريمتين في الخندق ويحمل التراب وهو يعصب حجراً على بطنه من الجوع..

مزنة: يا الله.. النبي العظيم ﷺ يشد على بطنه الحجر من الجوع.. ويشترك في حفر الخندق ونقل التراب كأي فرد أو عامل..

ما أعظمك يا رسول الله وما أشد ما قاسيت وتحملت..

سلمى: لقد كان يحفر التراب بالمسحاة ويضرب بالفأس والمعول ويحمل التراب على ظهره ويرفع صوته مع المرتجزين وهم يرددون أثناء العمل والابتسامة لا تفارق شفتيه والعزيمة الصادقة والإيمان الذي لا يتزعزع ﷺ..

مزنة: ﷺ.. أماه..

(نقلة صوتية)..

(نسمع أصوات المعاول والفؤوس والمساحي وهي تشتغل في الخندق)..

وأصوات ترتجز قائلة:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

زيد: وكم استغرق حفر الخندق يا حكيم؟..

حكيم: استغرق حفر الخندق شهراً كاملاً.. وبحفره استطاع المسلمون أن يتفادوا الالتحام المباشر بين جيشهم وجيش الأحزاب..

الحارث: ألم يكن من السهل على المشاة الدخول من الجهات الأخرى من المدينة.. ولماذا اختيرت الجهة الشمالية من المدينة وحفر فيها الخندق..

حكيم: كانت الجهات الأخرى من المدينة محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة الأخرى وكانت مسورة بالأبنية المتشابكة والحواجز الطبيعية الصعبة التي لا يمكن لقوات كبيرة أن تقاتل فيها بشكل واسع..

أما الجهة الشمالية فكانت مفتوحة وواسعة المسالك وفسيحة الميادين ولذلك من السهل على الفرسان الكرّ والفرّ فيها وهذا ما حفز المسلمين على حفر خندق هناك لكي يكون حاجزاً بين المسلمين القلة وجيوش الأحزاب الكثرة..

زيد: الآن قدرت أن أدرك عظمة هذه الخطة الحكيمة..

حكيم: ثم هنالك آخر..

الحارث: وما هو..

حكيم: كان جيش المسلمين الرئيسي مرابطاً في الجهة الشمالية وجاعلاً جبل (سلع) خلف ظهره ليتقي أية حركة التفاف يقوم بها العدو..

زيد: وماذا اتخذ المسلمون من خطة بشأن النساء والأطفال والعجزة؟..

حكيم: أخلوا المدينة من النساء والأطفال والعجزة وجمعوهم في الحصون والآطام المنيعة بعيدين عن أعين العدو ولتسهل حمايتهم وخاصة من يهود بني قريظة الواقعة منازلهم في المدينة والذين كان

المسلمون ينتظرون منهم الغدر بين حين وآخر.

مزنة: ولكن حيي بن أخطب وعد جماعته اليهود بأن يستميل بني قريظة إلى جانب الأحزاب فهل تمكن من ذلك يا أماه؟..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٤٧ ـ

مزنة: أماه.. لقد فرغت من العمل الذي عهدت به إلي وأنا على أتم الاستعداد للاستماع إلى حديثه..

سلمى: وبعد أن تم حفر الخندق أصبحت المدينة كالحصن المنيع لا يستطيع الوصول إليه إلا بمغامرات انتحارية يائسة وجسر طويل من الضحايا وأكداس من جثث القتلى..

مزنة: لقد كان حفر الخندق في شهر واحد عملاً جباراً..

سلمى: إن عظمة هذا العمل تتجلى عندما نعرف أن جنود المسلمين الذين سيدخلون المعركة هم الذين قاموا بحفر الخندق وفي ظروف معيشية صعبة وكيدية افظع تتمثل في تقاعس المنافقين عن الحفر وتركهم العمل وتسللهم إلى المدينة من دون استئذان..

مزنة: لقد كان انخراط المنافقين في جيش المسلمين هو الإبقاء على وجودهم والتمتع بحقوق المحارب المسلم وللاطلاع على خطط المسلمين وإبلاغها إلى أعدائهم..

سلمى: ما أجمل تحليلك للموقف يا بنيتي.. إنني جد مسرورة وفخورة..

مزنة: البركة فيك يا أماه..

سلمى: ورابط المسلمون وراء خندقهم في ترقب وانتظار لجيوش الأحزاب..

ولما أهل شهر شوّال من السنة الرابعة للهجرة خرجت أحزاب المشركين من كل جانب بعد أن تكامل حشدها وتم تجهيزها..

(موسيقى حربية.. وصهيل خيل.. وقعقعة سلاح وسيوف وأصوات تعلو وتهبط)..

حكيم: وتحركت جيوش الأحزاب صوب المدينة ففصل من ديار غطفان وأحلافها جيش قوامه ستة آلاف مقاتل.. وخرج من مكة جيش قريش وأحلافها في أربعة آلاف مقاتل بعد أن تحالف رؤوساء هذا الجيش وألصقوا أكبادهم بالكعبة وتعاهدوا على أن لا يخذل بعضهم بعضاً وأن يكونوا يداً واحدة على محمد ما بقي منهم رجل..

زيد: ولمن سلمت قيادة جيوش الأحزاب؟..

حكيم: أسندت قيادة هذه الجيوش إلى أبي سفيان.. أما جيش المسلمين فقد عقد النبي ﷺ لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الأنصار لسعد بن عبادة..

(أصوات زحف جيوش الأحزاب بخيلهم ورجلهم وقضهم وقضيضهم)..

(وأصوات تكبير وآذان من جانب المسلمين)..

زيد: ولكني لا أرى جيشاً لليهود بين جيوش الأحزاب..

حكيم: كان حيي بن أخطب موجوداً مع جيوش الأحزاب يتنقل بين صفوفهم يذكي نار الحماسة بينهم ويمنيهم ويمدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.. وكان حيي قد أقنع قادة جيوش الأحزاب بأن

يهود بني قريظه الموجودين خلف جيش المسلمين في المدينة والبالغ عددهم تسعمائة مقاتل على استعداد لضرب المسلمين من خلفهم عندما تبتدىء المعركة..

الحارث: يا لهول الخطة وفظاعة المؤامرة..

(أصوات زحف جيوش الأحزاب.. وصليل سيوفهم ووقع حوافر خيلهم ورغاء إبلهم) وصوت أبي سفيان يقول وكأنه في اجتماع..

أبو سفيان: والله إن هذا الخندق لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها ولا تصنعها وقد رأيتم كيف أن خيلنا لم تستطع عبور هذا الخندق وعلمتم بما جرى للذي جرّب اقتحام الخندق فوقع فيه واندقت عنقه ثم حصبه المسلمون بالحجارة وأخيراً قتلوه.. وقد جمعتكم ايها القادة للتشاور فماذا ترون؟..

عيينة: الرأي عند حيي بن أخطب وهو أدرى منا بشعاب المدينة ومداخلها.

أبو سفيان: صدقت يا عيينة.. ما رأيك يا بن أخطب؟..

ابن اخطب: كان المدخل الوحيد للمدينة هو الناحية الشمالية منها حيث يمكن للخيل والفرسان الكرّ والفرّ فيها ولكن محمداً سدها في وجهنا بحفره هذا الخندق.. أما الجهات الأخرى للمدينة فلا يمكن العبور منها لتشابك الأبنية وكثرة الزروع والحواجز كما أن المسلمين قد وضعوا شراذم من جنودهم هنا وهناك للحراسة..

خالد بن الوليد: لقد طوفنا بخيلنا جميع أطراف المدينة فلم نجد منفذاً إليها غير الجهة التي حفر فيها هذا الخندق اللعين..

أبو سفيان: إذن ما يقوله ابن أخطب صحيح يا خالد..

خالد: نعم يا عماه..

طليحة: أتريدنا يا بن أخطب أن نبقى مواجهين هذا الخندق إلى ما شاء الله.. لقد حصد المسلمون زراعتهم قبل مجيئنا ولم تجد إبلنا ولا خيلنا التي سرحناها شيئاً تأكله وإني أخشى عليها أن تنفق.

ابن أخطب: هوّن عليك يا طليحة.. فلن تبقى طويلاً أمام هذا الخندق..

أبو سفيان: قل يا بن أخطب وأفصح..

ابن أخطب: أرى أن نبدأ المعركة غداً في شكل مناوشات نشغل المسلمين فيها وتركز كل قواتهم إلى هذه الناحية، وأنا ساذهب إلى بني قريظة في الوقت الذي تناوشون فيه المسلمين وسنضربهم من خلفهم.. وعندها تنهار مقاومتهم وينهار معها خندقهم..

أبو سفيان: حسناً ما رأيت يا بن أخطب ولكني أرى أن لا تبتدىء في ضرب المسلمين إلاّ حينما نرسل إليك لأني أخشى أن تكون للمسلمين قوة كبيرة في مواجهة بني قريظة..

ابن أخطب: الرأي ما رأيت يا أبا سفيان.. وإني سائر إلى بني قريظة وملتقانا في وسط المدينة..

أبو سفيان: لا تنسى يا بن أخطب أن تحرص على تنظيم تموين هذه الجيوش من قبل رجالك في حال غيابك عند بني قريظة..

ابن أخطب: لقد أعددت لهذا الأمر عدته..

(صوت ابتداء المعركة.. وتهليل وتكبير من قبل المسلمين)..

وأصوات نبال ترشق وخيل تصهل وصوت عمرو بن عبد ودّ العامري يصرخ..

عمر بن عبد ود: إلي يا فرسان قريش فقد وجدت سبيلاً لاقتحام الخندق..

ضرار ابن الخطاب: لبيك يا عمرو..

(أصوات تجيب)..

لبيك يا عمرو.... لبيك يا عمرو..

(نسمع وقع حوافر الخيل وأصوات من الجانب الآخر تقول):

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. اقتلوهم.. أمِتْ.. أمِتْ..

(ونسمع قعقعة السلاح وتضارب السيوف وأصوات مختلطة وصوت يقول):

الصوت: الأرض سبخة تنزلق فيها الخيل ونبال المسلمين شديدة.. عودوا قبل أن تذهبوا عن بكرة أبيكم..

عمرو: لا.. لن أعود وأنا عمرو بن عبد ود العامري.. من يبارزني.. من يبارزني؟..

حكيم: وقام علي بن أبي طالب وقال: أنا له يا نبي الله.. ويروى أن النبي ﷺ قال له: «إجلس.. إنه عمرو.. وكان عمرو من فرسان العرب المشهورين.. ولما لم ير عمرو بين المسلمين من يخرج لمبارزته جعل يستهزىء بهم ويقول:

«أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم ليدخلها.. أفلا تبرزون لي رجلاً»؟..

فقام علي بن أبي طالب وقال: أنا له يا رسول الله وكرر عليه الجواب. اجلس إنه عمرو..

فأجاب علي بن أبي طالب: وإن كان عمرو.. فأذن له النبي ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته ودعا له..

زيد: يا لقوة إيمان علي ورباطة جأشه وثقته بنفسه..

حكيم: ولما برز علي إلى عمرو ليبارزه قال له علي:

يا عمرو.. إنك كنت تقول لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها..

قال له عمرو: أجل..

فقال علي: إني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين..

فقال عمرو: يا ابن أخي أخر عني هذه..

فقال علي: وأخرى.. ترجع إلى بلادك فإن يك محمد رسول الله صادقاً كنت أسعد الناس به.. وإن يك كاذباً كان الذي تريد.

فأجاب عمرو: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً.. كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت ثم أردف عمرو قائلاً: فالثالثة ما هي؟..

قال علي: البراز؟؟

(فضحك عمرو وقال):

(نقلة صوتية ممزوجة بالضحك الشديد المستمر)..

عمرو: يا علي: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعني بها. أدع لي أعمامك ممن هو أشد منك فإني أكره أن أقتلك.. وإن أباك كان صديقاً لي..

حكيم: فأجابه علي: ولكني والله أحب أن أقتلك.

زيد: لا فض فوك يا أبا الحسن.. لقد استثار هذا الجواب غضب عمرو ولا شك..

حكيم: نعم.. ولما كان علي راجلاً وعمرو فارساً فقد نزل هذا عن فرسه واقبل على علي وابتدر عمرو علياً بضربة فاستقبلها علي بدرقته فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب ذبابته رأس علي فشجه.. وضرب علي عمرو على حبل عاتقه فسقط عدو الله على الأرض يتخبط في دمائه فكبر المسلمون..

(نسمع اصوات التهليل والتكبير.. وأصوات تقول):

أصوات: الله أكبر.. الله أكبر.. قتل عدو الله.. قتله علي.. قتله أبو الحسن بضربة واحدة.. واحدة.. واحدة.. فقط.. الله أكبر.. الله أكبر..

حكيم: وقد حاول اثنان من فرسان قريش هما ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب الفتك بعلي بن أبي طالب والانتقام لعمرو بن عبد ود ولكن علياً صمد لهما وقاتلهما حتى هزمهما وطارد المسلمون فرسان قريش الذين فروا بعد مقتل عمرو.. فقتل الزبير بن العوّام نوفل بن عبد الله وضرب ثغر فرس هبيرة بن أبي وهب وكاد يقتله لولا أن نجّى نفسه بالهرب.. وفرّ عكرمة بن أبي جهل بعد أن ألقى برمحه في الخندق.

الحارث: يا لها من معركة مروعة تجلت فيها قوة المسلمين وشدة بأسهم بالرغم من قلة عددهم.

زيد: إنها قوت روح المسلمين وأثبطت عزيمة الكفار والمشركين.

حكيم: نعم ولكن الأحزاب بعد فشل هذه المغامرة لجأوا إلى إرهاب المسلمين وإزعاجهم والجلب عليهم بالخيل لعلّهم يوهنون بذلك أعصابهم وقوة عقيدتهم.. وزاد في متاعب المسلمين ومحنهم وكروبهم حالة العوز والفقر والجوع التي كانوا عليها في تلك

الساعة.. وحالة الجو القاسية فالبرد كان قارصاً يلسع أجسادهم شبه العارية.. وبطونهم خاوية من النصب والجوع.. فقد كانت تلك السنة سنة جدب وقحط على المسلمين..

زيد: ولكنهم صابروا ورابطوا وصمدوا في وجه هذه الظروف السيئة..

حكيم: نعم.. وبينما كان المسلمون يتحملون بقوة إيمانهم وعقيدتهم كل ذلك جاءتهم أخبار السوء بنقض بني قريظة للعهد فبلغت قلوب المسلمين الحناجر من شدة الجهد والكرب والخوف..

(خبطة موسيقية)..

مزنة: إذن لقد تمكن عدو الله ابن أخطب من التغرير ببني قريظة.. ولكن كيف استطاع ذلك؟..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٤٨ ـ

مزنة: تعالي يا أماه حدثيني كيف استطاع شيطان بني النضير حيي بن أخطب إغراء بني قريظه على نقض العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ بهذه السرعة..؟

سلمى: تعلمين يا بنيتي أن هذا اليهودي القذر حيي بن أخطب قد تعهد لقادة جيوش الأحزاب بأن بوسعه سحب بني قريظة إلى صفوفهم حالما يصلون إلى المدينة ويبدأون في القتال، وهكذا خرج عدو الله ابن أخطب إلى حصون بني قريظة وطلب مقابلة سيدهم كعب بن أسد..

(نقلة صوتية)..

(همسات وأصوات مبهمة تدل على وجود اجتماع وصوت حارس الحصن يقول):

الحارس: بالباب سيد بني النضير حيي بن أخطب يستأذن عليك يا سيدي.

كعب: أغلق دونه باب الحصن..

الحارس: أمرك يا سيدي..

(نسمع مشيته وصوته يخاطب حيي بن أخطب قائلاً):

لا أذن لك عندي بالدخول.. فأذهب من حيث أتيت..

(يصرخ حيي بن أخطب قائلاً):

حيي: يا كعب.. ويحك يا كعب.. افتح لي.. أهكذا يكون لقاؤك لي..

كعب: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم.. وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلاّ الوفاء والصدق..

حيي: ويحك افتح لي أكلمك.. أهذا حق اليهودي على أخيه.. افتح.. افتح.. وكلمني وجهاً لوجه وليس من النافذة..

كعب: ما أنا بفاعل يا حيي.. ما أنا بفاعل.. إذهب ودعني..

حيي: ويحك يا كعب.. سيتحدث اليهود والعرب أنك ما أغلقت دوني حصنك إلاّ تخوفاً على حشيشتك أن آكل معك منها.. يا للعار.. يا للشنار..

كعب: ويحك يا بن أخطب.. ما أسقط لسانك.. واقذع كلامك.. أتوصمني بالبخل.. وأنا من عرفت اليهود في المدينة وفي كل مكان.. افتح له ايها الحارس باب الحصن.

حكيم: ودخل حيي بن أخطب في سرعة حتى وصل إلى حيث كان يجلس كعب بن أسد سيد بني قريظه وما أن رآه حتى قال:

حيي: عم مساء يا كعب..

كعب: عم مساء يا حيي.. افسح له يا غلام صدر المكان وأته بأطايب ألوان الطعام والشراب..

حيي: ما جئت لهذا يا كعب..

كعب: إذن جئت لماذا يا حيي؟..

حيي: ويحك يا كعب.. جئتك بعز الدهر.. جئتك بقريش قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بجمع الأسيال.. وبغطفان شيوخها ورؤسائها حتى أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

كعب: جئتني والله بذل الدهر.. وبجهام قد أهرق ماءه، فهو يرعد ببرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي، دعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء.

حيي: إن ظل أيام اليهود يتقاصر في هذه الجزيرة.. ورواق الإسلام يمتد بسرعة مذهلة، لقد فتك محمد بأخواننا بني قينقاع وبنا نحن بني النضير.. وغداً من في خيبر ومصيركم أنتم جيرانه أقرب.. إن جيوش الأحزاب المطبقة على المدينة بيدها حياتنا أو مماتنا..

كعب: ماذا تقول؟..

حيي: إننا إن نصرنا هذه الجيوش قضت على محمد ومن معه واستأصلت شأفتهم وخلصتنا من شرهم وضمنا حياتنا إلى الأبد.. وإن نحن خذلنا هذه الجيوش الجرارة كان في ذلك مصيرنا المحتوم..

كعب: ولكني على عهد مع محمد فكيف أنقضه..

حيي: ولكن مصير قومك بل مصير اليهودية متوقف على هذه المعركة.. وما عهدك بمنجيك من فتك محمد إن هو خرج ظافراً منصوراً هذه المرة..

كعب: أدع يا حارس زعماء بني قريظة وأحضر صحيفة العهد المعقود بيننا وبين محمد..

(أصوات المناوشات بين المسلمين وجيوش الأحزاب وزئير رياح باردة وأصوات مبهمة تعلو وتهبط.. وأخيراً يدخل زعماء بني قريظة فيبتدرهم كعب بن اسد بقوله):

كعب: يا وجوه بني قريظة.. هذا سيد بني النضير حيي بن أخطب جاءكم بنبأ وبطلب فاستمعوا له وقرروا ما ترون فيه وأنا معكم فيما تجمعون عليه..

حكيم: ويسرد حيي للمجتمعين ما جاء من أجله وتحتدم مناقشة حادة بين زعماء بني قريظة وينهض أحد زعمائهم عمرو بن سعدى فيقول:

عمرو: إنني أحذركم من نقض العهد الذي عقدتموه مع محمد.. أما أنا ومن معي من بني سعيد فلن نغدر بمحمد أبداً.. يا قوم إني امحضكم النصح واقول لكم إذا لم تنصروا محمداً فاتركوه وعدوه..

حيي: أننصر محمداً يا عمرو بن سعدي، وأي عدو أعدى لنا من محمد.. يا زعماء بني قريظه إن أموالكم وأنفسكم ومصيركم مرهون بمصير هذه المعركة.. فخسرانها إيذان بفنائكم وزوالكم وظفرها بشرى لكم وطمأنينة إن في أيديكم كل ذلك فظهر جيش محمد مكشوف من جهتكم، وما هي إلاّ ساعات ويصبح المسلمون فيها أثراً بعد

عين.. قوموا مزقوا صحيفة العهد.. هيا.. قل لهم يا كعب.. قل لهم.. إنك موافق على نقض الصحيفة والانضمام إلى الأحزاب.

كعب: ما رأيكم يا زعماء بني قريظة..

عزال: الرأي ما تراه أنت يا سيد بني قريظة.

كعب: إني أصبحت مقتنعاً برأي ابن أخطب فإنها فرصة العمر للقضاء على الإسلام والمسلمين.

اصوات: موافقون.. موافقون..

كعب: قبل أن أمزق صحيفة المعاهدة.. قل لي يا بن أخطب هل تعطينا العهد والميثاق لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا من محمد مساً أن تدخل معنا حصننا حتى يصيبك ما يصيبنا؟..

حيي: أعاهدكم برب موسى وهارون أن أكون معكم على الخير والشر وأن أربط مصيري بمصيركم.

كعب: هذه هي الصحيفة أمزقها أمامكم وأبرئكم مما كان بينكم وبين محمد..

(نسمع صوت التمزيق.. وبعدها يقول كعب..)..

وأنت يا شاس بن قيس وأنت يا بن باطا جمعوا الرجال والفتيان للقتال..

أصوات: إلى القتال.. إلى القتال.. إلى القضاء على المسلمين.. هيا.. هيا..

حكيم: وبلغ عمر بن الخطاب خبر نقض بني قريظة للعهد فنقله إلى رسول ﷺ فشق عليه ذلك كثيراً وأمر ألاّ يشاع هذا الخبر حتى يستوثق منه.. ثم دعا إليه سعد بن معاذ سيد الأوس وحليف بني قريظة وسعد بن عباده سيد الخزر وعبد الله بن رواحه وأسيد بن حضير وكلفهم بأن ينطلقوا وينظروا أحق ما بلغه عن هؤلاء القوم أم لا

فإن كان حقاً فلينقلوه إليه بصورة لا يعرفها غيره لئلا يفتوا في عضد الناس وإن كانوا على وفائهم فليجهروا به للناس..

زيد: نعم التوجيهات السديدة والتعليمات الرشيدة..

حكيم: وسار وفد النبي ﷺ إلى بني قريظة فاستقبلوهم ودخلوا معهم حصنهم وقال لهم سعد بن معاذ..

سعد بن معاذ: لقد بلغنا يا كعب إنكم نقضتم العهد الذي بينكم وبين رسول الله فإن كان ذلك حقاً فإني أناشدكم الله أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه ولا تطيعوا حيي بن أخطب..

كعب: من هو رسول الله هذا؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد لقد قطعته كما قطعت خيوط نعلي هذا يا سعد بن معاذ..

سعد بن معاذ: قبحت ايها اللعين القذر.. إنك لست سيد بني قريظة بل سيد السفهاء فيها.. ستلقى جزاءك على نقضك العهد..

كعب: أتسبني وأنت في حصني.. وبين قومي.. ورب موسى لولا حليفي سعد بن معاذ معك لأمرت رجالي بقتلك في الحال.. يا سعد بن عباده يا سيد الخزرج الأحمق..

سعد بن عباده: خسئت يا هذا.. والله لتفنى أنت ورجالك قبل أن تقدر على ذلك..

سعد بن معاذ: دع عنك يا بن عباده مشاتمتهم فيما بيننا وبينهم، أربي على المشاتمة.. يا كعب وأنتم يا وجوه بني قريظة إني أخاف عليكم وأنا حليفكم يوماً مثل يوم بني النضير أو أمرّ منه.

كعب: الآن جئتم تطلبون منا الوفاء بالعهد الذي بيننا وبين محمد وهو الذي

كسر جناحنا وأخرج إخواننا بني النضير.. إذهبوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد.

أسيد: أتطردنا يا عدو الله ما أنت كفء يا بن اليهودية، لتولِّين قريش إن شاء الله منهزمين وتتركك في عقر دارك وعندها نعرف كيف نحاسبك..

أصوات: إذهبوا.. لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد..

حكيم: وعاد الوفد إلى النبي ﷺ يحمل تأكيد غدر يهود بني قريظة ونقضهم العهد وابلغوه هذا الخبر المزعج على انفراد دون أن يعلم به أحد غيره من المسلمين.

مزنة: ولكن أخبار السوء لا تخفى.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

لا شك أن وضع المسلمين بعد انضمام بني قريظة للأحزاب قد بلغ أقصى درجات الحرج والتأزم ومصيرهم أصبح كله في مهب العاصفة.

سلمى: نعم يا بنيتي.. لم يلبث خبر السوء أن انتشر فاشتد الخوف وعظم البلاء وخيف على الذراري والنساء ولقد وصف القرآن الكريم جزع المسلمين وفزعهم أصدق وصف حيث قال تعالى:

(نقلة صوتية)..

صـــــــوت: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ . هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٣٢٨)..

(خبطة موسيقية قوية)..

مزنة: وماذا جرى بعد ذلك يا أماه؟..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٤٩ ـ

مزنة: تعالي يا أماه حدثيني فقد أنتابني الفزع والقلق على مصير المسلمين..

سلمى: لقد أصبح المسلمون بعد غدر يهود بني قريظة بين نارين، جيوش الأحزاب من الأمام ويهود بني قريظة من الخلف..

مزنة: لقد كان امتحاناً قاسياً من الله تعالى ليميز به الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب والمؤمنين الثابتين على إيمانهم والذين في قلوبهم مرض..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى حربية تدل على تفاقم الخطر وتأزم الموقف.. وصوت يقول):

حكيم: وعندما نقل الوفد خبر بني قريظة وخيانتهم للعهد أشرق وجه الرسول ﷺ بالإيمان الصادق والعزيمة المكينة شأنه في الملمات، فاقبل على أصحابه يثبتهم ويشجعهم ويبشرهم بالنصر الذي وعد الله به عباده المخلصين.

زيد: إنه والله بلاء عظيم وامتحان رهيب من الله تعالى للمسلمين وجيشهم البالغ تسعمائة مقاتل في وجه عشرة آلاف مشرك مقاتل أمامهم متحفزين لابتلاعهم كما يبتلع البحر الهادر الجزيرة الصغيرة..

حكيم: لقد كشف هذا الكرب العظيم المؤمنين والمخادعين الذين يظهرون

ما لا يبطنون داخل جيش المسلمين والذين تجرأوا بعد نقض بني قريظة للعهد أن ينثروا الإشاعات وينثروا الرعب والأراجيف..

زيد: إنهم المنافقون الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم..

حكيم: والذين في قلوبهم مرض ايضاً يا زيد..

(أصوات مبهمة تعلو وتهبط ـ وبعضها واضح وآخر غامض والواضح منها يقول)..

صوت: بنو قريظة جاؤوكم من أسفلكم.

صوت آخر: وقريش وحلفاؤهم من أمامكم..

صوت: ونحن قلة.. من أين أبتلينا بمحمد وأصحابه..

صوت آخر: لقد كنا في راحة وسكينة قبل قدوم المهاجرين.

منافق: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر واجدنا اليوم لا يأمن أحدنا على نفسه أن يذهب للغائط.. ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً..

منافق آخر: يجب أن ننسحب من جيش محمد ونرجع للمدينة لندافع عن نسائنا وأبنائنا قبل أن يتخطفهم فتيان بني قريظة.

منافق: يا أهل يثرب.. لا مقام لكم اليوم.. إنكم مهددون بالهلاك.. بالفناء لا محالة..

أوس بن قنيطي: أما أنا فسأذهب إلى محمد وأقول له: إن بيوتنا عورة من العدو فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة..

أصوات: الرأي ما رأيت يا أوس بن قنيطي.. الحق معك.. أعراضنا وأموالنا في خطر.. هيا إلى محمد.. هيا.. هيا..

حكيم: ولقد فضح القرآن الكريم هؤلاء المنافقين.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢).. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: ١٣)..

مزنة: صدق الله العظيم.. لقد كان وجود المنافقين داخل صفوف جيش المسلمين ابتلاء ثالث ابتلي به المسلمون.

سلمى: لقد أخذوا فعلاً في الانسحاب يا بنيتي.. وهم يهدفون من وراء ذلك إلى مساندة جيوش الأحزاب وتسهيل مهمتهم وبث روح الفزع والتخاذل واليأس بين المسلمين وتفتيت روح المقاومة وهدم بناء الوحدة التي أرساها الإسلام..

مزنة: إنه موقف رهيب حين أتصوره يا أماه.. فالمسلمون بين فكي الكماشة التي أخذت تضغط على عنق جيش المسلمين الصغير المرابط حول الخندق.

سلمى: ولعلّ افظع من ذلك هي تدهور الحالة المعنوية داخل جيش المسلمين وسيطرة روح الهزيمة والعصيان فيه بذلك الوضع السيء الذي أوجده المنافقون والذين في قلوبهم مرض داخل صفوف المقاتلين..

مزنة: قولي يا أماه وتابعي قصصك عن هذه المعركة المصيرية بالنسبة للإسلام والمسلمين..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى حربية وأصوات مناوشات وصوت يقول)..

حكم: وبعد نقض بني قريظة للعهد تضاعفت حملات فرسان قريش

وأحزابها على الخندق ليل نهار وكان أبو سفيان يقود أكثر هذه الحملات بنفسه وهو يأمل أن يفتح ثغرة في الخندق ينفذ منها ولكن المسلمين وفي مقدمتهم النبي ﷺ كانوا يحرسون هذه المنافذ ويفسدون على العدو هجماته..

زيد: ولا ريب أن هذه الحملات المتلاحقة من جيوش الأحزاب أجهدت المسلمين كثيراً فوق ما كانوا يعانون من شدة الجوع وقسوة البرد القارص والتخوف من هجوم اليهود من الخلف وهم في هذه المحنة..

(يسمع صفير الرياح وزئيرها)..

حكيم: نعم يا زيد لقد بلغ الكرب أشده والخوف أقصاه بالمسلمين.. وجيوش الأحزاب تشدد من هجماتها حتى أنها لم تترك للمسلمين فرصة يستريحون فيها أو حتى يؤدون فيها فريضة الصلاة. فكانوا في حالة تعبئة ومرابطة لا يفارقهم السلاح ليل نهار وقد جاء بعض أصحاب الرسول ﷺ إليه وقالوا له: «يا رسول الله: لقد بلغت القلوب الحناجر. فهل من شيء تقوله؟ قال ذلكم. قولوا: اللَّهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»..

الحارث: كرب والله وجهد ما بعدهما كرب ولا جهد..

حكيم: ولقد أدرك قواد جيوش الأحزاب ما يعانيه المسلمون من شدة الحصار فضاعفوا من نشاطهم وأوعزوا لبني قريظة بأن يبدأوا بالتحرش بالمسلمين من الخلف فصار اليهود يهاجمون الحصون والآطام التي وضع المسلمون فيها نساءهم وأطفالهم.

زيد: وحين رأى المسلمون ذلك زاد كربهم واشتد قلقهم.. وليس أعظم

بلاء ولا أشغل بالاً للمرء من أن تتعرض نساؤه وأبناؤه وبناته لخطر السبي والأسر..

حكيم: وفي هذه الأوقات العصيبة حاول النبي ﷺ التخفيف عن المسلمين بعقد صلح منفرد مع قبائل غطفان الموجودين ضمن جيوش الأحزاب مقابل دفع ثلث ثمار المدينة لهم شرط قبول أصحاب هذه الثمار وهم الأنصار.

زيد: وهل قبل الغطفانيون عقد الصلح يا حكيم؟..

حكيم: نعم وقد حضر لهذا الأمر زعيمان من الغطفانيين إلى النبي ﷺ هما: عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري..

الحارث: وهل قبل الأنصار ذلك؟..

حكيم: لقد قال سيّدا الأوس والخزرج للنبي ﷺ حينما استشارهما في الصلح: يا رسول الله: أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا..

فقال الرسول ﷺ بل شيء أصنعه لكم لو أمرني الله به ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما.

فقال له سعد بن معاذ سيد الأوس:

يا رسول الله: قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان.. لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً.. أفحين أكرمنا بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا.. والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم..

زيد: وماذا كان موقف الرسول ﷺ بعد ذلك؟..

حكيم: عدل النبي ﷺ عن رأيه ومال إلى رأي سيدي الأوس والخزرج وقال لسعد بن معاذ: فأنت وذاك.. وهنا التفت سعد إلى سيدي غطفان عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف قائلاً بصوت مرتفع:

سعد بن معاذ: ارجعا.. ليس بيننا وبينكم غير السيف..

مزنة: ما أروع الموقف الحكيم الذي وقفه الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه من اعتراض أصحابه على رأيه.. إنه لم يتعقب لرأيه.. ولم يغضب لمعارضة أصحابه بل وافقهم حين رأى أنهم على صواب..

سلمى: إنها الشورى الصحيحة.. إنها الديمقراطية الحقة.. إنها درس للدكتاتوريين الذين يؤلهون آرائهم وينزلون أفدح عقوبات الانتقام بكل من يخالفهم.. لقد كان رأي الصلح من عند رسول الله ﷺ ولو كان منزلاً من عند الله ما استشارهم فيه بل لأقدم عليه.. ولكنه كان رأيه الخاص ومع أنه رسول الله لم يفرض رايه بل وضعه للمناقشة وحين وجد أن إخوانه في الدين وفي السلاح يعترضون في صدق وإخلاص عليه مال إلى جانبهم ونفذ ما أجمعوا عليه ﷺ .

مزنة: ﷺ .. وماذا كان صدى هذا الرفض عند المسلمين والأحزاب المشركين..

سلمى: لقد أدرك قادة غطفان أن الذي يصنع الانتصارات ويحققها في ساعة الرّوع ليس عديد الجيوش ولا عدتها وإنما الذي يصنع ذلك قوة الإيمان بالله تعالى..

(نقلة صوتية)..

صوت: والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم..

حكيم: لئن ضاعف هذا الرفض من متاعب المسلمين.. وشحذ من عزائم المشركين والكافرين فقد حفزهم على تشديد اليقظة ومراقبة المواقع الضيقة من الخندق والتي يحتمل اقتحامها من قبل خيل الأحزاب الذين توالت حملاتهم في أمواج متقاربة لإرهاب المسلمين وتحطيم روح المقاومة فيهم تمهيداً للهجوم العام المرتقب بالاشتراك مع يهود بني قريظه..

زيد: يا إلهي.. لقد كانت خطة الأحزاب مضنية مرهقة للمسلمين..

حكيم: نعم.. لقد بلغ بهم الجهد والخوف منتهاه إلى درجة أن النبي ﷺ وبعضاً من اصحابه لم يتمكنوا من أداء صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في أوقاتها بل ظلوا شاكي السلاح يعضهم الجوع المضني ويلسعهم البرد القارس ويرعبهم الحصار الخانق من عدوهم الحانق والمنافقون يتسللون لواذاً من صفوف الجيش المحصور مثيرين غباراً خانقاً من الأراجيف والدسائس فوق زئير الرياح الهوج المزعج في دياجي الليل البهيم والخوف الرهيب.

(نسمع زئير الرياح وصفيرها واصواتاً مرعبة تعلو وتهبط وجلبة وصهيل خيل وأصوات فرسان ومناوشات وأصوات جرحى وأنين قتلى)..

حكيم: وقام يهود بني قريظة بالهجوم على تلك الحصون التي كان يعتصم بها نساء المسلمين وذراريهم وقد صد المسلمون هذا الهجوم وقتلوا أحد اليهود، كما أن صفية بنت عبد المطلب عمة النبي قتلت أحد اليهود بعود حين تسور الحصن وقطعت رأسه وألقت به على اليهود الذين كانوا حول الحصن فراعهم ذلك وانسحبوا مذعورين وهم

يظنون أن هذه الحصون زاخرة بحرس من المسلمين..

مزنة: لله درها ما اشجعها وأقوى فؤادها..

(تضحك سلمى فتسألها مزنة قائلة)..

ولماذا تضحكين يا أماه؟..

سلمى: لقد كان حسان بن ثابت مع نساء المسلمين وصبيانهم في هذا الحصن الذي هو ملكه.. فلما رأت صفية بنت عبد المطلب اليهودي يطيف بالحصن قالت لحسان بن ثابت.. يا حسان: إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن.. وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود.. وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فأنزل إليه فاقتله.. فقال حسان..

(نقلة صوتية)..

حسان: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب.. والله لقد عرفت.. ما أنا بصاحب هذا..

(تضحك مزنة ثم تقول):

مزنة: يظهر أن حسان بن ثابت كان شجاعاً جداً بحيث ترك مع النساء والصبيان في الحصون والآطام..

سلمى: ثم قامت صفية رضي الله عنها وشدت على وسطها وأخذت عموداً وترصدت لليهودي حتى إذا ما رأته يتسور الحصن عاجلته بضربة قضت عليه.. ثم احتزت رأسه وألقته على اليهود المجتمعين حول الحصن كما عرفت وقالت لحسان بن ثابت..

ـ قم يا حسان وأنزل إليه فأسلبه.. فإنه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنه رجل.

فقال حسان..

حسان: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب..

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: إلى الغد إن شاء الله..

مزنة: إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٥٠ ـ

مزنة: واقلق اليهود جيش المسلمين بتحرشهم بالنساء والذرارى وزادوا من متاعبهم وضاعفوا من بلائهم.

سلمى: نعم يا بنيتي.. وحين شعرت جيوش الأحزاب بالنقص الملموس في قوات المسلمين بعد انسحاب المنافقين والذين في قلوبهم مرض أطبقوا عليهم من كل ناحية وشاغلوهم إلى درجة الإرهاق والإعياء بصورة لم يبق لها مثيل حتى بلغ الأمر بالمسلمين إلى حد الإنهيار من الإعياء.

(نقلة صوتية مصحوبة بوقع حوافر الخيل وصليل السيوف وقعقعة سلاح وأصوات تهليل وتكبير من المسلمين تقول: « حم.. لا ينصرون».. وأصوات المشركين تصيح باللات العزى.. وأصوات يهودية تهتف داعية إلى إفناء المسلمين.. وأصوات سقوط جرحى وقتلى وصوت يقول):

زيد: حدثنا يا حكيم عن ليالي معركة الخندق الأخيرة.

حكيم: لقد حم البلاء واشتد الحصار وتزايد هجوم الأحزاب في الليالي الأخيرة من معركة الخندق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه قائلاً: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب.. اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم... ثم قام في

الناس خطيباً فقال: أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو اصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.

الحارث: حقاً أنها كانت ليالي كرب، وجهد وبلاء وكم دامت ليالي الخندق؟

حكيم: حوالي الشهر بلغت فيه حالة المسلمين حد الإعياء من الضيق والتعب والإرهاق حتى هزم الله الأحزاب وكبت الخونة الغادرين من يهود بني قريظة وكتب النصر للمؤمنين الصابرين.

زيد: وكيف تنفس المسلمون الصعداء وتخلصوا من ذلك الكرب العظيم..

حكيم: في الليالي الخانقة الأخيرة من معركة الخندق جاء نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني في الليل إلى معسكر المسلمين. فلما أدخل على رسول الله ﷺ قال له: ما جاء بك يا نعيم قال يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت...

فقال له الرسول: إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن شئت فإن الحرب خدعة.

فقال نعيم: أفعل ولكن يا رسول الله إني أقول فأذن لي أن أقول وإن كان خلاف الواقع...

فقال الرسول: قل ما بدا لك فأنت في حل..

مزنة: أليس هذا نعيم هو الرجل الذي استأجره أبو سفيان بعشرين ناقة ليثبط المسلمين عن الخروج لمعركة بدر الآخرة أو الأخيرة.

سلمى: نعم يا بنيتي... ولكنك تذكرين إني قلت لك أني سأحدثك عن

موقف له رائع في خدمة المسلمين.

مزنة: نعم أذكر يا أماه... هاتي.. حدثيني..

سلمى: وخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى مناسبة)..

أصوات: يا مرحبا بنعيم.. يا مرحبا.. أهلاً ومرحبا..

كعب: مرحبا بك يا نعيم بين خلانك وندمانك... هيئوا يا قوم له الطعام والشراب.

نعيم: يا كعب وأنتم يا وجوه بني قريظة، إني لم آت لطعام وشراب إنما جئتكم تخوفاً عليكم لأشير عليكم برأي... فقد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم.

كعب: صدقت يا نعيم.. لست عندنا بمتهم، بل أنت عندنا على ما نحب من الصدق والبر..

نعيم: عدوني أن تكتموا عني ما سأقوله لكم...

أصوات: نعدك.. سنفعل.. قل.. ولا تخف..

نعيم: يا قوم.. إن أمر محمد بلاء.. صنع ما رأيتم بين قينقاع وبني النضير وأجلاهم عن بلادهم بعد أن استصفى أموالهم وأن ابن أخطب سار فينا فاجتمعنا معه لننصركم.. وإن الأمر قد استطال كما ترون...

كعب: بلى يا نعيم.. بلى.

نعيم: إن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم.. البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره.

أصوات: صدقت يا نعيم.. صدقت..

نعيم: وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا الحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلادهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم.. فإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد...

كعب: بالصواب نطقت يا نعيم..

نعيم: وقد كبر عليهم جانب محمد... جلبوا عليه بالأمس القريب إلى الليل فقتل رأسهم عمرو بن عبد ود العامري وهربوا منه مجروحين.. ومحمد ببلادكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم.

كعب: صحيح.. قل يا نعيم... أشر.

نعيم: لا تقاتلوا محمداً مع القوم حتى تأخذوا منهم رهائن سبعين رجلاً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه ويقضوا عليه...

أصوات: أشرت بالرأي والنصح..

كعب: بورك فيك يا نعيم...

نعيم: اكتموا عني ما قلت..

كعب: سنفعل.. سنفعل.. كن مطمئناً..

نعيم: عمو مساءً..

أصوات: عم مساء يا نعيم. يا صديق بني قريظة.

مزنة: يا له من داهية..

سلمى: إنه ليس داهية فحسب بل عبقري ألمعي..

مزنة: تابعي حديثك يا أماه.

(نقلة صوتية)..

نعيم: عم مساءً يا أبا سفيان وأنتم يا صناديد قريش..

أبو سفيان: عم مساء يا نعيم..

أصوات: عم مساء يا أخا غطفان..

أبو سفيان: قل ما وراءك..

نعيم: قد عرفتم ودي لكم وعداوتي لمحمد... وإنه قد بلغني أمر قد رأيت أن ابلغكموه نصحاً لكم فاكتموه علي..

أبو سفيان: سنفعل.. قل.. وافصح..

نعيم: لقد جئتكم من عند بني قريظة وقد رأيتهم قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد.

أبو سفيان: أتعني ما تقول يا نعيم.

نعيم: أتشك في صدقي يا أبا سفيان وأنت تعلم علاقتي ببني قريظة.

أبو سفيان: كيف وأنت من أعز ندمانهم وأصفى خلانهم.

نعيم: لقد أرسلوا إلى محمد يقولون أنهم نادمون على ما فعلوا وأنهم مستعدون لوضع يدهم في يده من جديد ليكونوا معه عليكم وأنهم لكي يبرهنوا على صدق نيتهم وطويتهم قالوا له:

أبو سفيان: قالوا له ماذا.. قل وفصل..

نعيم: قالوا له: هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم..

أبو سفيان: وهل وافق محمد على ذلك..؟

نعيم: بلغني من أصحاب ابن سلول إنه وافق على ذلك..

أبو سفيان: بم تشير يا نعيم..

نعيم: أرى أن بعثت إليكم يهود بني قريظة يلتمسون منكم رهائن فلا تدفعوا إليهم منكم أحداً..

أبو سفيان: حييت يا نعيم وبورك فيك.. والله لن نسلمهم عنق بهيمة واحدة فكيف نسلمهم سبعين رجلاً من أشراف قريش.

أصوات: مستحيل.. مستحيل.. لا نقبل ذلك..

نعيم: عموا مساءً.

أصوات: عموا مساءً.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

حكيم: ثم خرج نعيم من عند قريش حتى أتى قومه غطفان فقال لهم:

نعيم: يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب النَّاس إلي وأنا رجل منكم ولا أراكم تتهموني..

أصوات: صدقت ما أنت عندنا بمتهم.

نعيم: إن لدي أمراً سأقوله لكم فاكتموه عني..

نفعل فما أمرك؟

حكيم: فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم أن يدفعوا إليهم رجلاً واحداً منهم وتمت خدعة نعيم للجميع.. ودارت في رؤس قادة جيوش الأحزاب وأحبوا أن يستوثقوا من صحة ما نقله إليهم نعيم بن مسعود الأشجعي.

زيد: وربما لأنهم ملوا الوقوف شهراً تقريباً أمام خندق من دون أن يلتحموا بالمسلمين وجهاً لوجه.

حكيم: لعله هذا وذاك..

زيد: وماذا فعل قادة الأحزاب في سبيل الوصول إلى الحقيقة..

حكيم: أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان.. فلما وصلوا إليهم واجتمع بهم قال لهم:

(نقلة صوتية)..

عكرمة: يا سيد بني قريظة ويا وجوهها.. إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فأغدوا للقتال حتى نناجز محمداً وننفرغ فيما بيننا وبينه.

كعب: إن غداً السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً خاصاً به ما لم يخف عليكم.

عكرمة: فليكن غير يوم السبت.. إننا نريد القضاء على محمد بها نحن نحاصر الخندق حوالي الشهر ولما نأت نتيجة وقد أرسلتم لنا رجلكم عزَّال بن سمُّوك تلومونا على أننا لم نصنع شيئاً وأرسلتم لنا معه تقولون إنكم لو وعدتمونا يوماً تزحفون فيه على محمد فتأتون من وجه وتأتي غطفان من وجه وتخرجون أنتم يا بني قريظة من وجه فلن يفلت منا محمد.. وها نحن جئناكم الليلة لنقول لكم إنا على أتم استعداد لتنفيذ ما أرتأيتم.

كعب: حسناً.. حسناً.. ولكنا لسنا مع ذلك بالذين يقاتلون معكم محمداً حتى تعطونا رهائن سبعين رجلاً من أشرافكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم

القتال أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه..

عكرمه: سأعود برأيكم هذا إلى أبي سفيان وقادة غطفان.

كعب: ليكن ما تريد.. وبنو قريظة على استعداد للقتال إذا دفعتم لنا الرهائن.

عكرمه: عموا مساء.

أصوات: عموا مساء.

(نسمع حركات خروجهم كما نسمع زئير الرياح وصفيرها وأصوات مناوشات.. ووقع حوافر خيل وصوت يقول)..

أبو سفيان: ما وراءك يا عكرمة أنت ومن معك.

عكرمة: يريد بنو قريظة سبعين رجلاً من أشراف قريش وغطفان رهائن يكونون بأيديهم ثقة لهم حتى يناجزوا محمداً أنهم يشكون في صدق تحمسنا للقتال كما يخشون محمداً ولعلهم ضالعون معه..

أبو سفيان: يا قوم.. والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق..

أصوات: نعم.. نعم.. نعم..

أبو سفيان: أرسلوا إليهم أنا لا ندفع إليهم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كانوا يريدون القتال فليخرجوا ليقاتلوا.

أصوات: بالصواب نطقت يا أبا سفيان...

حكيم: وعندما انتهت رسل أبي سفيان إلى بني قريظة بهذا قالوا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق.. ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشروا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين محمد في بلدنا..

زيد: وما كان موقفهم بعد ذلك.

حكيم: أرسلوا إلى قريش وغطفان قائلين إنهم لن يقاتلوا معهم محمداً حتى يعطوهم الرهائن.

(أصوات رياح تسفى في زئير وصفير مرعب)..

مزنة: يالله.. حقاً أن نعيماً هذا شخصية فذة إنه نابغة...

سلمى: أنها قوة الإيمان يا بنيتي تلك القوة الخارقة التي حفزت نعيماً أن يقدم على هذه المحاولة الخطيرة وأن يسجل هذه الصفحة الرائعة الخالدة في تاريخ الدبلوماسية العالمية.

مزنة: صحيح يا أماه.. وإن نعيماً فلتة.. إنه الذكاء الفطري إعرابي من هذه الصحارى الموحشة لم يتمرس حياة الدبلوماسيين ولم يختلط بالرجال المحنكين في الدول المتمدنة في شمال الجزيرة وشرقيها ومع ذلك يأتي بالأعاجيب.. ولا مرية أن هنالك معجزة أراد الله سبحانه وتعالى أن تتحقق على يد هذا الإعرابي...

(خبطة موسيقية قوية)..

سلمى: ستعرفين ذلك غداً إن شاء الله..

مزنة: إنه شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٥١ ـ

مزنة : وهكذا استطاع نعيم الأشجعي الصحابي الالمعي أن يشحن قلوب اليهود والأحزاب بطاقة كبيرة من الشك والريبة وعدم الثقه.

سلمى: لقد نجح هذا الدبلوماسي بالفطرة والداهية الموهوب أن يزرع حقول الغام من الريبة والتخوف وعدم الاطمئنان في صرح التحالف الوثني اليهودي.. وأن ينتظر في ثقة واعتزاز تفجر هذه الإلغام بين حين وآخر.

مزنة: حدثيني يا أماه كيف بدأت هذه الألغام تنسف صرح تحالف اليهود والأحزاب..

(نقلة صوتية)..

(أصوات رياح تمضى في زئير وصفير مرعب وصوت يقول):

زيد: عندما استحكم الخلاف بين الأحزاب ويهود بني قريظة لم يقم شيطان بني النضير حبي بن أخطب بمحاولة لرأب الصدع؟

حكيم: بلى يا زيد... عندما تدهور الموقف بين الفريقين سعى حبي بن أخطب إلى بني قريظة محاولا إقناعهم على الهجوم ولكن سعيه باء بالفشل.. وكان جواب كعب بن أسد سيد بني قريظة له..

(نقلة صوتية)..

كعب بن أسد: والله لا نقاتل معهم محمدا حتى يدفعوا إلينا سبعين رجلا من قريش وقطفان هنا عندنا.. فلا تحاول يا بن أخطب أن تجد جواباً عندنا غير هذا.

حكيم: وانصرف حبي من عند بني قريظة يتعثر في أذيال خيبته وفشله ولما علم قادة الأحزاب بفشل مسعى ابن أخطب الأخير جمعهم أبو سفيان وخطب فيهم قائلا:

(نقلة صوتية مسبوقة بعاصفة هوجاء من رياح عاتية وأصوات وقوع خيام وقدور وصراخ وأصوات مبهمة تعلو وتهبط).

أبو سفيان: يا قوم.. إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام.. لقد هلك الكراع والخف.. واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون.. ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء... إني أرى أن نرتحل فماذا ترون؟

طليحة: يا أبا سفيان.. إن لنا قرابة ثلاثين ليلة ونحن مستمرون أمام هذا الخندق لا نستطيع عبوره وقد هلكت إبلنا من قلة المرعى والعشب.. وضاقت نفوسنا وسئمت من شيء لم تألفه.

عبينه: انما قاله طليحة لا يعدو الواقع فقد بدأت وساوس التذمر بين قومنا.. ولولا بقية من وفاء لانفضوا من حولنا وإنسابوا ينتجعون مكانا غير مكاننا.. ولقد أعمت الرياح السافية العاتية عيوننا وأهاجت خيلنا وركابنا.. فاختلط زادنا بها حتى أصبحنا في كرب وبلاء منها.. وإن الرحيل خير لنا مما نحن فيه بعد أن خانت بنو قريظة عهدها وأخلفت وعدها.

(أصوات رياح عاتية تسعى وقدور تكفأ وخيام تقتلع وأصوات تستغيث هنا وهناك)..

أبو سفيان: إذن فقد اتفقنا على الرحيل.

طليحة: اتفقنا يا أبا سفيان.. اتفقنا وليذهب بنو قريظة إلى النار.

أبو سفيان: يا خالد..

خالد: لبيك يا عماه.

أبو سفيان: تولى أنت وعمرو بن العاص تنظيم ارتحا لنا وحماية مؤخرتنا من تعقب المسلمين إذا ما علموا بارتحالنا.

خالد: أمرك يا عماه.

أبو سفيان: عكرمة... عكرمة.. ادع لي أبا سلمة الخشنى.

(أصوات رياح تسعى تكفي القدور وتطفىء النيران وتقتلع الخيام وأصوات تصرخ).

أصوات: إلينا... أدركونا... أدركونا... اغيثونا.

أبو سفيان: انظروا ما الخبر يرحمكم الله. . . لعمري إنها آثار هذه الرياح لقد أعمت أبصارنا وصرنا لا يرى المرء من بجانبه.

أحدهم: إنها الريح الصرصر يا أبا سفيان. . اقتلعت منازلهم فوقعت أعمدتنا على رؤوسهم فشجتها وأكفأت قدورهم على ما فيها من زاد وأطفأت نيرانهم وكادت تدفنهم الرمال. . لو لم يهب جيرانهم لإنقاذهم.

أبو سفيان: ألم أقل لكم إنها الريح.

أحدهم: أبو سلمة حضر يا أبا سفيان.

أبو سفيان: امسكتي يده فإني لا أكاد أراه من غبار هذه الريح.

أبو سلمة: هاأنذا يا أبا سفيان.

أبو سفيان: خذ هذه الرسالة إلى محمد واذهب إليه من توّك.

طليحة: وماذا قلت فيها يا أبا سفيان؟

أبو سفيان: قلت يا طليحة:

باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل .

صفوان: لقد سرت إليك في جمعنا وأنا نريد الا تعود حتى نستأصلكم فرأيت قد كرهت لقاءنا وجعلت مضائق وخنادق واعتصمت بها واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وإنما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا إلا فرارا من سيوفنا ولقائنا فليت شعري من علمك هذا. . . فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد ننصر فيه النساء. .

أصوات: أحسنت يا أبا سفيان. . . أحسنت يا أبا سفيان. .

أبو سفيان: أذنوا بالرحيل.. وافعل ما أمرتك يا خالد..

خالد: لقد أعددت كل شيء يا عماه.

أبو سفيان: بورك فيك.. وأنتم يا وجوه بني قطفان أين ننسى لكم هذه الحمية وهذه الفعال وهذا النضال فقد وفيتم وكفيتم وكنتم عند حسن الظن.. ولنا لقاء مع محمد لن يفلت منا فيه.

طليحة: بورك فيك يا أبا سفيان.. وبورك لقريش في حلفائها وأحابيشها ومواليها.. وأنا بانتظار اليوم الذي نلتقي معكم بمحمد وأصحاب محمد فسيكون حسابه فيه عسيرا.

أصوات: الرحيل يا قوم.. الرحيل يا قوم.. هذا أمر أبي سفيان إليكم وصوت يقول:

الصوت: لقد عاد أبو سلمة الخشني من عند محمد.

أبو سفيان: ادخلوه يا قوم... ادخلوه.

أبو سلمة: عم مساء يا أبا سفيان.. عموا مساءا أيها القوم.

أبو سفيان: ما وراءك؟؟

أبو سلمة : قرىء على محمد كتابك وبعد أن عرف محتوياته أمر بالإجابة فاحتجزت حتى سلمت إلي.

أبو سفيان: اقرأها.

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب أما بعد:

فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور وسيحول الله بينك وبين ما تريد، ويجعل الله لنا العاقبة ـ وأما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم وأنك لا

تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك بذلك وأما قولك من علمك الذي صنعنا من الخندق فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك.

أبو سفيان: الويل لمحمد... الويل له... هيا يا قوم.. ارتحلوا... ارتحلوا..

(موسيقى رحيل.. وأصوات رياح لنسقى بشدة)..

حكيم: وهكذا انقشعت العمة وخلص الله المسلمين من براثن هذه المحنة.. وجنى المسلمون الصادقون ثمار صدقهم وصبرهم وثباتهم مع نبيهم في تلك الليالي الرهيبة المرعبة.

زيد: نعم يا حكيم.. إنها برهنت وكشفت المؤمن الثابت العقيدة من غيره.. وكانت ابتلاء أراد الله أن يمحص به المسلمين ليخرجوا منه وهم أشد ما يكونون تمسكا بعقيدتهم.

سلمى: وقد بشر النبي ﷺ أصحابه بعد رحيل الأحزاب بقوله ما معناه: (لا يغزونكم بعدها أبدا ولكن أنتم تغزونهم).

مزنة: ﷺ.

سلمى: وفعلا يا بنيتي... لم يتعرض المسلمون بعد غزوة الأحزاب لأي غزوة من قبل العدو وإنما كانوا هم الذين يقومون بذلك حتى استكملت لهم السيطرة على الجزيرة العربية ودانت لهم قبائلنا ومن فيها..

مزنة: وما ينطق عن الهوى... إن هو إلا وحي يوحى.

سلمى: صدقت يا بنيتي.. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

مزنة: قولي يا ماما ماذا جرى لنعيم بن مسعود الأشجعي بعد أن رأى ثمرة جهوده وجهاده..

(نقلة صوتية)

حكيم: أما نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني فبعد انسحاب قومه بني غطفان التحق بالنبي ﷺ وأعلن إسلامه.

زيد: لا شك أنه كان فخورا بما فعل.

حكيم: لقد أقدم على ما أقدم في سبيل الله وهو لا يطلب جزاء ولا شكورا من أحد بل فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله وبدافع من إيمانه القوى بالله سبحانه وتعالى وبنبيه محمد ﷺ.

الحارث: وكم كان عدد قتلى المسلمين في غزوة الأحزاب؟

حكيم: كان عدد المسلمين الذين استشهدوا ثمانية على الأقل وهنالك قتلى بطريق الخطأ لم يعرف عددهم.

الحارث: وكيف يا حكيم؟

حكيم: خرجت فئتان من المسلمين لحراسة جانب من مشاريع الخندق فالتقتا في الليالي الحالكة من ليالي الخندق التي كانت تسفي فيها الرياح بشدة فظنت كل واحدة منها أن الأخرى عدوة وكانت بينهما جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الإسلام فكف بعضهم عن بعض ولما بلغ الخبر سول الله قال ما معناه: جراحكم في سبيل الله ومن قتل منكم فإنه شهيد.

زيد: وكم كان قتلى المشركين؟

حكيم: سته وكلهم من قريش وليس فيهم أحد من غطفان..

الحارث: ألم تشترك قطفان في القتال.. ألم تهاجهم؟

حكيم: نعم ولكنها لم تكن متحمسة للقتال كما كانت قريش وأحلافها ثم

أن الخندق أحدث صدمة في نفوس الأعراب الذين اشتركوا في هذه المعركة طمعا النهب والسلب بأقل ما يمكن من الضحايا في الأنفس ثم عندما وجدوا أن الخندق يحول بينهم وبين ما جاؤوا من أجله آثروا السلامة في انتظار ما تسفر عنه المخاطرات التي قام بها فرسان قريش.

الحارث: إنه تحليل رائع للموقف الجامد الذي وقعته قبائل غطفان في غزوة الأحزاب.. لم يكونوا أيضا مدفوعين بدافع عقائدي كما إنهم لم يكونوا يضمرون البغض والعداوة للمسلمين بالشكل الذي كان عليه كفار قريش.

مزنة: وماذا كانت نتائج معركة الخندق يا أماه..

سلمى: النتائج بينه وباهرة.. هزيمة شنيعة منكرة لقريش وأحلافها وللقبائل التي ساندتها وليس أدل على ذلك من أن المدينة لم تتعرض لأي غزو بعد معركة الخندق.

مزنة: طيب يا أماه.. ولكن ما هو الدرس الذي أخذته قيادة المسلمين من وراء هذه المعركة.

سلمى: لقد أدركت قيادة المسلمين أنه لا مناص من القضاء نهائيا على أوكار الدس والمؤامرات اليهودية داخل المدينة وفي خيبر وإن بقاء الوجود اليهودي المتنفذ بسلطان ماله وفكره معناه استمرار تعريض الكيان الإسلامي للخطر ـ فيجب إذن التخلص من هذه الأوكار.. ولذلك فبعد انسحاب جيوش الأحزاب أذّن مؤذن الرسول ﷺ بالدعوة إلى قتال بني قريظه.

مزنة: وكيف تم القضاء على هذه الأوكار..؟

سلمى: ستعرفين ذلك غدا أن شاء الله.

الحلقة ـ ٥٢ ـ

زيد: حدثنا يا حكيم كيف تم القضاء على يهود بني قريظه.

حكيم: أن موقف الخيانة الذي أتخذه يهود بني قريظه في أحلك أيام وليالي الخندق الحرجة لم يبق ذرة من العطف والشفقة في قلوب المسلمين على بني قريظة.. وكل واحد ممن شهد معركة الخندق كان يتحرق غيظا وحنقاً وينتظر أمر الرسول ﷺ بالزحف على هؤلاء اليهود الغادرين..

زيد: لا شك أنه موقف تجلت فيه الخيانة بأبشع صورها ومظاهرها.

حكيم: وهكذا عندما نزل الوحي على النبي الأمين بالمسير إلى بني قريظة هرع المسلمون فرادى وجماعات إلى قتالهم بالرغم مما كانوا عليه من إرهاق وتعب ولا سيما وأن المسلمين لم يستكملوا راحتهم من عناء معركة الخندق..

(نقلة صوتية)

صوت المؤذن: (يا معشر المسلمين من كان سامعا ومطيعا لله ورسوله فلا يصلين العصر إلا في بني قريظه) (أصوات تهليل وتبكير.. وصليل سيوف وقعقعة سلاح ووقع حوافر الخيل وأقدام المشاة)

حكيم: وحينما بلغ عمرو بن سعدي وهو سيد من سادات يهود بني قريظة انسحاب الأحزاب وفكهم الحصار عن المدينة دعا قومه إلى اجتماع عاجل وقال لهم:

(نقلة صوتية تدل على وجود عدد من الناس في شكل اجتماع وصوت عمرو بن سعدي يقول):

عمرو: يا قوم انسحب القرشيون والغطفانيون وخلفونا وحدنا وجها لوجه

أمام محمد وأصحابه.. ولقد كنت حذرتكم من نقض العهد الذي بيننا وبين المسلمين فلم تستجيبوا.. وها هي ساعة حساب المسلمين لنا تدنو فهل لكم قبل بهم؟

أصوات: سنقاتل دون أموالنا ونسائنا وأبنائنا.

عمر: يا بني قريظة لقد رأيت عبرا، رأيت دار إخواننا بني النضير خالية بعد ذلك العز والشرف تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا أذلاء.

أصوات: يجب أن نقاتل ونثأر لإخواننا بنى النضير.

عمرو: يا قوم أقول لكم كحبر من أحباركم أنه لا يعادي أحداً محمد إلا كان مصيره الخسران.. لقد أوقع ببني قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم. يا قوم أطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فأن في الإسلام العز والشرف والدنيا.

أصوات: كلا... كلا... لقد صبأ عمرو.. وسحره محمد

(يسمعون طلائع زحف المسلمين نحو حصونهم فيقول لهم عمرو):

عمرو: هذا الذي حدثتكم عنه وحذرتكم منه قد وقع يا قوم.. إن أبيتم تدخلوا في دين محمد فاثبتوا على اليهودية واعطوا الجزية فوالله ما أدري أيقبلها منكم أم لا بعد ما فعلتم..

أصوات: لا... لا... نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك..

عمرو: إنني برىء منكم براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. وإني مفارقكم إلى الأبد.

أصوات: إلى حيث ألقت.. إلى حيث ألقت..

حكيم: وخرج عمرو بن سعدي إلى النبي ﷺ وأسلم.

زيد: وماذا جرى بعد ذلك..

حكيم: أحكم المسلمون الحصار حول حصون بني قريظة وقاموا بتطويقها من كل جانب وقطعوا كل اتصال لهم ووضعوا أيديهم على كل مزارع بني قريظة ونخيلهم خارج حصونهم.

الحارث: ألم يقاوم اليهود هذا الحصار

حكيم: قاوم بنو قريظة الحصار في الأيام الأولى منه بشدة غير أنهم بعد مرور عشرين ليلة عليه بدأ الوهن والقلق يتسرب إلى نفوسهم.

زيد: ذلك لأنهم أيقنوا أن المسلمين لن يرفعوا عنهم الحصار حتى يستسلموا أو يقتحموا عليهم حصونهم ويفتحوها بحد السيوف.

حكيم: صحيح يا زيد.. إن هذا الاعتقاد الجازم من قبل اليهود أشاع في نفوسهم الرعب والخوف والجزع فأخذوا يفكرون في طريقة للتخلص من الورطة التي وقعوا فيها.

زيد: والحفرة التي حفروها بأيديهم.

حكيم: نعم وانطلاقا من هذا التفكير عمد كعب بن أسد سيد بني قريظة إلى دعوة زعماء قومه إلى اجتماع عاجل.

(أصوات مبهمة تعلو وتهبط وسكون يعقبه صوت كعب بن أسد يقول):

كعب: يا معشر بني قريظة.. قد نزل بكم من الأمر ما ترون، ولقد كنت كارها لنقض العهد بيننا وبين محمد لولا تعزيز حيي بن أخطب الجالس بينكم الآن بنا حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه.. والآن وجيش محمد يحيط بحصون بني قريظة كما يحيط السوار بالمعصم فماذا ترون..

(أحد الحاضرين الرأي أشير به يا كعب)..

كعب: بماذا تشير يا حيى به أخطب يا رأس البلاء..

حيى: ورب موسى وهرون لم أكن أتوقع هذه النتيجة بعد الجهد الكبير الذي تمت به والأموال الطائلة التي أنفقتها في سبيل نصرة بني قومنا.. يا كعب لكل مجتهد مما كسب نصيب وها أنذا أدخل معكم حصونكم وأربط مصيري، بمصيركم ورأيي أن نقاتل محمدا حتى لا يبقى منا أحد.

كعب: يا قوم إني أرى إمّا أن تدخل في الإسلام، أو نقتل نساءنا وأبناءنا واهجم على محمد هجمة رجل وأحد أو نلجأ إلى أخذ المسلمين على حين غرة منهم قمة رأيكم؟

ابن باظا: أما أن ندخل في دين محمد فهذه دعوة نفضل الموت عليها وأما أن نقتل نساءنا وأطفالنا فما ذنب هؤلاء المساكين وأي عيش يطيب لنا بعدهم، وأما أن نأخذ المسلمين على غرة يوم السبت فلا يمكن أن ننقذ ميتا وتحدث عليه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا عن قد علمت الإصابة ما لم يخف علينا من المسخ.

أعميات: بالصواب نطقت بابن باظا.. نحن معا نوافق ما ارتأيت.

كعب: يا للعصيبة وخيبة الأمل.. ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما

ابن باظا: هل أشير يا كعب.. فأفصح لنا صدرك.

كعب: قل يابن باظا.. قل..

ابن باظا: نفاوض محمدا في الجلاء وهو آخر سهم في الجعبة إن لم تحدث أشياء تغير ذلك.

كعب: وأية أشياء تنتظر.. لقد غدرت بنا قريش وأحابيشها وغطفان

وأحلافها وتركونا في وجه محمد وننتظر بعد ذلك أشياء.. أية أشياء يابن باظا.

ابن باظا: ربما عدل محمد عن حصارنا وفك أسارنا كما فكت جيوش الأحزاب أساره

كعب: إن إيمان محمد وأصحابه هو الذي قشع عنهم هذه الغمة وخلصهم من الكرب الذي كانوا فيه ونحن فقدنا إيماننا وثقتنا بأنفسنا فأصبحنا نقاد كالأنعام لكل من هب ودب.

نباشر: إن الدخول في مفاوضات مع محمد كما أرتأى ابن باظا أسلم عاقبة من كل ما أرتأيت يا كعب

أصوات: بلى.. بلى.. أنه الرأي السديد.

كعب: إذن لتكن أنت يا نباش من قيس رسولنا إلى محمد فهل توافقون على ذلك يا قوم

أصوات: موافقون.. موافقون..

حكيم: وحمل نباشر بن قيس إلى النبي ﷺ عرض بني قريظة للعمل.

الحارث: وماذا تضمن العرض؟

حكيم: طلب بنو قريظة السماح لهم بالخروج من يثرب مع نسائهم وذراريهم وما تقدر الإبل على حطه من متاع غير السلاح على أن يتركوا بقية كل ما يملكون في يثرب للمسلمين.

زيد: وما كان جواب النبي ﷺ على ذلك.

حكيم: رفض هذا العرض رفضا باتا وأبلغهم أنه لا يقبل ألا أن يسلم بنو قريظة أنفسهم من دون قيد أو شرط ونقل نباشر بن قيس الجواب إلى قومه.

الحارث: وماذا كان موقفهم إزاء ذلك.

حكيم: لم ييأس اليهود بل أرسلوا نباشر بن قيس بعرض ثان يطالبون فيه السماح لهم رجالا ونساء وأطفالا بالجلاء عن يثرب بأرواحهم وترك كل ما يملكون للمسلمين بعاقبة أموالهم.

زيد: وماذا كان الجواب على هذا العرض.

حكيم: إصرار النبي ﷺ على موقفه الأول وهو أن يسلم اليهود من دون قيد أو شرط.

الحارث: أنهم يستاهلون ذلك بحق.

حكيم: وأسقط في يد يهود بني قريظة وازدادت مخاوفهم وأجهدهم الحصار وضيق قبضت على أعناقهم ولم يبق لديهم سوى أمرين: الدخول في معركة فاصلة مع المسلمين أو التسليم بدون قيد أو شرط.

الحارث: فأما القتال فلا شك أن اليهود أجبن من أن يقوموا به وأما التسليم بدون قيد أو شرط فهذا هو ما سيختارون.

حكيم: صدقت يا حارث... كان التسليم بدون قيد أو شرط هو ما قرره بنو قريظة ولكنهم قبل أن يبلغوا قرارهم هذا إلى النبي ﷺ طلبوا منه أن يسمح لحليفهم أبي لبابة الأنماري بأن يأتي إليهم ليستشيروه في أمرهم.

زيد: ولما أختار اليهود أبا لبابة الأنصاري من دون غيره من حلفائهم الأوس.

حكيم: لأن أبا لبابة كانت أمواله وأولادهم في الجبهة التي كانت فيها بنو قريظة وكان على علاقة وثيقة به قبل أن ينقضوا العهد ويرتكبوا هذه الخيانة.

زيد: وهل استجاب الرسول ﷺ لطلبهم؟

حكيم: نعم يا زيد لقد أمره بالذهاب إليهم وعندما دخل جيشهم قبيل أبو لبابة يحشد من النساء والصبيان يبكون من شدة الحصار وما هم فيه من جهد وكرب.

(نسمع أصوات بكاء متواصل من نساء وأطفال.. ثم سكين وصوت كعب بن أسد يقول):

كعب: يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وقد هلكنا وبعد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحفنا بأرض الشام أو خير ولم نطأ له أرضا ولم تكبر عليه جمعا أبدا أما ترى قد اخترناك على غيرك. أشر على ننزل على حكم محمد وماذا سيكون مصيرنا.. قل يا أبا بشير قل.. بربك قل.

(نسمع أصوات بكاء النساء والصبيان ونشيج الرجال).

حكيم: وهنا زلت قدما أبي لبابة وكان قد تأثر ببكاء النسوة والأطفال والرجال فقال:

مزنة: فقال ما يا أماه؟

سلمى: ستعرفين ذلك غدا إن شاء الله.

مزنة: إن شاء الله تعالى.

الحلقة ـ ٥٣ ـ

(نسمع أصوات عويل نساء وبكاء صبية وأطفال ونحيب رجال ثم سكون مطبق يعقبه صوت كعب بن أسد يقول):

كعب: قل يا أبا بشير.. أشر.. هل ننزل على حكم محمد.. بربك قل..

(أصوات عويل نساء وبكاء صبية وأطفال ونحيب رجال.. ثم سكون.. مطبق يعقبه صوت أبي لبابة يقول):

أبو لبابة: نعم.. نعم..

حكيم: ثم أشار أبو لبابة إلى حلقة وكأنه يعني: أنه الذبح أن لم تفعلوا غير أن أبا لبابة لم يكد يفرغ هذه الإشارة حتى أحس بعظم الخطيئة التي ارتكبها في حق نبيه وأمته فارتبك ثم قال:

أبو لبابة: لا حول ولا قوة إلا بالله.

حكيم: ثم فاضت عيناه ندما على ما فعل..

(نسمع صوت نحيبه وتكراره قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله..)

حكيم: واسودت الدنيا في عيني أبي لبابة وضاقت الأرض في وجهه بما رحبت.. وأنبه ضميره ووبخه فغادر مجلس بني قريظة لا يلوى على شيء ولم يذهب إلى النبي ﷺ خجلا وندما بل ذهب إلى المسجد وربط نفسه بسارية المسجد ورآه أحدهم فصاح به قائلا:

أحدهم: ماذا تفعل بنفسك يا أبا لبابة؟

أبو لبابة: لقد آليت على نفسي إلا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهدت الله أن لا أطأ أرض بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا.

حكيم: وظل أبو لبابة مربوطا سبع عشرة ليلة كاد يذهب فيها سمعه وبصره حتى نزل الوحي على رسول الله ﷺ بتوبة أبي لبابة فسار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده.. فلما مر به النبي ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

زيد: هل تحفظ آية التوبة التي نزلت بحق أبي لبابة الأنصاري؟

حكيم: نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢).

الحارث: لقد كانت استشارة يهود بني قريظة لأبي لبابة آخر سهم في كنانتهم ولا شك.

حكيم: فلما أطلقوه تملكهم الرعب والفزع وسيطر عليهم الخوف والجبن جمعهم كعب بن أسد وقال لهم:

(نقلة صوتية)..

كعب: يا قوم لقد نثرت كنانة رأيي بين أيديهم فلم تقبلوا واحدة منها والآن قد بلغت الروح التراقي.. خمس وعشرون ليلة ونحن محاصرون وعدونا لم يترك لنا فرصة نستريح فيها.. في هذه الحال لم يبق علينا إذن إلا أن ننزل على حكم محمد وقد لاحظتم من إشارة أبي لبابة مصيركم المحتوم.

فماذا تشيرون؟؟

عزال بن سموأل: أرى أن مصيرنا لن يكون أسوأ من بني النضير وأن حلفاءنا من الأوس سيدفعون عنا الشر.

نباش: أشرت بالصواب يا عزال بن سموأل وأرى أن نعرض على محمد أمر ارتحالنا إلى اذرعات بالشام.

أصوات: موافقون.. موافقون..

كعب: ليقم نباشر بن قيس بهذه السفارة.

حكيم: وأعلن يهود بني قريظة استسلامهم بعد أن رفض النبي ﷺ طلب ارتحالهم ومشت جماعة من الأوس إلى الرسول وقالوا له: يا نبي

الله.. ألا تقبل من حلفائنا مثل الذي قبلت من حلفاء الخزرج؟
فأجاب ﷺ قائلا:

يا معشر الأوس ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم رجلا منكم قالوا بلى يا رسول الله.

قال: فقولوا لهم فليختاروا من شاؤوا.

(أصوات هرج ومرج وسلاسل وقيود)...

وأصوات نساء وأطفال...

(ثم سكون مطبق وصوت يقول):...

الصوت: يختار اليهود سعد بن معاذ حكما.

أصوات: إلينا بسعد يا قوم.. هلموا إليه ندعوه ... اسرعوا إليه.

الحارث: ألم يشترك سعد بن معاذ في حصار بني قريظة.

حكيم: لا.. لم يشترك لأنه كان متأثرا من جراح السهم الذي أصابه يوم الخندق فقطع أكحله.

زيد: وعندما استسلم اليهود وألقوا بأسلحتهم ماذا فعل المسلمون بهم في الوقت الذي كانوا ينتظرون فيه قدوم الحكم سعد بن معاذ.

حكيم: اعتقل الرجال بعد أن جردوا من أسلحتهم وكان عددهم حوالي ثمانمائة مقاتل وحبسوا في دار أمامة بن زيد.. أما النساء والذراري فانزلوا في دار ابنة الحرث البخاريه وهي الدار المعدة لاستقبال الوفود الذين يقصدون المدينة.

الحارث: وكم كان عدد النساء والأطفال؟

حكيم: عددهم يناهز الألف.

زيد: إذن لم يحتجز النساء والأطفال في سجن كالرجال.

حكيم: كلا يا زيد.

الحارث: ألم يتوجه زعماء الأوس إلى سيدهم سعد بن معاذ طالبين الرأفة في الحكم بحلفائه بني قريظة.

حكيم: بلى.. لقد اتصلوا به عدة مرات وذكره بأن النبي ﷺ لم يجعل أمر بني قريظة إليه إلا ليحسن فيهم.

(نقلة صوتية)..

(نسمع وقع حوافر دابة سعد بن معاذ وهو في طريقه إلى ديار بني قريظة إلى حيث يقيم الرسول ﷺ وأصوات من الأوس تقول):

صوت: حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت يا أبا عمرو

صوت: يا ابا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك لتحسن فيهم.

صوت: لقد غررت بهم قريش وغطفان فارأف بحالتهم.

صوت: يا أبا عمرو نحن قومك الأوس نسألك الرفق ببني قريظة

سعد: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

(موسيقى وصول وأصوات مبهمة تعلو وتهبط وتدل على كثرة المجتمعين.. وصوت سعد بن معاذ يقول):

سعد: السلام على رسول الله.. السلام عليكم يا معشر المسلمين

أصوات: وعليك السلام يا سعد بن معاذ.

حكيم: ولما استقر بسعد بن معاذ المقام وشخصت إليه الأبصار قال له رسول الله ﷺ .. أحكم فيهم يا سعد.. فأجاب.. الله ورسوله

أحق بالحكم فقال الرسول: قد أمرك الله أن تحكم فيهم.

سعد: سمعا وطاعة لك ورسوله.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى وصوت سعد يقول بعد أن شمل الجو سكون مطبق)..

سعد: يا بني قومي من الأوس، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت.

أصوات: نعم.. نعم.. نعم..

سعد: وعلى من ههنا من معاشر المسلمين.

أصوات: نعم... نعم.. نعم..

سعد: وأنتم يا بني قريظة... أترضون بحكمي..

أصوات: نعم.. نعم.. نعم..

سعد: إني أحكم فيها أن تقتل المقاتلة. وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم أموالهم.

(ضجيج وأصوات مبهمة مختلطة ببكاء ونحيب وعويل)؟

حكيم: وعندما نطق سعد بن معاذ بحكمه سمع رسول الله ﷺ يقول):

حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات.

(موسيقى سوق المحكومين إلى ساحة الإعدام تختلط بالنحيب والبكاء والعويل)..

حكيم: وسبق مقاتلة بني قريظة إلى المدينة حيث نفذ فيهم حكم الإعدام.

زيد: لا شك أن دم هؤلاء اليهود في عنق شيطان بني النضير حيي بن أخطب لعنه الله.

حكيم: قد يكون حيي بن أخطب سببا في هذه النتيجة ولكن ما جرى لهم كان جزاء لنقضهم المواثيق وخيانتهم للعهد الذي وقعوا عليه.

الحارث: ولا بد أن حيي بن أخطب كان أول من قطعت رأسه..

حكيم: يقال إنه كان أول من نفذ فيه القتل وقد قابل الموت بكل صراحة وتبجح.

زيد: كيف.. ماذا فعل؟؟

حكيم: لقد أتى حيي بن أخطب عدو الله وعليه جلسة حمراء قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة مجموعة يداه إلى عنقه فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال:

حيي: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك.. ولكنه من يخذل الله يخذله الله.

حكيم: وعندما وصل إلى ساحة الإعدام قال * أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل * ثم جلس فضربت عنقه وألقيت جثته في الخندق.

زيد: إلى جهنم وبئس القرار..

حكيم: أما كعب بن أسد سيد بني قريظة فعندما جيء به إلى ساحة الإعدام فروي أن النبي ﷺ قال له: يا كعب.. فأجاب نعم يا أبا القاسم قال.. ما انتفعتم بنصح أبي خراش لكم وكان مصدقا بي.. أما أمركم باتباعي وان رأيتموني تقرؤني السلام.. فأجاب كعب:

(نقلة صوتية)..

كعب: بلى والتوراة يا أبا القاسم.. ولولا أن تعيرني اليهود بالجزع من السيف لاتبعتك.

زيد: ومن هو ابن خراش الذي ذكره النبي ﷺ.

حكي: ابن خراش حبر من أحبار اليهود الكبار مات قبل ظهور النبوة وكان يوصيهم باتباع النبي ﷺ.

زيد: حقا لم تخطىء فراسة سيد بني قريظة في حيي بن أخطب حين طلب منه هذا الغدر بالمسلمين فقال له كعب: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم.

حكيم: نعم يا زيد فقد توالت الأحداث وأثبتت الأيام صدق فراسة كعب بن أسد فقد كان أشأم انسان على بني قريظة وهو شؤم ساق بهم إلى الإبادة والتهلكة.

المخرج: إلى الغد أن شاء الله.

الحلقة ـ ٥٤ ـ

الراوي: وطدت غزوة الأحزاب والقضاء على بني قريظة إقدام المسلمين في المدينة فلم يبق للمنافقين صوت يذكر واستشعر العرب في الجزيرة بقوة الإسلام وسلطانه وبمقام محمد ﷺ ومنعة جانبه.

(أصوات مبهمة تعلو وتهبط وأصداء تتجاوب تدل على اجتماع قبلي وصوت الحارث بن عوف الغطفاني يقول):

الحارث: لقد قضى محمد على بني قريظة وأباد مقاتلتهم عن بكرة أبيهم.

طليحة: إنهم يستأهلون هذا المصير..لو أطاعونا وهاجموا محمدا يوم الخندق لاستأصلنا شأفة المسلمين ولكنهم جبنوا وضعفوا وترددوا فلاقوا مصيرهم المحتوم.

الحارث: وماذا ترون فعله بعد أن استعلى أمر محمد واستأسد أصحابه.

طليحة: أرى أن نصانعهم ونهادنهم يا بن عوف.

عيينه: أما أنا فلا أقر طليحة على رأيه.. كيف نعيش إذا لم نغز.. لا... لا.. لست من رأيكم يا قوم.

الحارث: عجيب أمرك يا عيينة بن حصن الفزاري.. محمد وادعك ومنحك حق المرعى في بعض أراضي المسلمين ثم نكثت العهد وكنت معنا يوم الخندق واليوم تشذ عنا وتريد أن تتعرض لقتال محمد..

عيينه: أتلومني يا بن عوف على مساندتي وقومي بني فزاره لكم يوم الخندق من هو عجيب أمره منا لن أصانع ولن أهادن.. سأظل أغزو.. وانهب.. وأسلب وليفعل محمد ما يشاء..

الحارث: إلى أين يا عيينة.

عيينه: إلى غزوة أزهو بها وغارة أغنم فيها.. هذه حياتي.. وهذه سبيلي.

الحارث: أخشى عليك يا عيينة.

الحارث: لا عليك مني يا بن عوف.

(أصوات خروجه ... ورغاء أبله.. وصهيل خيله وصليل سيوف أصحابه.. ووقع حوافر خيلهم وهم يسيرون.. ثم صوت يقول):

الصوت: هدئوا السير يا قوم.. صباحنا حافل بالخيرات.

عيينه: ماذا تقول يا عروة؟

عروه: أنظر.. ألا ترى إبلا للمسلمين ترعى بظاهره المدينه.

عيينه: أصدق حراسها كبير؟ اذهب وارقب.. وعد إلينا سريعاً.

عروة: إن لي باصرة زرقاء اليمامة يا عيينة... أن الابل يحرسها رجل وامرأة.

عيينة: اغيروا عليهم اذن يا قوم.. فقد صبحكم الرزق من حيث لا تشعرون..

(تسمع أصوات حوافر الخيل وهي تركض.. وصوت الحارث وهو يجود بأنفاسه الأخيرة بعد أن قتل.. وصوت المرأة وهي تصرخ):

صوت المرأة: واسلاماه.. وارجلاه.،. قتلتموه.. ويل لكم أيها القادرون.. سينتقم لي منكم الرسول.

عيينه: اسكتي يا أمة الله... اجمعوا الإبل ولتعد إلى منازلنا قبل أن يشعر بنا المسلمون

صوت: واصباحاه أيها المسلمون.. واصباحاه أيها المسلمون.. أخذت أبلكم وقتل حارسها. وسيبت امرأته.. واصباحاه.. واصباحاه.

(أصوات تتنادى)..

صوت: القوم صبحوا إبلنا.. اسمعوا إنه صوت سلمة بن عمرو يستصرخنا..

صوت: أنه يستصرخنا من ناحية جبل (سلع).. إليه أيضا المسلمون.. إليه أيها المسلمون..

صوت: (يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. الفزع الفزع.. رسول الله يدعوكم للخروج في أثر القوم.. الفزع الفزع)

(وقع حوافر خيل.. وقعقمة سلاح.. وصهيل خيل.. وأصوات تهليل وتكبير.. الله أكبر.. الله أكبر)...

أحد المسلمين: إنهم قوم عيينة بن حصن الفزاري.

آخر: إنهم يغذون في السير.. إنهم يجتازون الجبل من ذي قرد.. ادركوهم.. خلصوا المرأة المسلمة من هؤلاء المشركين.

(صوت نزال ومقارعة أبطال وصليل سيوف)..

صوت: الله أكبر.. الله أكبر.. أنقذت المرأة واسترجعنا بعض الأبل..

صوت: لقد هرب عيينه الفزاري لا يلوى على شيء..

المرأة: الحمد لله الذي خلصني منهم.. الحمد لله.. لقد نذرت يا قوم إن انجتنى هذه الناقة التي أركبها لأغرنها قربانا لله..

أحدهم: لا تفعلي يا أختاه حتى نسأل رسول الله ﷺ عن ذلك.

المرأة: اذهب هداك الله يا أخي..

صوت: رسول الله يأمركم بالعودة إلى المدينة.. بعد أن فر العدو وخلصتم أختكم المسلمة من أيديهم.

(نسمع أصوات العوده.. مصحوبة بموسيقى.. ثم سكون مطبق.. وصوت المرأة يقول):

المرأة: ها يا أخي ماذا قال ﷺ؟

الرجل: قال بشرها جزيتها أن حملك الله عليه ونجاك بها ثم تنحريها..

إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين.

(موسيقى العوده.. وصوت عيينه يلهث من شدة الإعياء والتعب وهو يقول):

عيينه: كاد محمد يدركنا.. وكدنا نقع في قبضة أصحابه.

أحد رجاله: لو لم نغذ في السير ونترك الإبل والمرأة للحقوا بنا..

عيينه: يا للعار.. يا للشنار.. كيف أواري وجهي عن الحارث بن عوف وطليحة بن خويلد.. لقد نصحاني فعصيت فكان جزائي ما لقيت.

(نسمع أصوات عودة جيش المسلمين إلى المدينة.. وأصوات تقول):

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر ثم سكون مطبق.. وصوت يقول:

صوت: عاد المسلمون منتصرين.. لقد استرجعوا الأسيره وأكثر الإبل.

صوت: أخزاك الله يا عيينه بن حصن الفزاري.. يا عدو الله ورسوله.

صوت: لقد علمت أنه فر هاربا إلى قريش.

صوت: ليس ذلك ببعيد عن عدو الله.

(نسمع مسير عيينه على فرسه وبعض أصحابه وهم في طريقهم إلى مكة ونسمع صوت رجل يقول حين وصول عيينه).

الصوت: هذا عيينة بن حصن سيد بني فزارة.

أبو سفيان: يا مرحبا.. أهلا ومرحبا بك يا عيينة نزلت أهلا ووطئت سهلا.

عيينة: حييت يا بن حرب. وبوركتم يا وجوه قريش.

أبو سفيان: ما وراءك يا عيينة؟

عيينة: ورائي ما لا يسركم يا بن حرب.

صفوان: أتعني محمدا؟

عيينة: نعم يا صفوان.

أبو سفيان: وهل من جديد عنه؟

عيينة: لقد استأسد وأنتصر أصحابه ووادعت ودانت لهم جميع القبائل حول المدينة.

صفوان: لقد نصره ربه في غزوة الخندق نصراً مؤزراً وخذلتنا آلهتنا أي خذلان.

أبو سفيان: أراك صبأت يا صفوان.

صفوان: كلا يا بن حرب.. وإنما هو مما أكابد بن محمد ودين محمد.

(يسمعون ضجيجاً وأصواتاً مبهمة وأناساً تتراكض نحوهم فيقول أبو سفيان لعكرمة بن أبي جهل):

أبو سفيان: انظر يا عكرمة ما هذه الجلبة وهذا الضجيج..

(تعلو الأصوات وتتكاثر وتبدو وكأنها تزحف إليه ثم لا يلبث لأن يظهر عكرمة وهو يقول):

عكرمة: لقد جاء من المدينة من يقول أن محمداً قد أذن في أصحابه بالحج والعمرة وإنه أوفد رسله إلى القبائل المجاورة يدعوهم للاشتراك معه.

أبو سفيان: إلي بمن جاء من المدينة.

عكرمة: أمرك يا عماه

أبو سفيان: عجيب أمر محمد هذا.. إنه يريد أن يغزونا في عقر دارنا متخذا من العمرة والحج ذريعة لذلك.. لا.. لا.. لن يكون ذلك وفينا عرق ينبض.

عكرمة: حضر الرجل يا عماه.. ها هو..

أبو سفيان: من أنت يا رجل.

الرجل: من بني بكر واسمي مسعود.

أبو سفيان: هل ما بلغني عن لسانك صحيح يا مسعود؟

مسعود: نعم يا أبا سفيان.

أبو سفيان: قل ووضح.

مسعود: بينما كنت في المدينة سمعت المسلمين يتحدثون أن محمداً رأى في منامه إن المسلمين سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون. وقد انتشر حديث هذه الرؤيا وألهب صدور المهاجرين والأنصار تحمسا على أداه الحج والعمرة.. ولقد سمعت مؤذن محمد يدعو الناس إلى الحج والعمرة.

أبو سفيان: وماذا أيضا.

مسعود: كما إنه استنفر القبائل المجاورة من غير المسلمين ودعاهم للعمرة والحج معه وقد بدأت ارتني لهم تستعد بإعداد هائلة.

أبو سفيان: سنحول بين محمد وأصحابه ودخول مكة بالغا ما بلغ الثمن وعزت التضحية يا عكرمة

عكرمة: لبيك يا عماه

أبو سفيان: وأنت يا خالد..

خالد: لبيك يا عماه.

أبو سفيان: أعلنوا التعبئة العامة وابعثوا بالرسل إلى الأحابيش وقبائل كنانة وهوازن، واعدوا الموالى للقتال.. وتقدم أنت يا عكرمة وخالد مع الفرسان حالا إلى طوى لتحولوا بين دخول محمد إلى مكة.

(نسمع أبواق النفير وأصوات تردد):

إلى القتال.. إلى القتال.. إلى القتال..

الراوي: إلى الغد إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٥٥ ـ

الراوي: وأعلنت قريش التعبئة العامة وأرسلت فرسانها بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل لصد النبي ﷺ عن دخول مكة.. أما في الجانب الإسلامي فقد أذن مؤذنتهم.

المؤذن: (يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يدعوكم للتهيؤ للحج.. فهلموا عباد الله إلى أداء هذه الفريضة.. هلموا أثابكم الله)..

أحد المسلمين : إنه مؤذن الرسول يدعونا للحج بعد الرؤيا الصادقة التي أخبرنا بها ﷺ يا سعد.

سعد: هل كنت حاضرا حين أنبأ ﷺ الناس بما ألهم في رؤياه الصادقة يا زيد؟

زيد: لقد كنا مجتمعين صباح أمس بالمسجد حين أنبأنا رسول الله ﷺ أننا سندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين وما كدنا نستمع إلى هذه الرؤيا حتى علت أصواتنا بحمد الله وشكره.

صوت صادر من مكان بعيد: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).

سعد: وانتقل نبأ هذه الرؤيا إلى سائر أنحاء المدينة في سرعة البرق الخاطف..

زيد: ولكن الناس كانوا يتساءلون كيف يدخلون المسجد الحرام؟ أيحاربون

في سبيله؟ أيجلون قريشا عنه عنوة أم ترى تفتح قريش لهم طريقه مذعنة صاغرة..

سعد: صحيح يا زيد.. صحيح... كيف.. قل لي.. قل.

زيد: لقد حرص النبي ﷺ أن تعلم العرب كلها أنه خرج في الشهر الحرام حاجا ولم يخرج غازيا ولذلك أمر بأن لا يحمل أحد من هذا الحجيج سلاحا إلا ما يحمل المسافر من سيف مغمد وهدي ينحره.

سعد: جزاك الله عني كل خير.. سأسرع لتهيئة نفسي للحاق بركب رسول الله ﷺ.

(موسيقى القافلة تصرخ.. وتبدأ مسيرة المسلمين تسمع وقع حوافر خيلهم.. ورغاء إبلهم.. وأصوات تلبيتهم وهي تردد لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة.. لك والملك لا شريك لك..)

(تكرر التلبية)..

(موسيقى انتقالية)..

(أصوت هرج ومرج وضجيج وقعقعة سلاح وصليل سيوف وصوت يصرخ عاليه).

سفيان الصوت: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. تهيئوا للقتال واستعدوا للنضال.. فقد بلغ محمد وأصحابه عسفان وقد عقصوا رؤوسهم ولبوا بالعمرة وعزلوا الهدي ومازوا جوانبها اليمنى.. دافعوا عن بيتكم وحرمكم قاتلوا دون أعراضكم وأموالكم..

(ثم سكون مطبق وصوت أبي سفيان يقول):

أبو سفيان: يا خالد... يا خالد..

خالد: لبيك يا عماه

أبو سفيان: قدموا خيلكم إلى كراع الغميم لتكونوا في مواجهة محمد والالتحام معه عند أول بادرة منه للزحف على مكة.

أصوات التابعين جانب المسلمين: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك...

زيد: لا حول ولا قوة إلا بالله.. أعوذ بالله..

سعد: ما بك تحوقل يا زيد... وتستعيذ بالله ممن؟.

زيد: من قريش يا سعد.. لقد جيء برجل من بني كعب إلى رسول الله ﷺ فلما سأله عما قد يكون لديه من أخبار قريش قال:

سعد: وماذا قال؟؟

زيد: قال لقد سمعت قريش يا محمد بمسيرتك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذي «طوى» يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم...

سعد: يا ويحهم... أيصدوننا عن المسجد الحرام.. قل لي... ماذا كان جواب الرسول ﷺ؟

زيد: قال ما معناه.. يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب.. ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب.. فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا.. وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين.. وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة... فما تظن قريش؟

فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة..

سعد: لقعد عني الرسول بالسالفة صفحة العنق وبانفرادها عما يليها كناية عن الموت.

زيد: نعم يا سعد.. نعم... هو ما عناه ﷺ.

سعد: (ﷺ) وما هي آخر الأخبار؟

زيد: لقد تركت رسول الله مع خلص أصحابه يفكرون في مخرج من المعركة التي تريد قريش أن تحمله على خوض غمارها وهو لم يتخذ للحرب عدتها وإنما خرج محرما يريد بيت الله ليؤدي عنده فريضته الله.

المؤذن: (يا معشر المسلمين... من رجل يخرج بنا على طريق غير الطريق التي تخيم بها قريش

سعد: ألا تسمع يا زيد)؟

زيد: بلى يا سعد.. هيا بنا إلى رسول الله فإني أعرف طريقا وعرا إذا سلكناه أفضى بنا إلى ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة.

سعد: هيا بنا.. هيا... هيا..

(موسيقى الرحيل.. وأصوات التلبية)

سعد: يا لها من طريق وعرة بين شعاب مضنية.. لقد تشققت نعالي.. وتدامت رجلاي... ألم يكن عندك طريق غير هذه يا زيد...؟

زيد: الأجر على قدر المشقة يا سعد فاصبر إن الله مع الصابرين.

سعد: نعم... الأجر على قدر المشقه.

(موسيقى حربيه.. وأصوات اجتماع وصوت خالد بن الوليد يقول):

خالد: يا فرسان قريش.. لقد رأيتم ما صنع محمد.. إنه سلك إلى مكة طريقا لا تستطيع خيلنا ارتياده فماذا ترون؟

عكرمة: أرى أن نعود أدراجنا بسرعة لنقف أمام مشارف مكة ندافع عنها يا خالد.

أصوات: الرأي ما ارتآه عكرمة يا خالد.

خالد: هيا بنا يا قوم.. هيا بنا..

(صوت وقع حوافر الخيل وهي تعدو.. وقعقعة سلاح.. وأصوات مبهمة تعلوا وتهبط...)

صوت: يا أبا سفيان... يا أبا سفيان.. لقد عاد فرساننا أدراجهم.. وها هو خالد ابن الوليد يسرع في عدوه إليك..

(نسمع صوت عدو فرسه ونزوله وصوت أبي سفيان يقول له):

أبو سفيان: ما جاء بك يا خالد؟

خالد: لقد سلك محمد وصحبه طريق ثنية المرار المؤدية إلى مهبط الحديبية وهي طريق لا تستطيع خيلنا ارتيادها ولذلك آثرت العودة إلى مكة والمرابطة على مشارفها

أبو سفيان: نعم ما صنعت يا خالد.. سر ولتكلؤك اللات والعزى.

(نسمع وقع حوافر فرس خالد وركضها ثم نسمع صوت أبي سفيان يقول):

إلى يا صفوان بن أميه..

صفوان: هاأنذا بين يديك.

أبو سفيان: ما رأيك فيما فعل محمد.. إنه تحاشى الالتحام بفرساننا وسلك طريق ثنية المرار.

صفوان: علينا أن نترصد حركاته ونرقب سكناته.. فلا يفاجئنا على غرة.

أبو سفيان: ولكني علمت أن محمدا وأصحابه لا يحملون من عدة الحرب إلا سيوفهم.

صفوان: إذن هي فرصتنا يا أبا سفيان.

أبو سفيان: كيف يا صفوان..؟

صفوان: يجب مضايقة المسلمين وحملهم على الدخول في قتال معنا نضمن فيه نصرا مؤزرا كيوم أحد.

أبو سفيان: ولكن حلفاءنا من كنانة والأحابيش لا يطاوعوننا على خوض معركة ضد قوم جاؤوا يعظمون بيتنا ويقدمون له الهدى... ثم أن مع محمد جيشا لا يقل عدده عن ألف وأربعمائة مقاتل وهو عدد لا يستهان به..

صفوان: ولكنه غير مزود بالسلاح.

أبو سفيان: وسيوف المسلمين.. أنسيتها.. وطاعتهم العمياء لمحمد أتجاهلتها يا صفوان ما رأيت قوما يحبون أحدا حب أصحاب محمد لمحمد.

صفوان: إذن ما الرأي يا أبا سفيان.

خبطه موسيقية قوية

الراوي: إلى الغد إن شاء الله تعالى..

الحلقة ـ ٥٦ ـ

الراوي: ونزل النبي ﷺ بالحديبيه.. ولكن قريشا كانت لهم بالمرصاد.. ووقف المعسكران يفكر كل في الخطة التي يتبعها.. فأما الرسول فظل على خطته التي رسمها منذ أعد للعمرة عدتها.. (خطة السلم وعدم القتال إلا أن تهاجمه قريش أن تغدر به وهنالك لا يبقى من إنتضاء السيف مفر.. وأما قريش فترددت في إيفاد من يتعرف على قوة المسلمين من ناحية ومن يصدهم عن دخول مكة من ناحية أخرى).

أبو سفيان: وسيوف المسلمين أنسيتها.. وطاعتهم العمياء لمحمد أتجاهلتها يا صفوان.. ما رأيت قوما يحبون أحدا حب أصحاب محمد لمحمد.

صفوان: إذن ما الرأي يا أبا سفيان؟

أبو سفيان: أرى أن نبعث من يستطلع قوة المسلمين ويستكنه دخيلتهم وهل جاؤوا حقا للحج أو أن وراء الأكمة ما وراءها؟

صفوان: رأي سديد يا أبا سفيان.

أبو سفيان: هل عندك رجل ثقة يطمئن محمد وأصحابه إليه؟

صفوان: نعم.

أبو سفيان: من هو؟

صفوان: بديل بن ورقاء الخزاعي

أبو سفيان: ما أشد ما أشرت.. إنه لها.. نرسله إلى محمد على رأس وفد من خزاعه إذهب وادعه إلي..

صفوان: حسنا.. سأفعل.

أصوات: (المسلمون يرددون التلبية.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..)

أحد المسلمين: أسمعت بمعجزة الرسول ﷺ يا علقمة

علقمة: لا يا أبا ضرار.. ما هي.. قل.. لقد تخلفت في ساقه الجيش أسعف من عجزوا عن المشي وأكلت الطريق الوعرة نعالهم وأرجلهم.. قل.. بالله عليك قل ما هي؟

أبو ضرار: حينما نزلنا بهذا الوادي ضج أصحاب الرسول وجأروا بالشكوى إليه من قلة الماء فاخرج ﷺ سهما من كنانته فأعطاه رجلا من الحاضرين نزل به إلى بئر من الآبار المنثورة في هذا الوادي فغرزه في قاع البئر فجاش الماء واستقى الناس واطمأنوا.

علقمة: ما أعظمك يا رسول الله.. فداك أبي وأمي لقد أرسلك الله رحمة للعالمين.

(نسمع ضجيجا وهرجا ولغطا في صفوف المسلمين وأصواتا مبهمة تعلو وتهبط ثم نسمع ابا ضرار يقول):

أبو ضرار: أتسمع يا علقمه.. ما هذه الجلبه.. انظر.. ما الخبر؟

(أصوات مبهمة يتضح بعضها فنميزه يقول):

صوت: وفد من خزاعه.

صوت: أنظر بديل بن ورقاء على رأسهم.

صوت: إن خزاعة في جانب المسلمين.

صوت: ولكن هذا الوفد مرسل من قريش.

صوت: أؤكد لك أن خزاعة دائما معنا.

صوت: تعالوا ننظر ماذا يفعلون..

(نسمع أصواتا في معسكر قريش بعضها يقول):

صوت: لم كل هذا الانتظار يا أبا سفيان؟

صوت: نريد الحرب والطعن.

صوت: لقد جاءنا المسلمون عزلا فلماذا لا نبيدهم عن بكرة أبيهم.

صوت: أنتركهم يفلتون من قبضتنا بعد أن وقعوا في الفخ.

(أصوات تنادي: إلى القتال.. إلى القتال.. إلى القتال..)

ابو سفيان: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. أصيخوا إلى أصوات عقولكم وازجروا فوران عواطفكم وانصتوا إلي:

أصوات: قل.. كلنا آذان صافية.

أبو سفيان: إنني أتحرق شوقا لقتال محمد أكثر منكم ولكن محمدا لم يجيء لقتالنا وإنما جاء للحج فكيف نصد من جاء معظما هذا البيت الذي نحن سدنته وحماته.

صوت: إن محمدا يخادعكم.. إنه يرقب غرة منكم ليدخل مكة عنوة.

أبو سفيان: لقد أرسلنا من يستطلع جلية الأمر وهم أن صدق ظني في طريق عودتهم إلينا.

صوت: يا قوم.. يا قوم.. عاد وفد بني خزاعه.

أبو سفيان: إليّ بهم في الحال.

بديل بن ورقاه: عم صباحا يا أبا سفيان.. عموا صباحا يا وجوه قريش وأحابيشها.

أبو سفيان: عم صباحا يا بديل.. ما وراءك.. قل.. فإن هذه الجموع تتلهف لسماع ما جئت به..

بديل: لقد سألنا محمدا عما جاء به إلينا فأجاب:

إنه لم يأت يريد حربا وإنما جاء زائرا للبيت معظما لحرماته.. ولقد ثبت لنا صدقه حين طفنا بمنازل فرأيناهم محرمين وشاهدنا بدن هديهم تسرح في عرض الوادي.

صوت: كذب يا بديل..

صوت: لقد سحركم محمد.

صوت: إن جاء محمد يريد قتالا فوالله لا يدخل علينا عنوة أبدا ولا تتحدث بذلك عنا العرب.

الحليس: لا يقول ما تقولون أيها المتنادون إلا السفهاء وإني لأربأ بكم أن تكونوا منهم فحكموا عقولكم وانبذوا مجونكم.

صفوان: يا معشر قريش.. يا معشر قريش..

أصوات: قل يا صفوان.. قل..

صفوان: أرى أن يذهب الحليس سيد الأحابيش بنفسه إلى محمد فهو خير من يصدقنا بنصحه ويرشدنا برأيه فماذا تقولون؟

أصوات: الرأي عند أبي سفيان.

أبو سفيان: نعم ما رآه صفوان فالحليس سيد الأحابيش حليفنا يناله ما ينالنا ويصيبه ما يصيبنا وسيأتينا بالخبر اليقين.

أصوات: موافقون.. موافقون..

(المسلمون يرددون التلبيه.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

عامر: ما بك يا سفيان.. أراك تعصب جيشك.

سنان: بينما كنا نقوم بالحراسة البارحه فوجئنا بوابل من الحجارة تتساقط علينا.. وكنت من أصيب بهذه الحجارة فأسرعنا إلى مصدرها فوجدنا عددا من فتيان قريش وسفهائها فحاصرناهم وأسرناهم وجئنا بهم إلى رسول الله. أفتدري ماذا صنع بهم؟

عامر: لا يا سنان.

سنان: عفا عنهم وخلّى سبيلهم ورجع بعضهم وهم يبكون خجلا وندما..

عامر: أجل عفا عنهم احتراما للشهر الحرام أن يسفك فيه دم وليبهت قريشا حتى يعرفوا إنه إنما جاء زائرا هذا البيت ومعظما حرماته..

صوت: سلام عليكما.

عامر: من.. حذيفة يا مرحبا.. هل من جديد.

حذيفه: نعم.. لقد أوفدت قريش الحليس سيد الأحابيش فلما رآه النبي ﷺ مقبلا أمر بالهدي أن تطلق أمامه ليرى أننا إنما جئنا حاجين معظمين البيت.

عامر: ها وماذا بعد ذلك؟

حذيفه: فلما رأى الحليس الهدي سبعين بدنة تميل عليه من عرش الوادي انقلب راجعا إلى قريش دون أن يلقى النبي ﷺ.

(موسيقى انتقالية)..

أبو سفيان: أهلا بك يا سيد الأحابيش.. هلت ماذا رأيت؟

صوت: قل واصدقنا يا حليس.

الحليس: يا معشر قريش.. أعيروني أسماعكم وافتحوا لي عيونكم وصدوركم وقلوبكم لقد رأيت هدي محمد سبعين بدنة تسيل علي من عرض الوادي قد تاكلت أوبارها.. يا قوم.. إن محمداً لا يريد حربا ولا عدوانا.. لقد جاء معظما لهذا البيت وحرماته.

صوت: أجلس.. اسكت لا أبا لك..

صوت: أجلس فإنما أنت أعرابي لاعلم لك ولا رأى لك..

الحليس: أتهينوني يا سفهاء قريش ويا بظرانها.. أتتركني يا أبا سفيان وأنتم يا وجوه قريش إلى غلمائكم وأوغادكم يسفهون رأيي ويجبهون مقالي.. إنني لم أحالفكم لأصد عن البيت من جاء معظما إياه.. والله إن لم تخلوا بين محمد وما جاء به نفدت بالأحابيش عن مكة.

أبو سفيان: سنردع هؤلاء السفهاء.. ونعطيك الحق منا حتى ترضى ومن سفهك حتى تعفو أجلس رحمك الله.. وانظرنا حتى نفكر مليا في أمر محمد ونختار السبيل التي تحفظ علينا عزتنا وكرامتنا.

صفوان: إنه لا يرضيك يا سيد الأحابيش وأنت منا أن يتحدث العرب أن محمدا دخل مكة رغم أنوفنا.

الحليس: بلى أنا لا أرضى بذلك.. ولكن ادرؤوا سفهاءكم عن حشر أنوفهم في أمور هي فوق مستوي مداركهم وعقولهم.

أبو سفيان: سنفعل حتى ترضى.

(أصوات التلبية من معسكر المسلمين: لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد/ والنعمة لك.. والملك.. لا شريك لك)..

صفوان: لقد كان صبيان قريش وسفهاؤها يقضون على حلفنا مع الأحابيش.. لقد أثاروا سيد الأحابيش ومن حقه أن يثور ومن حقه أن يغضب.

أبو سفيان: إنها غلطتنا يا صفوان حين سمعنا للغلمان والمراهقين أن يتدخلوا في شئوننا المصيرية.. والآن ما رأيك في الموقف.. أن كفة محمد بدأت ترجح.. فكل من أوفدناه سحره فجاءنا وهو متفق معه.

صفوان: الرأي أن نرسل حكيما نطمئن إلى حكمته.. وفي رأيي عروة بن مسعود الثقفي أهل لهذه السفارة.

أبو سفيان: أدعه إلينا.. لقد رأيته قبل مجيئك يجلس إلى ندوة بني مخزوم.

صفوان: حسناً.. ها أنذا سائر إليه.

أبو سفيان: أنظر يا صفوان.. لقد أغناك عروه مؤونة البحث عنه.. إنه قادم إلينا..

عروة: عموا صباحاً.

أبو سفيان: عم صباحاً يا بن مسعود.. لقد جئت في أسعد الأوقات..

عروه: لعل وجوهكم هي البركة.

أبو سفيان: يا عروه.. أنت تعرف ما نحن فيه من بلاء بسبب محمد.. ولسنا آمنين شره إنه يقول إنه إنما جاء للحج ونحن نتوجس عن أنه يخادعنا.. فهلا كفيتنا هذا القلق وهذه الحيره التي نعيشها وذهبت إلى محمد فأنا نطمئن إلى حكمتك وصائب رأيك.

عروه: بودي أن أفعل لولا خوفي من سفهائكم وغلمائكم الذين لا يوقرون كبيراً ولا يحترمون أحدا...

أبو سفيان: سأدرؤهم عنك وسأعطيهم درسا لن ينسوه.. فسر على بركة الله.

(أصوات التلبيه... لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

زيد: أرى مقامنا سيطول في الحديبيه يا سعد.. فكل يوم تبعث قريش برسول.

سعد: ومن هو رسولهم اليوم.

زيد: كان عروة بن مسعود الثقفي وقد أجابه النبي ﷺ كما أجاب منذ بقية وقد عاد من حيث أتى.

(موسيقى انتقالية وجلية وصوت يقول):

الصوت: لقد عاد عروة بن مسعود الثقفي.

أبو سفيان: ادخلوه..

(نسمع وقع أقدامه وهو يقول):

عروة: عم صباحاً يا أبا سفيان.. وأنتم يا وجوه قريش وأحابيشها..

أبو سفيان: عم صباحاً يا بن مسعود.. ما وراءك.

عروة: لقد رأيت من محمد ما لا يدع للريبة من إنه إنما جاء معظما للبيت مؤديا فرض ربه لا يريد حربا ولا يتقصد عدوانا..

أبو سفيان: ولكن..

عروة: ولكن ماذا.. يا معشر قريش.. إني جئت كسرى في ملكه.. وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه.. وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط

من شعره شيء إلا أخذوه وإنهم لن يسلموه لشيء أبدا . . . فروا رأيكم .

الراوي: إلى الغد إن شاء الله تعالى .

الحلقة ـ ٥٧ ـ

أبو سفيان: أرى أن نطاول محمدا حتى يختار بين أمرين لا ثالث لهما . . إما القتال وإما الرجوع من حيث أتى .

عروة: ولكن صدكم محمدا عن زيارة البيت سيكون حجة له عليكم وسننظر العرب إليه على أن عمل غير صالح من قريش سدنة الكعبة وسقاة الحج وحماة هذا البيت ولا سيما وأنتم لا تملكون منع أحد من العرب عن الحج والعمرة في الأشهر الحرم . .

صفوان: ولكن مجيء محمد للحج من دون سابق تفاوض واتفاق وسماحنا له يزعزع مركزنا أمام العرب ويجعل منا سخرية في أفواههم . . أنهم سيتحدثون أن محمدا دخل مكة عنوة وهو أمر لا يحلم به محمد إلا على جسر من جثتنا .

عروة: هذا رأيي وأنتم أدري بصالحكم . . عموا صباحا .

أبو سفيان: عم صباحاً يا بن مسعود ولك الحمد منا على كل خطوة سرتها في سبيلنا .

صفوان: المطاولة التي تحدثت عنها يا أبا سفيان خير امتحان لصبر محمد وأصحاب محمد وستكشف نواياهم بسرعة قد لا تتوقعها .

(ضجيج ولغط وأصوات مبهمة تعلو وتنخفض ثم صوت أبان بن سعيد بن العاص يقول) :

أبان: يا أبا سفيان.. لقد أجرت رسول محمد إليكم.

أبو سفيان: ومن هو رسوله.

أبان: إنه عثمان بن عفان.

أبو سفيان: قد أجرنا من أجرت يا أبان فائت به إلينا سريعا..

(نسمع صوت خروجه ونسمع صفوان بن أميه يقول):

صفوان: لقد بدأت خطتك يا أبا سفيان تؤتى أكلها.. ها هو محمد يبعث رسولا من عنده.

أبو سفيان: ولكن محمدا يعرف أين يضع قدميه.

صفوان: إني أرى أن يكون اجتماعنا بعثمان بن عفان مقصورا عليك وعلي وعلى خالد وعكرمة.. فإني أخشى سفهاءنا أن يتطاولوا على عثمان فنقع في طلاب مع من أجاروه وقد يحدث ما لا تحمد عقباه.

أبو سفيان: بالصواب نطقت يا صفوان.. ما رأيك أن نذهب نحن إليه عند ابن سعيد فوجوده في دار الندوة لا يمكننا من منع الناس من رؤيته والتحدث إليه وربما التهجم عليه.

صفوان: أبعث إلى أبان من يخبره وسأرسل في طلب خالد وعكرمة.

أبو سفيان: سأفعل.

(موسيقى حربية وأصوات ضجيج ولغط وأسلحة وخيل وبعض هذه الأصوات واضح وبعضها يقول):

زيد: لقد طال احتباس قريش لعثمان بن عفان..

سعد: أخشى أن يكونوا قد قتلوه كما فعلوا بجمل من أوفده الرسول إليهم وكادوا يقتلونه لو لم تمنعه الأحابيش وتخلصه منهم.

زيد: لا يستبعد ذلك من قريش فالحقد والضغينة تملأن صدورهم.

المؤذن: (يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين قريش قتلت عثمان بن عفان غدرا في الشهر الحرام.. رسول الله يدعوكم للجهاد.. هلموا أثابكم الله.. هلموا يرحمكم الله..)

سعد: أتسمع النداء يا زيد.

زيد: نعم.. هيا.. انظر أن علقمة قادم إلينا مسرعاً..

علقمة: سلام عليكم.

سعد: سلام عليك يا علقمة.. ما لك تركض. وتلهث أعياه.

علقمة: لقد كنت حاضراً عندما بلغ رسول الله ﷺ قتل عثمان في الشهر الحرام فقال: (لا نبرح حتى نناجز القوم) ثم وقف تحت شجرة في الوادي فبايعناه جميعا على أن لا نفر وأن نقاتل حتى الموت فهلموا يا قوم إلى المبايعة هلموا.

سعد: هلم يا زيد.

زيد: هلم يا سعد.

(نسمع أصوات قعقعة السلاح وعليل السيوف وصهيل الخيل وتهليل وتكبير اللهم أكبر... الله أكبر.. الله أكبر.. ثم صوت عال وكأنه آت من مكان سحيق)..

الصوت: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨)..

(أصوات تهليل وتكبير.. الله أكبر.. الله أكبر... الله أكبر.. الويل لقريش.. الويل لقتلة عثمان.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر)..

أبو سفيان: ما لك تلهث يا حنظله.. وكأنك كنت تعدو مسافة طويلة..

حنظلة: لقد جئتكم من بين صفوف المسلمين.. وقد صمموا على مناجزتكم الحرب وبايعوا محمداً على القتال حتى الموت.

صفوان: ولماذا كل هذا؟

حنظله: بلغهم إنكم قتلتم رسوله عثمان بن عفان.

أبو سفيان: (ضاحكا).. ما أشد خطر الإشاعات أننا لم نقتل عثمان بن عفان بل أكرمناه وحرصنا على راحته.. وقد اطلعنا على نوايا محمد وأصحابه وافهمنا، نوايانا.

صفوان: وسيرى محمد وأصحابه أن قريشا لا تقتل الرسل في الأشهر الحرم..

أبو سفيان: تعال يا أبان بن سعيد وأسمع.

أبان: ما الذي أسمع؟

أبو سفيان: لقد أشاع المغرضون ولعلهم من بقايا المنافقين في صفوف محمد إننا قتلنا عثمان بن عفان وأنت نفسك كنت رفيقه حتى اقترب من أصحابه.

ابان: لا شك أن محمدا وأصحابه يتندرون الان بما فعلته هذه الشائعة منهم.

حنظله: إنها كشفت متانة الروابط بين محمد وأصحابه ودلت على مبلغ إقدام المسلمين على خوض مخاطر الموت غير هيابين ولا وجلين.. ومن أقدم على الموت خافه الموت وعنت له جبهة الحياة.

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين... يا معشر المسلمين.. عاد عثمان بن عفان إلينا.. عاد عثمان بن عفان إلينا. لم يقتلوه.. لم يقتلوه..

زيد: ما أروع موقف المسلمين وقد أشهروا سيوفهم فالتمعت ببريقها سفوح الوادي وحزوته وسال بجموعهم بطن الوادي وجنباته..

سعد: وماذا عندك من أخبار جديدة يا زيد؟

زيد: لقد عاد عثمان بن عفان وأبلغ النبي ﷺ أنه لم تبق عند قريش ريبة في أنه وأصحابه إنما جاءوا حاجين معظمين للبيت.

سعد: إذن سندخل مكة إن شاء الله آمنين محلقين ومقصرين.

زيد: إن شاء الله... ولكن.

سعد: ولكن ماذا؟

زيد: أثناء المفاوضات التي جرت بين عثمان بن عفان وقريش قال أبو سفيان: أن قريشا تعرف أنها لا تملك منع أحد من العرب عن الحج والعمرة في الأشهر الحرم.

سعد: كلام جميل.

زيد: وهم مع ذلك خرجوا تحت راية خالد بن الوليد وحصلت بينهم وبين المسلمين مناوشات.

سعد: صحيح.. صحيح.. وجرحى منا ومنهم.

زيد: فإذا قريش تركوا محمدا يدخل مكه بعد هذه المناوشات فستتحدث العرب بأنهم انهزموا أمامه.. وبذلك تتضعضع مكانتهم وتسقط هيبتهم.

سعد: حجة واهية..

زيد: وأنهم استبقاء لهذه الهيبة وحرصا على هذه المكانة يصرون على موقفهم من صد المسلمين عن دخول مكة في هذا العام.

سعد: إذن يجب أن نقاتلهم.. كيف يصدوننا عن دخول مكة في الشهر الحرام.

زيد: الموقف دقيق بالنسبة للمسلمين والمشركين.. ومفتاح حله بيد الرسول الأعظم ﷺ..

(موسيقى انتقاليه.. وضجيج وهرج ومرج في صفوف المسلمين وصوت علقمة يقول):

علقمة: يا زيد.. وأنت يا سعد.. هلما إلي.

زيد: ما وراءك يا علقمه.

علقمة: بعثت قريش سهيل بن عمرو العامري لمصالحتنا.. هلما نتسقط الأخبار.

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: أترانا يا صفوان أحسنا بإرسال سهيل بن عمرو العامري إلى محمد.

صفوان: إن سهيلا ذلق اللسان.. فصيح البيان.. أريباً، قوى الحجة.. ولقد أحسنت صنعا باختياره.

أبو سفيان: أرجو أن يوفق في مهمته فإن أخشى ما أخشاه أن يركب محمد رأسه بعد أن بابعه أصحابه فلا يقبل بالرجوع عنا هذا العام.. فنضطر إلى الحرب في الأشهر الحرم.

صفوان: ولكننا لم نمنع محمداً من دخول مكة إلا في هذا العام فقط.. أما في العام القابل فلا مانع من دخولهم لمدة ثلاثة أيام.

أبو سفيان: والشروط الثلاثة الأخرى لا أدري أيقبلها محمد أم لا..

صفوان: إن غدا لناظره قريب.

(هرج ومرج في صفوف المسلمين.. ولغط كبير وأصوات تقول):

صوت: إنها شروط قاسية تلك التي جاء بها سهيل بن عمرو.

صوت: ما هي؟؟

صوت: يرجع الرسول من عامه هذا فلا يدخل مكة- فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا.. ومعهم سلاح الراكب السيوف المغمدة بعد أن تخرج قريش من مكة.

صوت: شرط لا نقبله.

صوت: وماذا من شروط غيره.

صوت: وضع الحرب وماذا لديك عما جاء به سهيل بن عمرو.

صوت: هات وماذا لديك عما جاء به سهيل بن عمرو.

صوت: من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه.

صوت: لا... لا.. هذا ليس شرط صلح وإنما هو إملاء الغالب على المغلوب.. حسنا تابع مما لديك..

صوت: من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

صوت: شرط لا يأمر به.

صوت: ولكن الشرطين الأولين لا يمكن أن نرضى بهما.. هل وقعت الاتفاقية؟

صوت: لا... حتى الآن.. إن عمر بن الخطاب ممتعض جدا من هذه الشروط.. إنه متحمس لرفضها.

صوت: وهل سيقبل النبي ﷺ بهذه الشروط؟

صوت: سمعت ممن يحضرون أمر هذه المحادثات أن النبي ﷺ سيقبل هذه الشروط.

صوت: أنه ﷺ أعلم بصالحنا ولا شك أنه رأي في هذه الشروط وقدرها أكثر منا وعلينا أن نرتضي بما يرتضيه لنا رسولنا محمد ﷺ.

صوت: وما ينطق عن الهوى ـ إن هو إلا وحي يوحى.

الحلقة ـ ٥٨ ـ

(أصوات تدل على اجتماع عام في معسكر المسلمين وصوت يقول):

زيد: شروط قاسية جاء بها سهيل بن عمرو من عند قريش ومع ذلك فقد قبلها رسول الله ﷺ، علم بنا يا سعد نشهد توقيع صلح الحديبيه..

سعد: هلم بنا..

(في مكان الاجتماع سكون مطبق ثم وشوشة تنضح معالمها في الحديث التالي):

زيد: ما أفظع سهيل بن عمرو من مفاوض إنه في رأيي وقح..

سعد: انظر إنه يرفض أن تصدر اتفاقية المصالحة بالبسملة ويطلب أن يكتب باسمك اللهم.

علقمة: أسمع سهيلا ماذا يقول يا الله ما أقل حياءه.

(نقلة صوتية)..

سهيل: يا محمد، لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ولكن أكتب أسمك واسم أبيك.

زيد: ما أرحب صدرك يا رسول الله.

سعد: أنه الحلم سيد مكارم الأخلاق.

علقمة: ها هو الرسول يستجيب إلى طلب سهيل بن عمرو فيأمر علي بن أبي طالب أن يكتب:

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

(ضجيج ولغط ورجل يرسف في قيوده وصوت يقول):

صوت: هذا أبو جندل بن سهيل بن عمرو قد انفلت بدينه من قريش إليكم وهو يرسف في قيوده.

أبو جندل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. (يكرر ذلك)..

سهيل بن عمرو: ما جاء بك أيها الولد العاق.. أصبأت أيها السفيه؟

زيد: أنظر أن سهيلاً يأخذ بتلابيب ابنه ثم يصفعه على وجهه..

(يسمع صوت ضربه لابنه الذي يقول):

أبو جندل: أتضربني يا أبتاه لأني أسلمت.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

(يكرر الشهادتين.. على أصوات الضرب)..

سهيل بن عمرو: يا محمد قد لجت القضيه بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا..

(هرج ومرج وأصوات مبهمة تعلو وتنخفض.. ثم يظهر صوت زيد منها يقول):

زيد: ما أعظمك يا رسول الله وما أشد وفاءك للعهد..

سعد: إن الرسول يقول لأبي جندل، أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا.. إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنا لا نغدر بهم.

(يجر سهيل بن عمرو دابته وهو يصفعه وأبو جندل يصيح بأعلى صوته)..

صوت: أو لسنا بالمسلمين؟

صوت: بلى..

صوت: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟

صوت: الزم غرزك يا هذا فأني أشهد أن محمدا رسول الله..

صوت: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.. إنه عبد الله ورسوله ولن يخالف أمر ربه وربه لن يضيعه.

زيد: لئن أثار صلح الحديبيه بين صفوفنا بعض القلق والشكوك وخاصة فيما نص عليه العهد من أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من المسلمين لم يردوه على محمد فإننا لو انعمنا النظر في هذا النص لرأينا:

سعد: رأينا ماذا.. قل يا زيد.. إنني يساورني بعض الريب أنا أيضاً..

زيد: (ضاحكا)... أن رأى النبي ﷺ في هذا أن من ارتد عن الإسلام ولجأ إلى قريش ليس جديرا بأن يعود إلى صفوف المسلمين.. وأن من أسلم وحاول اللحاق بمحمد فسيجعل الله له مخرجاً كما جعل لمن سبقه من المسلمين..

سعد: يا الله ما أروع عما نقول يا زيد وما أحكام ما توصلت إليه.. لقد أقنعتني.. جزاك الله عني كل خير.

زيد: ثم أنسيت يا هذا؟

سعد: وماذا أيضا يا زيد؟

زيد: أنسيت أن قريشا أعترفت بمحمد ندا وعقلا لها لا ثائرا عليها. أليس هذا انتصاراً كبيراً لنا؟

سعد: حقا لقد أوتيت من بعد النظر ما تحسد عليه يا زيد

زيد: إنه نور الإيمان يا سعد يجلو عن القلوب والأبصار غشاوة الشك والريب.

سعد: الحمد لله على نعمة الإيمان.. الحمد لله. الحمد لله.

(أصوات هرج ومرج وصوت يقول):

صوت: وهذا مسلم آخر يفر إليكم بإيمانه من مشركي قريش.

صوت: من هو؟؟

صوت: أنه يدعي أبا بصير وهو مولى لأزهر بن عوف.

صوت: ومن الآخران اللذان جاءا معه

صوت: رجل من بني عامر وآخر مولى لسيدي أبي بصير.

صوت: ماذا يريدان؟

صوت: لا أدري.. ولكني أرى معهما رسالة للرسول ﷺ.

(هيصة وأصوات مبهمة وبعضها يقول):

صوت: أيرده الرسول إلى المشركين كما رد أبا جندل؟

صوت: ربما لا يرده لأن وضعه قد يختلف عن وضع ابن سهيل بن عمرو.

زيد: على رسلك يا هذا.. لقد أعطى الرسول لقريش عهدا ولن ينتقض ما عاهد عليه وسيسلمه إلى من جاءا يطلبان استرجاعه.

(نسمع أبا بصير يصيح بأعلى صوته)..

أبو بصير: يا رسول الله.. أتردني إلى المشركين.. يفتنوني في ديني..

(يتكرر صدى صوته حتى يضيع في همسات المتألمين لألمه وأحدهم يقول):

صوت: لقد صدق رسول الله حين قال لأبي بصير:

(إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلى قومك لنسمع صدى صوت أبي بصير وهو يقول):

أبو بصير: يا رسول الله.. أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني.

(نسمع صوت رفيق من رفقاء أبي بصير وهو يقول):

الرفيق: عمه يا أبا بصير... لن ننفعك توسلاتك.. سنعود بك إلى أزهر بن عوف والأخنس بن شريق فوطن نفسك على لقائهما..

الرفيق الآخر: عد إلى دين آبائك وأجدادك يا أبا بصير وأنا ضمين لك بالنجاة من تعذيبهما.

أبو بصير: (لنفسه).. يا أبا بصير.. إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا..

المؤذن: لقد قام رسول الله إلى هديه فنحره وحلق رأسه.. هلموا للاقتداء برسولكم يرحم الله المحلقين.. والمقصرين..

زيد: هيا يا سعد نقتدي برسول الله ﷺ.

سعد: هيا.. هيا..

(نسمع أصوات المسلمين وهم يسمون حين ينحرون الهدي ثم صوت المؤذن يقول):

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. أما وقد انتهيتم من نحركم وحلقكم وتقصيركم.. فرسول الله يأمركم بالاستعداد للعودة إلى المدينة.. هلموا يرحمكم الله.

(تصدح موسيقى العودة والرحيل.. وصوت الجيش الإسلامي يزحف في طريق العودة).

زيد: إن هدنة العشر سنوات بيننا وبين قريش ستساعد على انتشار الإسلام ودخول الناس فيه.

سعد: نعم يا زيد... ستخفق رايات الإسلام على ربوع هذه الجزيرة بعد أن أذعنت قريش بما لم تكن تذعن له من قبل قط.. ألم تقر للمسلمين بحق زيارة البيت وإقامة شعائر الحج.. أنه اعتراف بقيام أمة الإسلام بقيادة محمد ﷺ.

علقمة: يا قوم.. بشراكم يا قوم..

زيد: قل بشرك الله بالخير يا علقمة.

علقمة: لقد جئتكم من عند محمد ﷺ بعد أن تلا علينا ما نزل به الوحي عليه من عند الله تعالى..

زيد: أتحفظ ما سمعت؟.

علقمة: نعم.. بسم الله الرحمن الرحيم.. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١ ـ ٢).

زيد: صدق الله العظيم.. إذن لم يبق من ريب في أن عهد الحديبيه فتح مبين وإن قلبي ليحدثني أنه بشرى بفتح مكة أن شاء الله.

سعد: بلى.. بلى.. يا زيد.. أن شاء الله.

(هرج ومرج وصوت يقول):

صوت: انظروا يا قوم.. أن أحد رفقاء أبي بصير يعدو مسرعا نحونا.. وخلفه أبو بصير متوشح سيفه يعدو أيضا..

رفيق أبي بصير: يا معشر المسلمين.. أين محمد.. أدخلوني إليه..

أحدهم: إذهبوا به إلى الرسول يا قوم.

زيد: لقد قال رفيق أبي بصير لرسول ﷺ إنهم عندما كانوا بذي الحليفة سال أبو بصير أخا بني عامر أن يريه سيفه وما أن أستوت قبضته في يده حتى علا به العامري فقتله وأنه هو إنما جاء ليخبر الرسول بما جرى..

سعد: وماذا كان دفاع أبي بصير عن فعلته..؟

زيد: قال يا رسول الله.. وفت ذمتك.. وأدى الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن. فيه أو يعبث به.. السلام عليك يا رسول الله.

سعد: بورك فيه (لا شلت يدك يا أبا بصير)

علقمة: وأين ذهب أبو بصير بعد ذلك يا زيد؟

زيد: سمعته يتحدث إلى بعض المعجبين بشجاعته إنه سيذهب إلى العيص وهو المكان الذي تمر منه عير قريش في طريقها إلى الشام وأنه سيغير على هذه العير كلما مرت به.

علقمة: يا له من شجاع.

زيد: بل قل يا لقوة عقيدته وصدق إيمانه.

الحلقة ـ ٥٩ ـ

الراوي: وخرج أبو بصير حتى نزل العيص على البحر في طريقه قوافل قريش التجارية إلى الشام وسمع المسلمون المقيمون بمكة يأمره ففر إليه منهم نحو سبعين رجلا اتخذوه لهم قائدا ومرشدا وجعلوا وإياه يقطعون على قريش طريقها حتى كانوا لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تمر بهم عير إلاّ سلبوها.

(صوت أبي بصير وقد انتهى من صلاته، وهو يسلم ويقول):

أبو بصير: السلام عليكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله.

المصلون من خلفه: (أصواتهم) السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله..

أبو نصير: اللهم تقبل منا إنك سميع الدعاء.

المصلون: آمين يا رب العالمين.. آمين.

أبو بصير: يا قوم قد فررتم إلى هذا المكان في سبيل الحفاظ على دينكم والجهاد في سبيل الله ممن أذوا الله ورسوله.. وها نحن ولله الحمد يزداد عددنا يوما بعد يوم ورزقنا يتدفق علينا من عند الله بغير حساب.

أصوات: صدقت يا أبا بصير.. صدقت..

صوت: لقد هربنا من تعذيب قريش.. وعبودية قريش وظلمها.. ووحشيتها.. وخشينا من أن نرتد بعد أن أكرمنا الله وهدانا إلى هذا الدين الحنيف.

أبو بصير: يا قوم بلغني أن قافلة كبيرة لقريش ستسلك بعد عصر غد طريقا جانبية غير طريق العيص مخافة أن نترصدها وننقض عليها كما فعلنا بسابقاتها..

أحدهم: وأين تقع هذه الطريق الجانبية؟

أبو بصير: في وادي الزوراء..

أحدهم: إنها ليست بعيدة عن هذه الطريق.

أبو بصير: ولكنها وعرة ومجالنا في مهاجمة القافلة مضمون النتائج ذلك لأن الفرسان المواكبين للقافلة لن يستطيعوا مهاجمتنا إذا ما حصدتهم نبالنا وحستهم سيوفنا..

أحدهم: ولكن كيف الوصول إلى هذه الطريق من دون أن تحس بنا عيون هذه القافلة أو أفراد القبائل الموالين بقريش في هذه الناحية.

أبو بصير: أرى أن نشخص إلى وادي الزوراء في أعداد قليلة ونتخذ من الليل ستارا ونكمن في النهار في المغاور وتحت الصخور المنتشرة على سفح وادي الزوراء وستكون إشارة الهجوم بيننا هي رفع هذه الراية السوداء هل لأحدكم رأي غير ما ذكرت؟

أصوات: لا... لا... بالصواب نطقت يا أبا بصير.

أبو بصير: هيا بنا.. نسير على بركة الله فقد أسدل الظلام رواقه وليسبر كل رتل منكم طريقه والله معنا.

أصوات: الله معنا.. الله معنا..

(نسمع همسات المتسائلين منهم ووقع حوافر خيل الراكبين منهم.. كما نسمع أصوات اجتماع في مكان آخر وصوت يقول):

الصوت: يا قوم... سنسلك طريق وادي الزوراء غدا إلى مكة بدلا من

طريق وادي العيص لنأمن هجمات أبي بصير وشرذمة كبيرة قطاع الطرق من اتباع محمد اتخذوا من وادي العيص قاعدة للسطو على القوافل.

صوت آخر: لم يقتصر اعتداءهم على القوافل فحسب بل على كل إنسان يمر من وادي العيص حتى تمنى أبو سفيان لو أنه لم يتفق سهيل بن عمرو مع محمد على رد من أسلم من قريش إلى مكة إذا ذهب إليه بغير إذن من وليه.

صوت: يا قوم كنت أحد الناجين من اعتدائهم في إحدى المرات على قافلة صفوان بن أمية.. فقد هاجمونا بضراوة واستبسال ما عهدت له مثيلا من قبل..

أحدهم: يا ليت قريشا تعيد النظر في اتفاقها هذا مع محمد إننا نخشى أن تنقطع تجارتنا مع الشام إذا ما اشتدت شكيمة أبي بصير وصحبه وساندهم قطاع الطريق وطلاب النهب والسلب من القبائل المنتشرة على هذه الطريق..

(نسمع صوت مسير القافلة من الأجراس المعلقة: في أعناقها ووقع حوافر الفرسان المواكبين للقافلة لحراستها وهمساتها مبهمة وأصوات تعلو تهبط):

أحد جماعة أبي بصير: انظر يا سالم ها هي طلائع قافلة قريش تدخل بطن وادي الزوراء فلنستعد للهجوم.

الثاني: راقب جيدا راية أبي بصير.

الثالث: إنها قافلة ضخمة موسوقة بالغلال والبضائع.

الرابع: جعلها الله من نصيبنا.

أحدهم: ارتفع علم أبي بصير.. هيا إلى القتال.. الله أكبر نسمع صليل

السيوف ورغاء الإبل وسقوط القتلى والجرحى وصوت يقول):

الصوت: يا ويحهم لقد اختاروا المكان المناسب للهجوم.

صوت: أخذنا على غرة.

صوت: إنهم يغيرون علينا من كل جانب ومن كل حدب ينسلون..

(أصوات: تهليل وتكبير: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر.. والسقوط قتلى وأناث جرحى)..

صوت: اقتلوهم... لا ترحموهم.. لا نريد أسرى.. إنهم لم يرحموكم بمكة. لقد عذبوكم واضطهدوكم لا رحمه الله من رحمهم

(موسيقى انتهاء المعركة وصوت أبي بصير يقول):

أبو بصير: الحمد لله على نصره الذي وعد به عباده المتقين.

أحدهم: إنها قافلة موسوقة بالغلال والذخيرة.

الثاني: لك الحمد يا إلهي على ما أنعمت.. هيا يا أبا بصير اقسم الغنائم بيننا.

أبو بصير: سأفعل.. بسم الله الرحمن الرحيم..

(صوت رجل يصرخ في أعلى مكة قائلاً):

الصوت: يا أهل مكة.. يا أهل مكة... يا أهل مكة... عدا أبو بصير وصحبه عليهم فما تركوا من رجال القافلة أحداً ولا من أموالكم شيئاً.

(أصوات تجمع.. هرج ومرج.. وضجيج.. وصوت يقول):

الصوت: هيا إلى أبي سفيان في دار الندوة.

أصوات: هيا.. هيا.. هيا..

(وفي الطريق نسمع من يقول):

صوت: لقد ضاع كل ما أملك في هذه القافلة.

صوت آخر: وأنا أيضا يا عامر راح كل ما جمعته عشيرتي في هذه القافلة..

صوت: ضربة قاصمة لتجار قريش وتجارتها.

(قائد المتجمعين يقول لأبي سفيان...)

القائد: يا أبا سفيان قضى أبو بصير على تجارة قريش وتجارها هذه هي المرة الخامسة وهو يسطو على قوافلنا ولم تقدر قريش على تأديبه حتى استشرى أمره وطار صيته وانخرط تحت لوائه الفاتكون وقطاع الطرق.. والمجرمون..

أبو سفيان: صدقت يا هذا.. انصرفوا من حيث أتيتم واتركونا نتدبر في هدوء وروية ما يجب أن نفعل..

القائد: ولكن ما نملك ضاع وأصبحنا على شفا الفقر والفاقه.

أبو سفيان: يا قوم... يا قوم... أمهلونا ولا تهملونا.

أصوات: (أنقذونا من أبي بصير.. أنقذونا من أبي بصير... ردوا إلينا أموالنا.. أنقذونا من المسلمين...)

أبو سفيان: يا قوم لم أشأ أن أتحدث إليكم أمام هذا الجمع من الموتورين والآن وقد انصرفوا في الرأي عندكم؟

صفوان: رأي يا أبا سفيان أن نجهز حملة تأديبية نستأصل فيها شأفة هؤلاء الأفاكين المجرمين.

أبو سفيان: تستأصل شأفة من.. إنهم مردة يا صفوان إنك لا تعرف أين يتجمعون بل أين يهجمون.. إنهم يتفرقون حين لا سلب ولا نهب ويجتمعون بقدرة عجيبة حين يلوح في الأفق صيد ثمين.

عكرمة: ولكن أنتركهم يقطعون طريقنا التجارية كما كان يفعل محمد قبل صلح الحديبية ونحن لم نصدق أن هذا الصلح أعطانا أعظم الطمأنينة لاستعادة مكانتنا التجارية التي فقدناها أيام اتصال الحرب بيننا وبين المسلمين.

أبو سفيان: إنك تتكلم بتفكير سليم يا عكرمة ولكن كيف التخلص من هذه الشرذمة من المسلمين التي يزداد عددها يوميا بانضمام الفارين من المسلمين في مكة إليهم والأعراب الذي يعيشون حياتهم على النهب والسلب..

صفوان: لقد نكبنى محمد واتباعه في أبي وأخي بيدر من قبل ونكبني أبو بصير وصحبه قبل شهر في قافلتي حتى تحرج موقفي المالي وأصبح شبح الفاقة يطرق بأبي فلماذا لا..

أبو سفيان: فلماذا... ماذا... قل... أين..

صفوان: إن سبب هذا التجمع الإسلامي في وادي العيص هو الشرط الذي إتفق عليه سهيل بن عمرو مع محمد والقاضي برد المسلمين من قريش إلى مكة إذا هم ذهبوا إلى محمد بغير رأي مواليهم.. لماذا لانتفاهم مع محمد ونلغي هذا الشرط الذي أفاد محمداً وأضرّ بنا..

أبو سفيان: تكلم يا سهيل بن عمرو فأنت موقع هذا الاتفاق.

سهيل بن عمرو: يا قوم لقد لمست حالة من القلق وعدم الرضا بين

المسلمين من هذا الشرط في صلح الحديبية بالذات إثر توقيعي عليه وخاصة من عمر بن الخطاب ولولا إيمان المسلمين العجيب بمحمد لانقلبوا عليه وأنا أرى.

أبو سفيان: ترى ماذا؟

سهيل بن عمرو: أن نكتب إلى محمد نسأله أن يؤوي هؤلاء المسلمين إليه حتى يتركوا الطريق آمنا فإن وجودهم بهذا الشكل يهدد شرط الهدنة الذي اتفقنا عليه وحالة الاستقرار التي ينشدها كلانا..

أبو سفيان: رأي سديد ما أشرت به يا سهيل بورك فيك ماذا تقول يا صفوان؟

صفوان: إني مندهش في هذا الحل الذي توصل إليه سهيل بن عمرو.. وإني أوافق عليه.. لأن حرصنا على بقاء المسلمين بين ظهرانينا كمثل من يبقى شوكة في فراشه..

أبو سفيان: دبج الرسالة إلى محمد بيراعك يا سهيل.

سهيل: إنني أول من يتضرر بإلغاء هذا الشرط ولكن في مصلحة قومي وأهلي يهون الضرر.

أبو سفيان: بورك فيك يا سهيل.. إننا لندرك أن إبنك أبا جندل هو في طليعة من ينسحب عليه إلغاء هذا الشرط من صلح الحديبية وإننا لنقدر لك هذه التضحية العظيمة في سبيل قومك وأهلك.

(خبطه موسيقية قوية)..

الراوي: وهكذا صدقت الحوادث حكمة محمد ﷺ وبعد نظره ودقة سياسته، وأثبتت أنه حين عقد صلح الحديبية أرسى دعامة لا تنقض في سياسة الإسلام وإنتشاره وهذا هو الفتح المبين الذي أشار إليه

القرءان الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١ ـ ٢) صدق الله العظيم.

الحلقة ـ ٦٠ ـ

(همهمة وغمغمة وأصوات مبهمة تدل على إجتماع هام ثم صوت سلام بن مشكم يقول):

سلام: يا قوم.. يا قوم.. لقد علمتم بالصلح الذي جرى بين محمد وقريش في الحديبية.

أصوات: نعم... نعم.. بلى... بلى..

سلام: ولكنكم لم تعلموا بما أثاره هذا الصلح المخزي في نفوس المسلمين؟

أصوات: لا... يا سلام.. لا.. قل.. قل..

سلام: لقد ضاق صدر كثير منهم بهذا الصلح فبعضهم ظهره وفثأ غضبه وبعضهم كتمه على غيظ ولكن أسارير وجهه كانت تفضحه.. لقد رأوا فيه الدنية رأوا فيه انتصار قريش وقوتها وصدها محمداً عن دخول المسجد الحرام.

الحارث: نعم يا سلام.. هذا صحيح.. ولكن الصلح وضع محمداً وأصحابه موضع الند والعدل بقريش بعد أن كانت تعده ثائراً عليها..

سلام: هذا الاستقرار للحوادث لا يفهمه إلا من كان في مستوى عقلية اليهود وقوة إدراكهم وتفهمهم لبواطن الأمور.. ولكن الغوغائية الملتفة حول محمد لا تستبين ذلك.. يا بن أبي زينب.

الحارث: هذا الثناء والتقدير أعتز به من زعيمنا سلام بن مشكم.

سلام: بورك لليهود فيك والآن..

رزال: قل يا عماه.. قل.. فإني لمتشوق إلى ما وراء ذلك..

سلام: إن محمداً مضطر للقضاء على النقمة بين صفوفه إلى أن يشغلهم في معركة جانبية إلهائيه حتى يفتت هذا السخط ويذيبه ومن غيرنا يصلح لأن يكون هدفا وحيدا ثمينا نشخص إليه أبصار المسلمين وتسيل نفوسهم توقا للحصول عليه.. يا رزال.

رزال: أيظن محمد إن احتلال خيبر معقل صناديد اليهود وشجعانهم شيء هين ولقمة سائغة.. إن دون ذلك خرط القتاد.

أصوات: (بلى... بلى.. لافض فوك يا رزال...).

مرحب: فليقدم محمد.. فليتجرأ.. وسيرى من سيوفنا البواتر ما لم يره من أحد.

سلام: صدقت يا مرحب.. أن خيبر تزخر بالرجال الأبطال وبالعدد والعدة ولكن الكثرة تغلب الشجاعة فعلينا أولا أن نعتمد على أنفسنا.

أصوات: (نحن معك يا سلام.. نحن معك يا سلام.. الويل لمحمد وأصحابه.. الويل للمسلمين).

سلام: بورك فيكم.. بورك فيكم.. هذا ما أردت أن أعرفه منكم وأردت أن تعرفوه مني.

أصوات: وهل كنت في شك من ذلك يا سلام.

سلام: لا... لا... ولكن لأطمئن..هيا.. انصرفوا إلى أعمالكم وكونوا على أهبة الاستعداد لأي طارىء وليبق الحارث ابن أبي زينب عندي.

أصوات: مرحى لسلام.. مرحى... مرحى..

(نسمع أصوات مفادرتهم.. ثم سكون مطبق يعقبه صوت سلام يقول):

سلام: يا بني أبي زينب لم أشأ أن أطلع رجالنا على كل ما نفعله فالأمور التي هي على مستوى رفيع لا يجب أن تنحدر إلى أسماع الغوغاء..

الحارث: قل.. هل من جديد في اتصالاتك مع اليهود في فدك ووادي القرى وتيماء.

سلام: لقد أبدوا استعدادهم الكلي لمساعدتنا وربطوا مصيرهم بمصيرنا.

الحارث: هذا شيء حقيقي فمصير اليهودية في الجزيرة العربية سيقرر في خيبر.

سلام: صحيح يا حارث.. صحيح.

الحارث: وماذا تم في اتصالاتك مع غطفان والقبائل العربية المجاورة.

سلام: إن العرب لا يؤمن جانبهم فتجربة حيي بن أخطب ماثلة أمام أعيننا تذكر بغدر العرب وإنهم مع كل ناعق.

(يسمع قرع على الباب فيقول سلام)..

سلام: أدخل.. من... آزر.. ما وراءك.

آزر: رسول عن عبد الله بن أبي بن سلول.

سلام: أدخله في الحال..

الحارث: لا بد أنه يحمل نبأ هاما لنا..

المنافق: عموا صباحاً.

سلام: عم صباحاً يا رسول حبيب اليهود وأعزهم عندها.. إجلس... تفضل.. ما وراءك.

المنافق: لدي رسالة شفوية من ابن سلول هل أدلي بها أمام من أرى.

سلام: قل.. لا عليك.. إنه قائد جيشنا.

المنافق: يقرئكم ابن سلول التحية ويبلغكم أن محمدا يعد نفسه لقتالكم فخذوا حذركم ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة وقوم محمد شرذمة قليلون عزلا لا سلاح معهم إلا اليسير.

سلام: قل لأبي عبد الله أن اليهود يشكرون له صنيعه ويقدرون له وده وجميله وإننا سنحتاط لكل طارىء.

المنافق: عموا صباحاً.

سلام: عم صباحاً.

(نسمع صوت خروجه من اصطفاق الباب.. ثم نسمع صوت سلام يقول):

سلام: لم يبق لنا صديق بالمدينة غير ابن سلول.. لئن فقدناه فقدنا عينا وسندا لنا هنالك.

الحارث: لقد علمت أنه مريض.. يشكو علة الشيخوخة.

سلام: لا دواء لمرضى الشيخوخة يا حارث.

الحارث: نعم.. والآن قل لي.. ماذا تريد أن نفعل؟

سلام: نستكمل استعدادنا في حصوننا من زاد وعتاد وتوزيع المقاتلين.. وأنا سأحاول من أخرى مع غطفان والقبائل المجاورة على جرهم للمعركة فيكونوا الوقود الأول في أتونها..

الحارث: أعانك رب موسى وهرون.. أما أنا فسأذهب لاستكمال الاستعدادات وتهيئة مستلزماته.

سلام: بورك فيك.. بورك فيك..

(نقلة صوتية)..

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يدعوكم للتجهيز لغزو خيبر على ألا يغزو معه إلا من شهد الحديبية.. إلا أن يكون غازياً مقطوعاً ليس له من الغنيمة شيء.

(ضجيج ولغط.. وقعقعة سلاح.. وصهيل خيل وأصوات مبهمة تعلو وتهبط.. وتهليل وتكبير وصوت يقول):

زيد: إن جموع اليهود في خيبر من أقوى اليهود بأساً وأوفرها مالاً وأكثرها سلاحاً.

سعد: ولكننا لن نستشعر بنعمة الاستقرار ما دام لليهود وكر في الجزيرة.

زيد: إنني أخشى أن يطول حصارنا لخيبر فحصونها منيعة وأهلوها متمرسون على الحرب القتال..

سعد: ولكن الإيمان الذي يملأ صدورنا سيذلل هذه الصعاب وسننغلب عليها بإذن الله.

زيد: علينا أن نترقب قتلاً عنيفاً واستماتة من اليهود في الدفاع عن أنفسهم إيمانا منهم بأن هزيمتهم أمامنا إنما هي القضاء المبرم على اليهود في بلاد العرب.

(يبتدىء زحف المسلمين على خيبر فنسمع أصوات التهليل والتكبير وقعقعة السلاح وصليل السيوف وموسيقى الزحف..).

علقمة: إن علينا أن نسير ثلاثة أيام إلى جهة الشمال حتى نصل خيبر وقد سمعت رسول الله يسأل أحد الأولاد على الطريق الأحسن حتى يحول بين أهل خيبر وغطفان.

سعد: ولماذا يا علقمه؟.

علقمة: لأن اليهود في خيبر على علاقة وثيقة بغطفان وأخشى ما نخشاه أن يتحالفوا معهم علينا وغطفان كما تعلم أكبر قبيلة في جهات المدينة.

سعد: وهل نحن الآن نسير في الطريق الأقصر والأحسن إلى خيبر؟

علقمة: نعم يا سعد.. وسنصبح اليهود غداً إن شاء الله.

(صوت مسيرة الجيش وزحفه فوق الصخور والرمال وصوت سعد يقول):

صوت: إن طريقنا وعرة موحشة يا زيد.

سعد: إنها تذكرني بالطريق التي كنت فيها دليلنا يوم الحديبية أتذكر.. ليلة تقطعت نعالى وتدامت قدماي.

زيد: أن الحياة يا سعد حلوة ومرة.. والجهاد في سبيل الله على حلاوته فيه بعض المرارة ولعل مرارته هي السر في الجزاء والثواب عليه من عند الله.

سعد: أراك أصبحت من حكماء العرب يا زيد..

زيد: بل قل والمسلمين ولا فخر يا سعد.

(يتضاحكان...)

(نسمع صوت الديكة وأصوات عمال اليهود يسرحون إلى أعمالهم وهم يتحدثون)..

أحد العمال: أن تباشير طلع النخيل جيده في هذا العام يا غزير.

عزير: وجميع الخضروات أيضا نحوها غريب وعجيب في هذه يا سماك.

سماك: انظر.. يا عزير.. انظر؟؟؟ أرى غبارا تسد الأفق ثورته.

عزير: إني أسمع أصوات تهليل وتكبير.

سماك: إنهم المسلمون.. إنهم المسلمون..

عزير (يصرخ): واصباحاه.. واصباحاه.. يا أهل خيبر. واصباحاه.. محمد والله محمد.. والخميس..

سمكاك: فلننجو بأنفسنا إلى الحصن لينذر قومنا بقدوم المسلمين.

(تعلو أصوات التهليل والتكبير.. وصليل السيوف ووقع حوافر الخيل ثم صوت مدو يقول):

أصوات: يا أهل خيبر.. يا أهل خيبر.. إلى حصونكم.. دافعوا عن أموالكم ونسائكم وأولادكم.. لقد داهمنا المسلمون.

(ثم همهمة وهمسات وحركات ذهاب وإياب تدل على اجتماع عاجل ثم صوت سلام بن مشكم يقول):

سلام: يا قوم.. يا قوم.. لقد وقع المحذور وصح ما كنا نخشاه ها هو محمد يغزوكم بجيشه فماذا تراكم فاعلين..

رزال: القتال يا عماه.. وهل غيره طريق نختاره إني أريد أن أنتقم لأبي وعمي اللذين قتلا غيلة وغدرا..

الحارث: أرى أن نبعث برسل إلى يهود وادي القرى وشيماء وفدك لنؤلف من بينها تحالفا ثم نغزو يثرب بينما يكون محمد منشغل عنهم بحصارنا.

سلام: رأي سديد ولكن لمحمد في المدينة من غير شك قوة احتياطية يمكنها صد أي هجوم يا حارث.

الحارث: من يدري يا سلام.. فلماذا لا نستعلم عن ذلك من صديقنا عبد الله بن أبي بن سلول.. وفي نفس الوقت تسير اتصالاتنا بيهود وادي القرى وتيماء وفدك في مجراها الطبيعي.

حرمون: ولم كل هذا يا قوم؟ لماذا لا ندخل في حلف مع محمد قبل أن نبدأ في القتال إننا لم نقم بعمل عدواني ضده بل هو الذي هاجمنا اليوم ولعلنا نجد بين الأنصار من يستجيب لهذه الدعوة.

أصوات: لا يا حرمون.. لا يا حرمون.. لا نقبل التفاوض مع محمد.. وليس له عندنا غير السيوف..

حرمون: لقد محضتكم النصح يا قومي وأرجو ألا تندموا حين لا ينفع الندم..

أصوات: اسكت أيها الخرف..، أيها الجبان.. أيها الخوار إذهب إلى كناسك واحبس نفسك يه فليس اليوم يومك.

حرمون: يا رب موسى وهرون اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

أصوات: الرأي ما رآه الحارث بن أبي زينب.. اعملوا به.. نفذوه..

الحلقة ـ ٦١ ـ

رزال: لا حياة لليهود بعد اليوم أن لم يتجمعوا ويتكتلوا ويكونوا يدا واحدة ضد المسلمين.

أصوات: صدقت يا رزال.. صدقت يا رزال..

سلام: سنفعل.. سنفعل.. هيا.. إلى قتال المسلمين هيا.. هيا..

الحارث: اسرعوا يا رجال... اسرعوا فقد بدأ زحف المسلمين على حصن نطاة.

سلام: سأدخل مع المقاتلين في حصن نطاة وسأكون في طليعة من يدافعون عن قومهم بأرواحهم وأموالهم..

أصوات: مرحى سلام.. مرحى.. مرحى..

«موسيقى حربية.. وصوت يقول».

الصوت: اللهم رب السموات السبع وما أظللن.. ورب الأرضين السبع وما أقللن أنا نسألك خير هذه القرية.. وخير أهلها.. وخير ما فيها.. ونعوذ بك من شر هذه القرية... وشر أهلها.. وشر ما فيها اقدموا باسم الله..

صوت: يا معشر المسلمين.. اقدموا باسم الله.. أقدموا باسم الله..

(أصوات تهليل وتكبير.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ركض الخيل وقعقعة السلاح وصليل السيوف وسقوط قتلى وإناث جرحى).

زيد: قاتل الله اليهود.. إنهم يستميتون في الدفاع عن حصن نطاة.

سعد: إن عدد الجرحى يزداد بين المسلمين من شدة السهام وقذائف الحجارة.

زيد: إني أرى سلام بن مشكم بين المدافعين عن هذا الحصن هلم إليه نعتوره.. فإن قتلناه استولينا على الحصن.. وإن لم كسبنا الشهادة يا سعد هيا إلى أحدى الحسنين.

سعد: هيا.. هيا..

(أصوات تهليل وتكبير وكر وفر وإنات جرحى وسقوط قتلى.. ثم صوت يقول):

الصوت: الله أكبر.. الله أكبر قتل سلام بن مشكم.. قتل عدو الله.. اقدموا باسم الله عليهم.. أن المدافعين عن حصن نطاة ينسحبون إلى حصن ناعم.

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: لقد بلغني يا قوم أن محمدا سار لقتال أهل خيبر.

صفوان: أرى أن الدائرة ستكون على محمد ومن معه يا أبا سفيان فحصون خيبر كما تعلم قوية ومنيعة.

عكرمة: ويهود خيبر يا صفوان أشجع ممن عرفت يا صفوان.

خالد: ولكن محمدا لا يقدم على مخاطرة كهذه ما لم يكن واثقا من قدرته على كسب المعركة يا عكرمة.. لقد تمرس محمد القتال وحذق فنها فهو والله قائد لا يشق له غبار..

عكرمة: أتراهن يا خالد.

خالد: أنت تعلم إني لا أحب الرهان يا عكرمة.. ولكني أقول بعد لقائي بمحمد في بدر وأحد والخندق ومشارف الحديبية.. أقول إن محمداً قائد فذ لم تلد الجزيرة مثله.

القصوص وحصن الصعب بن معاد.

عكرمة: أراك أصبحت مفتونا بمحمد يا خالد.

خالد: لا يعرف الرجال الا الرجال.

سهيل: أتراهن يا صفوان.

صفوان: أراهنك يا سهيل على خمسة من الابل ادفعها لك أن كسب محمد المعركة.

سهيل: وأنا قبلت الرهان على مثله إن خسر محمد المعركة ماذا تقول يا أبا سفيان.

أبو سفيان: لقد دخلتما في رهان فعلي وعلينا أن نقف موقف المتفرج وكل آت قريب..

(نقلة صوتية أصوات تهليل وتكبير.. وصليل سيوف وقعقعة سلاح وصوت يقول):

الصوت: الله أكبر.. الله أكبر.. قتل الحارث بن أبي زينب قائد يهود خيبر وسقط حصن ناعم على يد علي بن أبي طالب.

صوت: بورك فيك يا بن أبي طالب بورك فيك يا أبا الحسن.

زيد: ما أشجع علي بن أبي طالب يا سعد.. لقد دنا من حصن ناعم فخرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فأطاح ترسه فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ثم جعل من الباب قنطرة اجتازت المسلمون عليها إلى داخل أبنية الحصن.

سعد: إنها شجاعة خارقة يا زيد.. ولكن لا تنسى أيضا شجاعة يهود هذا الحصن فقد دافعوا عنه حتى قتل قائدهم ابن أبي زينب فدخلوا إلى حصن القموص وحصن الصعب بن معاذ.

زيد: إنهم يقاتلون عن كل شبر من أبنية حصونهم لقد ارتفع عدد الجرحى المسلمين حتى بلغ الخمسين غير القتلى.

سعد: إن حصنى القموص والصعب بن معاذ أقوى حصن اليهود واختراقها أمر ليس بالهين وخاصة ونحن الآن في حالة ضنك بعد أن قلت مؤونتنا وبدأ شبح الجوع يهددنا بالرغم من أن

الرسول ﷺ قد أذن لنا في أكل لحوم للخيل.

«يريان علقمة قادما إليها فيقول له زيد».

من أين هذا الرزق يا علقمة.. من أين لك هذا.. قل..

علقمة: لقد رأيت قطيعا من الغنم يدخل من طريق سرية إلى حصن القوص والصعب فاختطفت شاتين منه بعد أن كادت سهام اليهود تمزق جسدي.. هلموا نذبحها ونطعم اخواننا في السلاح ثم نذهب إلى رسول الله ﷺ نخبره بما رأينا وفعلنا فلعل هذه الطريق تفيد في اختراق الحصنين..

(أصوات تهليل وتكبير.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر سقط حصن القموص.. الله أكبر ... الله أكبر.. الله أكبر سقط حصن الصعب بن معاذ)..

زيد: الحمد لله.. والحمد لله يا علقمة.. لقد هدانا الله بشاتيك إلى الطريق السرية التي اقتحمنا منها الحصنين فكان الفتح.

سعد: وألاهم من كل هذا يا زيد أن أزمة الجوع قد انفجرت فقد كان الحصنان مليئين بالمؤن والذخائر بما يكفي لمئات المقاتلين..

«يسمعون هرجا ومرجا وضجيجا كبيرا فيقول علقمة».

علقمة: انظر ماذا ترى يا زيد؟

زيد: إني أرى رجلاً يهودياً قد جمع للحرب سلاحه وأكمل عدته وهو يرتجل.

(نقلة صوتية)

مرحب: قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

(ثم ينادي)..

من يبارزني اين شجاعتكم أيها المسلمون: قدموهم ليروا مصير من سبقهم.

زيد: انظروا ها هو علي بن أبي طالب يخرج لمبارزته فهو يرتجز.

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كرهوا المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

(نسمع اشتباك سيوفهما.. وضرباتهما ووقع حوافر خيلهما ثم أصوات تهليل تهليل وتكبير.. الله أكبر قتل عدو الله مرحبى.. قتله علي بن أبي طالب لا شك يداك يا أبا الحسن)..

علقمة: انظروا يا قوم ها هو ياسر أخو مرحب يخرج بعد موت أخيه يطلب المبارزة.

زيد: انظروا ها هو الزبير ابن العوام يخرج للقائه.

أن ياسر فارس شديد كأخيه مرحب.

سعد: ولكن الزبير أحذق منه بصناعة الحرب فهو فارس ماهر.. انظر كيف يتصاولان.. ها هو تبقى ضربة ياسر ليسدد ضربة مقابلة إليه..

(نسمع صليل السيوف.. ووقع حوافر الخيل ثم لا نلبث أن نسمع أصوات التهليل والتكبير.. الله أكبر قتل أسر قتله الزبير بن العوام كانت ضربة شديدة اطاحت برأس ياسر سلمت يداك يا ابن العوام).

المؤذن: يا معشر المسلمين. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين رسول الله يأمركم بالهجوم وتشديد الحصار على اليهود.

الحلقة ـ ٦٢ ـ

(نسمع أصوات التهليل وللتكبير.. ثم نسمع أصوات مختلفة فيها أصوات رجال ونساء وصبية تعلو وتهبط ثم صوت كنانة بن الربيع يقول):

كنانة: يا قوم.. يا قوم.. لقد دافعتم دفاع الأبطال عن حصونكم وجاهدتم جهاد المستميت عن أموالكم ونسائكم وأطفالكم.. فقتل سلام بن مشكم ولحقه الحارث بن أبي زينب ومرحب وياسر.. وها هي حصوننا يسقط الواحد تلو الآخر. وكنا ننتظر من إخواننا اليهود في وادي القرى وتيماء وفدارة أن يتجمعوا أو يهاجموا يثرب ولسكنهم تقاعسوا واخلفوا ظننا بهم وجبنوا عن لقاء المسلمين فما رأيكم.

صوت: لقد تنبأ حرمون لهذه النتيجة من قبل فكذبتموه وسفهتم رأيه.

كنانه: مالنا ولما مضى.. نحن في البلاء الحاضر.. لم يبق إلا هذين الحصنين الوطيح والسلالم وقد حست سيوف المسلمين زهرة مقاتلتنا فماذا تشيرون.

سماره: أرى أن ترسل في طلب الصلح يا كنانه.

أصوات: موافقون... موافقون.

كنانه: يا قوم.. إذا كان مصيرنا سيكون كمصير بني قريظة فإنني أفضل الموت في ساحة المعركة على الموت صبرا.

أصوات: بلى.. بلى.. بلى.. يا كنانة.. نحن.. نحن معك.

كنانه: نطلب من محمد الصلح على أن يحقن دمائنا ولا علينا من أموالنا.

أصوات: موافقون.. بلى.. نحن معك.. موافقون..

(موسيقى انتهاء المعركة واصوات تدل على اجتماع ثم صوت زيد يقول):

زيد: لقد قبل رسول الله ﷺ أن يحقن دماء يهود خيبر.. ويبيتهم على أراضيهم التي آلت إليه بحكم الفتح على أن يكون لليهود نصف ثمرها مقابل عملهم..

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يأمركم بالتجهز لغزو اليهود في وادي القرى وتيماء وفدك.. فهلموا إلى الجهاد في سبيل الله هلموا يرحمكم الله هلموسا أثابكم الله..

(نسمع حركات استعدادات للسير ثم نقله صوتية):

صفوان: أمن جديد عن غزو محمد لأهل خيبر يا سهيل.

سهيل: لا يا صفوان إني لم أعد أهتم بتتبع هذه الغزوة بالرغم من الرهان الذي بيني وبينك.

صفوان: ولماذا يا سهيل.

سهيل: إن فكري وكل جانحة من جوانحي مع ولدي أبي جندل الذي هرب مع سبعين من المسلمين والتحق بأبي بصيرك في وادي العيص.

صفوان: ولكنهم الآن مع محمد بعد أن استجاب لطلبنا وألقى ذلك الشرط الفظيع من صلح الحديبية أن أبنك في أمان على الأقل مما كان عليه في وادي العيص.

سهيل: ولكن والدته متعلقة به تعلقا شديد وكلفة بابنها وإني أخشى أن تهرب فتلتحق بمحمد وهو عار علي ما بعده عار إن فعلت.

صفوان: كن مطمئنا يا سهيل فإن زوجك عاقلة تقدر الأمور حق قدرها ولن تعرض سمعتك إلى سوء مهما كانت الظروف الآن.

سهيل: والان.. ماذا يا صفوان.

صفوان: أما سمحت بالرهان الكبير؟

صفوان: رهان وأي رهان أنه ما بين حويطب بن عبد العزى وجماعته وعباس بن مرداس وجماعته من جهة أخرى.

سهيل: على ماذا يا صفوان.

صفوان: وهل هناك شيء يشغل بال قريش غير محمد وتحركات محمد إنه رهان حول نتيجة غزوة خيبر.

سهيل: وما هو مبلغ الرهان.

صفوان: مئة بعير.. مئة بعير أي عشرة أضعاف رهاننا يا سهيل..

سهيل: الجود من الموجود يا صفوان.. وهم جماعة مقابل جماعة ونحن واحد تجاه واحد.

صفوان: لقد طالت المعركة بين محمد ويهود خيبر وطولها في صالحي يا سهيل أليس كذلك.

سهيل: كل آت قريب من يدري يا صفوان..

صوت: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. لقد جاءكم حجاج بن علاط السلمي بأخبار معركة خيبر.

(هرج.. ومرج وأصوات مبهمة وهمسات تدل على إجتماع وصوت حويطب بن عبد العزى يقول):

حويطب: يا حجاج.. استحلفك باللات والعزى الا ما صدقتنا ما هي أخبار محمد ويهود خيبر.

حجاج: أما وقد استحلفتني يا حويطب باللات والعزى فعندي من الخبر ما يحركم.

عباس بن مرداس: قل يا حجاج وفصل.

حجاج: لم يلق محمد يا بن مرداس قوما يحسنون القتال غير أهل خيبر.

حويطب: ماذا تقول يا حجاج.

حجاج: هزم محمد هزيمة لم يسمع بمثلها قط.. وأمره يهود خيبر وقروا ألا يقتلوه حتى يبعثوا به إلى مكه ليقتل بين أظهركم.

أصوات: هذه هي البشرى واللات والعزى.

حويطب: أحقا ما تقول يا حجاج.

حجاج: اقسم باللات والعزى وأساف ومناة وهبل.

عباس: لقد استحق عليك دفع الرهان يا حويطب فمتى آتيك للاستلام (ضاحكا) مئة بعير.. مئة بعير فقط يا حويطب بن عبد العزى ضاحكا باستهزاء.

صفوان: (شاحكا باستهزاء) عشرة نوق من الإبل يا سهيل.. عشرة نوق فقط وسأعطيك أنا راس محمد عندما يقتله اليهود ظهرانينا ألا يرضيك ذلك ألا يرضيك..

سهيل: والله إنني غير مصدق ما جاء به حجاج بن علاط السلمي ومع ذلك فإني مستعد لدفع الرهان.

أصوات: مرحى... يا حجاج.. مرحى.. يا حجاج مرحى.

حجاج: يا قوم.. يا قوم.. أعينوني على غرمائي.. أريد أن أقدم فأصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني أحد إلى هناك فساعدوني

على استيفاء ما لدي عند تجار قريش من ديون.

أصوات: سنذهب معك.. سنحصل ديونك ولو بالقوة.. هلم معنا.. هلم معنا.

(موسيقى حزينه ونقلة صوتية)..

غلام العباس بن عبد المطلب: يا حجاج أنا غلام العباس بن عبد المطلب اليك.. إن سيدي قد اشتد عليه ما بلغه عن لسانك من أخبار حتى لقد أصبح شبه مقعد من وقع نبأ هذه الكارثة.. وهو يسألك الله أن تصدقه.

حجاج: يا غلام أتحفظ السر وتقسم على كتمانه.

الغلام: أقسم بالله العظيم على ذلك.

حجاج: أأنت يا أخي مسلم إنني مسلم مثلك الحمد لله..

الغلام: نعم والحمد لله.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

حجاج: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. الحمد لله.. الحمد لله.. قل لسيدك العباس فليدخل في بعض بيوته لأتيه بالخبر على ما يسره وأكتم عني.

الغلام: سرك يا أخي في أمان والحمد لله الذي أعز بمحمد الإسلام والمسلمين.

(نقلة صوتية)..

حجاج: يا ام نصر.. لقد هزم محمد وعما قريب سيكون هنا.. فقد صمت يهود خيبر على قتله وشنقه بمكة.

أم نصر: لقد شق عليّ الخبر يا حجاج أن تكون هزيمة محمد القرشي على

يد أذل الناس وأقذرهم.. اليهود... اليهود.. من يستطيع أن ينازعهم السيادة في يثرب بعد اليوم.

حجاج: هذا ما وقع يا أم نصر بالفعل والمهم أريدك أن تعطيني ما لديك من متاعي ونقودي فإني سأسرع لشراء ما غنمته اليهود من أسلاب من وراء محمد قبل أن يسبقني تجار قريش إلى ذلك.. هات.

أم نصر: خذ يا أبا نصر.. خذ... هذا كل مالك عندي من متاع ومال وأنصحك أن تحتاط على نفسك من غدر اليهود ولؤم اليهود وخستهم.

حجاج: لا تخشى علي.. لا تخشى علي... سأتيك بأخبار السارة والأرباح الوافرة.

أم نصر: رافقتك السلامة وحفظتك الآلهة

(نقلة صوتية)..

زيد: يا الله ما أفظع اليهود وما أشد حقدهم وكراهتهم للرسول ﷺ.

سعد: وأي حقد أو قل أخبث من الفعلة التي قاموا بها.. يا ويلهم أرادوا تسميم الرسول في الشاة من المطبوخة التي أهدتها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم إليه ﷺ.

زيد: إن الحارث ليس من فعله هذه المرأة.. وإنما هو مؤامرة دبرتها عقول اليهود المطبوعة على الدس والغش والحقد والتآمر.

سعد: إذا فالمرءة كانت كبش الفداء.

زيد: نعم يا سيدي.

سعد: هل اعترفت بفعلتها.

زيد: نعم..

سعد: وماذا قالت في اعترافها؟

زيج: قالت يا محمد لقد بلغت من قوس ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر..

سعد: إنه النبي الصادق الأمين ﷺ..

زيد: نعم يا سعد فحين تناول عليه السلام ذراع الشاة فلاك منها مضغة لم يسفها. وكان بشر بن البراء معه قد تناول منها مثل ما تناول الرسول.. فأما بشر فأساغها وازدردها وأما الرسول فلفظها وهو يقول أن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم.

سعد: صدق الرسول العظيم.

زيد: ثم دعا الرسول زينب فاعترفت كما سبق أن قلت لك.

سعد: وماذا جرى لبشر بن البراء.

زيد: مات أثر أكلته هذه..

سعد: لعن الله اليهود وأخزاهم.. أنهم قوم طبعوا على الغدر والخيانة يا ليت رسول تلك لم يحقن دمائهم يا ليته عاملهم كما عامل بني قريظه.

زيد: أمامك ميادين الانتقام من اليهود في وادي القرى وتيماء وفدك.

سعد: لقد سلم يهود فدك لأنهم صالحوا النبي ﷺ على نصف أموالهم من غير قتال بينما كنا نتفاوض في الصلح مع يهود خيبر.. أما الباقون فلن يسلموا مني بحول الله وقوته.

زيد: ومتى أنا يا سعد.. سأنتقم لبشر بن البراء.

علقمة: ومتى أنا أيضا أنسيتموني.

زيد: من علقمه.. أين كنت.

علقمة: لقد كنت قريبا منكما استرق السمع لما تقولان.

(نسمع تحركات المسلمين ومسيرهم إلى وادي القرى.. ثم نسمع أصوات.. تهليل وتكبير.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ونسمع أحتدام معركة بين المسلمين ويهود وادى القرى وأناث جرحى وسقوط قتلى وصوت يقول):

صوت: الله اكبر هذا الزبير بن العوام يقتل فارسا من فرسان يهود واد القرى.

صوت: الله أكبر... هذا علي بن أبي طالب يجندل فارسا يهوديا آخر.

صوت: الله اكبر.. هذا أبو دجانة الأنصاري يطيح برأس فارس ثالث.

أصوات: الله أكبر الله أكبر.. أذعن يهود وادي القرى واستسلموا.

(سكون مطبق.. ثم صوت زيد يقول):

زيد: لقد استسلم يهود وادي القرى بعد أن قتل منهم أحد عشر رجلا غير العشرات من الجرحى وقد صالحهم الرسول على مثل ما صالح به يهود خيبر.

سعد: لقد شفيت غلي من اليهود يا زيد فقد قتلت اثنين منهم أحدهم بضربة سيف والآخر بسهم أصاب ما بين عينيه فوقع على الأرض يتخبط في دمائه وقد ذفغت عليه حين وجدت به رهقاً.

زيد: لا شلت يمينك يا سعد.

(نقلة صوتية)..

صوت: يا معشر قريش. يا معشر قريش.. يا معشر قريش..

أحدهم: من هذا المنادي من جبل أبي قبيس.

الثاني: إنه حروان بن مسافع.

صوت: يا معشر قريش أن محمدا هزم اليهود في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك وصالحهم على أن يبقوا كعمال في أراضيهم التي أصبحت ملكا للمسلمين.

صفوان: يا معشر قريش لقد انفلت من بين أيديكم عدو الله حجاج بن علاط السلمي أما والله لو علمنا لكان له معنا شان.

سهيل: هيا يا صفوان.. اعد ما أخذته من إبلي..

صفوان: سأفعل... سأفعل...

حويطب: وأنت يا عباس بن رداس متى تعيد المئة بعير..

سهيل: باستهزاء وسخرية... ومتى تأتيني مراس محمد يا صفوان.

صفوان: بل قل متى نرى رأس مجندلا في ساحة مكة.. أن نجم محمد قد علا ونجمنا في أفول.

صوت صادر من بعيد: قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا..

الحلقة ـ ٦٣ ـ

صوت جهوري صادر من مكان سحيق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

(نقلة صوتية)..

سعد: أكنت حاضرا يا زيد خطبة رسول الله ﷺ في أصحابه هذا اليوم؟

زيد: نعم يا سعد.

سعد: ماذا قال؟

زيد: قال ما معناه: أيها الناس أن الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم.

سعد: وهل وضح الرسول كيفية اختلاف الحواريين علي عيسى بن مريم؟

زيد: نعم قال: دعاهم عيسى لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه قريباً رضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا كره وأبي فشكا ذلك إلى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم..

سعد: يلوح لي أنه ﷺ يرغب في ايفاد رسل إلى ملوك ورؤساء خارج الجزيره.

زيد: هذا ما توضحه الخطبة ويعززه أمره ﷺ بصنع خاتم يختم به رسائله للملوك.

سعد: صحيح يا زيد.

صوت جهوري: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

سعد: انظر يا زيد.. إن علقمة مسرع إلينا ولا شك أن لديه حصيلة من الأخبار..

علقمة: السلام عليكما.

زيد: وعليك السلام.

سعد: وعليك السلام.. ما وراءك يا علقمة.

علقمة: كل الخير.. لقد أوفد رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي برسالة إلى هرقل ملك الروم.

زيد: أتعرف محتوى الرسالة يا علقمة؟

علقمة: لا يا زيد.. ولكن الذي أعرفه أن الرسول أمر دحية بن خليفة الكلبي أن يدفع بالرسالة إلى الحارث ملك غسان وهذا سيوصله إلى قيصر الروم.

(موسيقى صاخبه.. وهرج ومرج ولغط.. وصوت الحاجب يعلن)..

الحاجب: سيدي ملك غسّان.. رسول من عند محمد بن عبد الله نبي المسلمين يستأذن في الدخول.. واسمه دحية بن خليفة الكلبي..

الحارث: ادخله..

الحاجب: أمرك مولاي.

الحارث: لعله رسول خير إلينا من محمد بن عبد الله.

دحية: السلام على من اتبع الهدى

الحارث: وعليك السلام.. اجلس يا أخا العرب.. هات ما عندك؟

دحية: إنني أحمل رسالة من رسول الله محمد ﷺ إلى هرقل ملك الروم وقد أمرني أن أدفع بها إليك لتوصلني بها إلى هرقل فإن لك في قلبه ﷺ مكانة ومنزلة خاصة..

الحارث: سنلبي رغبة محمد بن عبد الله والان قل لي يا دحية ما هي أخبار نبيك وحروبه المتصلة ومعركته الأخيرة مع يهود خيبر.

دحية: لقد انتصر الرسول ﷺ على اليهود في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك وقضى على سلطانهم في الجزيرة العربيه.

الحارث: لقد أثلجت صدري بهذه الأنباء يا دحية.. إن اليهود كالمرض الخبيث يجب أن يجتث من جذوره حتى يشفى المريض منه.

جبلة: أن هدنة العشر سنين التي عقدها محمد مع قريش قد دلت على بعد نظر محمد وعمق تفكيره وصائب رأيه كما أثبتت غباء قريش وسطحية من يسوسون زمام أمرها.

الحارث: كيف يا جبلة... قل وأوضح..

جبلة: إن هذه الهدنة وضعت محمدا موضع الند من قريش بعد أن كان في منزلة الثائر عليها... كما أعطته الفرصة الذهبية لنشر دعوته بعد أن أمن شر قريش.. إن قريشا نظرت إلى مصلحتها التجاريه أكثر من نظرتها إلى قوميتها وسيادتها... إنهم تجار حاذقون غير أنهم بلهاء مغفلون في السياسة.

دحية: صدقت أيها الأمير.. فقد دخل الناس أفواجا أفواجا في دين الإسلام حتى بلغ عدد المسلمين أضعاف أضعاف ما كانوا عليه قبل الهدنة.

الحارث: إنني أتطلع إلى اليوم الذي يوحد فيه محمد الجزيرة تحت راية العروبة.

دحية: والاسلام أيها الملك الهمام.

الحارث: والاسلام.. أنه يهمني أن يتوحد العرب تحت لواء العروبة أو الإسلام أو أي لواء.. المهم أن يتوحدوا ويكونوا يدا واحدة أمام أعدائهم المتربصين بهم الدوائر ويبنوا بسواعدهم أمجادهم.

دحية: أرجو لك العمر المديد أيها الملك حتى ترى ذلك اليوم العظيم.

الحارث: يا جبلة.

جبلة: مولاي.

الحارث: أرسل عدي بن حاتم الطائي مع دحية ليوصله إلى قيصر ملك الروم وزودهما بالنجب ومتطلبات هذه الرحلة.

جبلة: أمرك يا مولاي.

دحية: شكرا لك أيها الملك الهمام.

الحارث: رافقتك السلامة.

(لنفسه) يا إلهي.. متى يأتي اليوم الذي يتخلص فيه العرب من هذه التفرقة التي يعيشونها والخلافات التي يصطلون بنارها.. والكابوس الجاثم على صدورهم هنا في أرضي وهناك في أرض المناذرة. أيكون الخلاص على يد محمد بن عبد الله أيكون لهذا الدين الجديد الذي جاء به محمد شأن بعيد في هذا التوحيد.

من يدري..

(أصوات تهليل وتكبير..الله أكبر... الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر صدق وعده،.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده..)

(نقلة صوتية)..

صفوان: لقد علمت يا سهيل بن عمرو أن محمدا قد بعث برسائل إلى هرقل ملك الروم وكسرى ملك فارس والنجاشي إمبراطور الحبشة.. فماذا تكون محتويات هذه الرسائل؟

سهيل: وماذا تظن أنها تحتوي.. ماذا عند محمد؟ أليس غير دعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

صفوان: (ضاحكا).. أبلغت بمحمد الجرأة أن يخاطب قيصر الروم وكسرى الفرس أن أمر هذا الرجل عجيب يا سهيل.

سهيل: ولماذا لا نفتخر بما يفعل محمد.. أنه قريش منا والحمد لله الذي

بقينا حتى رأينا قرشيا يتجرأ فيبعث برسل إلى مثل هؤلاء الملوك الذين تنكسر أبصارنا عند رؤيتهم وتعنوا لهم جباهنا إن مروا بنا.

صفوان: أرى نفسك يا سهيل تعتمل بأحاسيس صبوة لعل لابنك أبي جندل يدا فيها.

سهيل: لا يا صفوان.. ولكني قرشي عربي واعتز بكل ما يأتي به أي عربي من عمل مشرف حتى لو كان عدوا لي.

صفوان: لا أظنه سفيان موجود حاليا في بر الشام وعسى أنه يفسد أي خطط يقوم بها محمد.

سهيل: لا أظنه يفعل.. فإنه لا يحقد على محمد كما تحقد أنت ـ ثم لا تنسى أن محمدا متزوج من ابنة أبي سفيان.

صفوان: أعرف ذلك ولكن كرهي لمحمد يجري في دمي.. وما يجري في الدم لا يمكن تصفيته الا بتفريغ الدم.. وهذا لا يكون إلا بقتلي.

(نقلة صوتية.. تسمع وقع حوافر خيل دحية بن خليفة الكلبي وعدي بن حاتم الذي نسمعه يقول):

هدى: ها نحن وصلنا يا دحية قصر هرقل ملك الروم في الشام.

دحية: يا لفخامة القصر وأبهته وكثرة حرسه وخدامه.

الحارس: قف.. من أنتما..

عدي: هذا رسول من عند نبي المسلمين إلى قيصر عظيم الروم وأنا دليله إليك.

الحارس: خذه إلى كبير الحراس أيها الجندي

(نسمع صوت مسيرهما إلى كبير الحراس)

كبير الحراس: ماذا عندك أيها العربي؟

دحية: إني أحمل رسالة إلى هرقل ملك الروم.

كبير الحراس: أعطني إياها وأنا بدوري أرفعها له.

دحية: لا.... أنني مكلف بتسليمها إليه بالذات.

كبير الحراس: أن القيصر مشغول في هذه الايام بأمر صلاة الشكر التي سيؤديها في أورشليم.

عدي: إنني موفد من قبل الحارث ملك غسان مع هذا الرجل.. فهلا مكننا من شرف المثول بين يدي القيصر.

كبير الحراس: لم لم تقل من قبل أيها الرجل أنك موفد من عند الحارث.. سأهيء لك وله مقابلة سيدي القيصر في الحال.. ولكن هنالك مراسيم للدخول على القيصر.

فهل هذا الأعرابي مستعد للقيام بها.

دحية: وما هي؟

كبير الحراس: إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى بأذن لك.

دحية: إني لن أفعل هذا أبدا لأني لا أسجد لغير الله تعالى.

كبير الحراس: اذن لن تدخل عليه ولن يؤخذ كتابك.

دحية: لن أسجد لغير الله تعالى.. ورسالة نبي سيهديني ربي إلى إيصالها للقيصر عن غير طريقك.

كبير الحراس: ذلك مستحيل.. ذلك مستحيل..

دحية: أن قدرة ربي تذلل المستحيلات.

(يذهبان ونسمع صوت خروجهما.. ثم نسمع صوت رجل يركض في أثرهما وهو يقول):

الرجل: قف أيها العربي قف..

عدي: من أنت أيها الداعي؟

الرجل: أنت عربي مثلكما.. إنني خزاعي الأصل.. وقد هاجر والدي منذ عشرات السنين إلى هنا.. واسمي عروة.. قولا لي.. ما خطبكما.

عدي: لدينا رسالة من محمد بن عبد الله نبي المسلمين إلى قيصر ملك الروم وقد اشترط كبير الحراس أن يسجد رفيقي هذا حينما يمر به ملك الروم عند تقديم الرسالة فأبي وأصر كبير الحراس على طلبه.. وتمسك رفيقي برأيه.

عروة: هين أمرك يا أخي.. رسالة محمد بن عبد الله ستصل إلى القيصر رغم أنف كبير الحراس.

دحية: كيف السبيل إلى ذلك يا عروة؟

عروة: أن على كل عتبة من قصر هرقل منبرا يجلس عليه للاستراحة في طريق صعوده للقصر فدع صحيفتك تجاه المنبر فإن أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها.

دحية: ولكني غريب وأخشى أن يمنعني حراسه إذا رأوني أفعل ذلك.

عروة: لا عليك يا هذا.. إنك في بلد عربي.. كل من فيه يشبهك في شكلك وملبسك وسأذهب معك لأدلك على ما يجب أن تفعل.

دحية: جزاك الله عني كل خير.

عروة: إن اسم محمد بن عبد الله هو على لسان كل عربي في هذه الجهات..

إنهم يرون فيه المخلص لهم والمحرر لهم من طغيان الروم وجبروتهم.. أن الناس هنا يتحدثون أن هرقل إنما جاء إلى الشام بقصد الوقوف عن كثب على كنه هذه الدعوة التي يدعو بها محمد بن عبد الله ومبلغ سريانها بين القبائل العربية القاطنة على تخوم إمبراطوريته..

دحية: ولكن كبير الحراس قال إنه جاء ليؤدي صلاة الشكر في أورشليم بعد أن نصره ربه على الفرس.

عروة: هذه تعمية وتظاهر ولكن الحقيقة هي ما قلت لك أنه يخشى على سلطانه من محمد بن عبد الله.

دحية: الحمد لله... الحمد لله..

الحلقة ـ ٦٤ ـ

عروة: والآن ها نحن قد وصلنا إلى عتبة القصر.. وها هو المنبر الذيب يجب أن تضع عليه الرسالة وتنتظم مع المنتظرين مرور هرقل تقدم يا أخي وضعها.. لا تخف.

دحية: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء..

عروة: حسنا فعلت يا دحية.. لقد وضعت الرسالة حيث يجب أن توضع.. هيا نتفيأ ظلال هذه الشجرة ريثما يمر هرقل في طريقه إلى القصر.

دحية: أيطول انتظارنا يا عروة؟

عروة: لا يا أخا العرب.. أين رفيقك بالأمس.

دحية: أتعنى عدي بن حاتم..

عروة: نعم..

دحية: لقد عاد من حيث أتى بعد أن أسلمني إليك.

(يسمع ضجيجاً وهرجاً ومرجاً ولفظاً وجموعاً تزحف فيقول عروة):

عروة: أنظر إلى هذي الجموع إنها تساق كالأنعام لتحي هرقل حين مروره.

دحية: ومن يسوق هذه الجموع يا عروة؟

عروة: إنهم حكام هرقل المنافقون.. إنهم يستأجرون هذه الغوغاء بالدراهم لتصفق لهرقل حين مروره ولتدخل في روعه مبلغ إخلاص هذا الشعب ووفائه له.

دحية: وهل الاخلاص والوفاء يستأجران في هذه البلاد؟.

عروة: نعم يا دحية.. إننا هنا نعيش حياة كلها خداع وغش.. ودس ومكر وإلحاد وكفر.. إنّ عقلاءنا ينتظرون الفرج من عند الله ويتطلعون في لهفة وترقب إلى محمد بن عبد الله فقد يكون على يديه انقشاع هذه الغمة وانفراج هذه الأزمة.

دحية: ابشر يا أخا العرب سيكون خلاص هذه الأمة من محنتها على يد الرسول محمد ﷺ.

عروة: ﷺ.

دحية: أمسلم أنت يا أخي.

عروة: لا يا أخا العرب ولكني وجدت لساني يدافع مما نفسي. يقول ﷺ.

دحية: ولم لا تهتدي بما جاء به محمد ﷺ.

عروة: كيف السبيل إلى ذلك.. قل لي..

دحية: قل معي: أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله.

دحية: هنيئا لك بالهداية يا أخي عبارة بسيطة خرجت بها من الظلمات إلى النور ومن دياجي الشرك إلى إشراقة الإيمان.. سأعلمك يا أخي ما بقيت ما يجب أن تعرفه عن هذا الدين..

عروة: جزاك الله عني خير الجزاء.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

دحية: لقد طال وقوفنا مع هذه الجموع المحتشدة.

عروة: هل تفعلون مع محمد كما نفعل نحن مع قيصر الروم.

دحية: ((ضاحكا)) لا يا أخي.. أن نبينا يعيش كأحدنا لا فرق بيننا وبينه في المأكل والمشرب والمسكن.. إنه يسكن بيتا من اللبن يكاد رأسه يدق بسقفه كلما دخله.. إنه يلبس الثوب الخشن والكساء البسيط كأي فرد من إخوانه المسلمين.. إنه كثيراً ما ينام في العراء وفي المسجد لا حارس ولا رقيب إنه يعصب على بطنه الحجر من الجوع عندما لا يجد ما يأكله، شعاره لتواضع والتقوى والمحبة والاخوة والدعوة إلى توحيد كلمة المسلمين تحت راية الإسلام والتخلق بمكارم الأخلاق.

عروة: ما أروع ما تقول يا أخي.. أين محمد من هرقل الذي يعيش مترفا في أبراجه العاجية وقصوره العالية وبين حشد من الجند والخدم والحشم يأكل في أوان من الذهب والفضة ويجلس على أرائك موشاة بالذهب ومطعمة بالأحجار الكريمة وينام على سرر وثيرة الرياش والفراش شعاره البطش والفتك والفسق والمجون والغش والخداع ونهب أموال الشعوب وتكديسها في خزائنه الخاصة.

دحية: ما اجتمعت هذه الأمور في أحد أوأمة الا وكان نصيبه أو نصيبها الدمار والهلاك..

عروة: أجل.. إننا نترقب الوعد الحق بفارغ الصبر..

(صوت أبواق وتغير وتحركات جنود.. ثم وقع حوافر خيل وعربة تجرها عدة خيول.. وتصفيق حاد وهتافات مدوية).

الهتاف: (عاش قيصر ملك القسطنطينية وانطاكية وأورشليم.. مرحى ملك الروم مرحى مرحى.. مرحى)..

الجموع: تردد الهتاف وتشفعه بالتصفيق الحاد المدوي.

عروة: هذا هو هرقل يا دحية.. انظر كيف تسجد له الجموع عندما تمر مركبته بهم.

دحية: لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا يجوز السجود الا لله تعالى.

عروة: إن من لا يسجد حين يمر القيصر به يعاقب بالاعدام شنقا

دحية: يا الله ما أبشع حياة الظلم التي تعيشونها..

عروة: لقد مر القيصر.. هيا بنا نقترب من المكان الذي سيجلس فيه.. إنهم سينادونك إذا أخذ رسالتك فهيىء نفسك للمقابلة..

دحية: نحن على أتم استعداد..

(نسمع موسيقى ثم صوت بوق ونفير وصوت الحاجب يعلن..).

الحاجب: جلالة ملك القسطنطينية وانطاكية وأورشليم وملك الروم.

هتاف: يحي القيصر.. يحي القيصر.. يحيا... يحيا... يحيا..

«تردد الجماهير الهتاف وتشفعه بالتصفيق الحاد»

عروة: ها هو القيصر يجلس للناس.. انظر إني أراه يتطلع إلى رسالتك.. لقد تناولها.. ها هو يسلمها إلى الترجمان الذي يسر إليه بشيغ.. انظر... إنه يدعو الحاجب ويصدر إليه أمرا.. بعد أن يسلمه الرسالة.

(يعلن الحاجب بصوت عال قائلا وهو يمسك بالرسالة ويرفعها).

الحاجب: من صاحب هذه الرسالة.. فليمثل أمام القيصر.. فليمثل أمام القيصر.. ليمثل أمام القيصر..

عروة: أسرع يا دحية إليه وعرفه بنفسك.

دحية: «يصرخ من بين الحاضرين» يا أيها المنادي.. يا أيها المنادي إنني حامل هذه الرسالة إنها من محمد رسول الله ﷺ إلى ملك الروم.

الحاجب: أقدم تشرف بالمثول بين يدي قيصر الروم.

(يمشي دحية وعندما يواجه القيصر يقول):

دحية: السلام على من أتبع الهدى.

قيصر: وعليك السلام.. هل أنت حامل هذه الرسالة.. ما اسمك.

دحية: نعم وأسمي دحية بن خليفة الكلبي.

قيصر: هل أنت رسول من عند مدعي النبوة محمد؟

دحية: لا أيها الملك إني رسول من عند نبي صادق أمين بعثه الله رحمة للعالمين.

قيصر: سننظر في أمر رسالتك غدا.. أيها الحاجب.

الحاجب: أمر مولاي.

قيصر: خذ هذا الرسول إلى دار الضيافة وأت به الغداة عندما ينتظم مجلس العرش.

الحاجب : أمر مولاي.

(نقلة صوتية وصوت همهمة وغمغمة من الجماهير الحاضرة وصوت يقول):

صوت: لقد كان هذا العربي ثابت الجنان حاضر البديهة حلو البيان.

صوت آخر: إنه ممن منبع اللغة العربية ومهدها..

صوت ثالث: إنه لم يسجد لقيصر حين دنا منه بل سلم عليه كما لو كان يسلم على أي شخص عادي.

صوت رابع: أنسيت أنه مسلم؟.. والسجود عند المسلمين محرم لغير الله.

صوت خامس: يلوح لي أنك مسلم بأمر هذا الدين الجديد الذي ظهر به محمد بن عبد الله في الجزيرة..

صوت سادس: أني أتعاطى التجارة مع القرشين وبعض المسلمين الذين يفدون إلى هذه البلاد.

صوت سابع: إن هذه الانتفاضة الجديدة سيكون فيها القضاء على الظلم والاستعباد.

صوت ثامن: إنها فجر جديد يبزغ في سماء الجزيرة ثم يمتد رواقه لتستظل به العرب هنا وفي كل مكان.

صوت: صه يا بشر.. صه.. أما تخشى عيون الروم.. إنهم منتشرون بين ظهرانينا اليوم أكثر من أي وقت مضى.

صوت: سيأتي اليوم الذي نفقأ فيه هذه العيون وأسياد هذه العيون.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

قائد الشرطة: انطلقوا أيها الجنود وابحثوا في أرجاء أورشليم عن العرب الموجودين فيها وآتوني بهم جميعا.

(نسمع وقع اقدام وهم يخرجون).

قائد الشرطة: جوليوس... ممن تلقيت الأمر بالقبض على العرب الموجودين في أورشليم من القادمين من الجزيرة حديثا..

جوليوس: من قائد حرس القيصر.. إنه يريد من القبض على العرب حاليا في أورشليم أن نستقصى عمن يكون بينهم من هو أقرب نسبا وصلة بمحمد مدعي النبوة بالجزيرة.

قائد الشرطة: أن أمر هذا النبي يقلق بال القيصر والامبراطورية جميعها.

جوليوس: لقد بعث هذا النبي موفدا من عنده برسالة إلى القيصر وقد أكرم القيصر لقاء الموفد وانزله في ضيافته وأمر باحضاره غدا عندما يلتئم مجلس العرش.

قائد الشرطة: إن هذا الاهتمام البالغ برسول محمد يدل على قلق القيصر من هذا المدعي للنبوة.

شرطي: «يدخل بعد اداء التحية يقول» لقد قبضنا على جميع العرب القادمين حديثا من الجزيرة وهم بالباب.

قائد الشرطة: ادخلهم في الحال.

(نسمع أصوات دخولهم ثم صوت قائد الشرطة يقول):

انتخبوا بينكم من نوجه إليه السؤال ليجيب نيابة عنكم.

أصوات: إننا ننتخب أبا سفيان بن حرب ليتكلم نيابة عنا.

قائد الشرطة: حسناً فليكن.. يا أبا سفيان.

أبو سفيان: نعم أيها القائد؟

قائد الشرطة: من من الحاضرين معك من العرب يمت بصلة وثيقة إلى مدعي النبوة محمد.

أبو سفيان: ولم هذا السؤال؟.. إن كثيراً من الحاضرين تربطهم بمحمد وشائج قربى ونسب.

قائد الشرطة: إني أريد أن أعرف من منكم أشد قربى ونسباً إليه؟

أبو سفيان: إنني أنا أقربهم نسباً إلى محمد.

قائد الشرطة: حسناً.. تبقى الليلة ضيفا عندي وسترسلك غدا إلى قيصر ملك الروم.

أبو سفيان: وهل أستطيع أن أعرف شيئا عن أسباب هذا الطلب؟ إنه ليشرفني أن أمثل بين يدي القيصر.

قائد الشرطة: ما السائل بأعلم من المسؤول.. إني أجهل السبب كما تجهله أنت..

أبو سفيان: حسناً.. حسناً.. فليكن ما شاء القيصر.

قائد الشرطة: أما أنتم أيها العرب فانصرفوا من حيث أتيتم..

«نسمع أصوات انصرافهم»

أبو سفيان: أن لي من بين هؤلاء العرب رفاقاً أرجو أن يكونوا معي عند المثول أمام القيصر

قائد الشرطة: سيكونون معك كن مطمئنا.. شرطي ... شرطي... خذ أبا سفيان وأجمعه بأصحابه وأنزل الجميع في إحدى دور الضيافة.

أبو سفيان: عم مساء أيها القائد.

قائد الشرطة: عم مساء أبا سفيان.

(نسمع صوت خروجه ثم صوت القائد يقول):

جوليوس... جوليوس...

جوليوس: نعم.. سيدي القائد.

قائد الشرطة: ضع حرساً قوياً حول دار الضيافة التي سينزل بها أبو سفيان وأصحابه وراقبهم.. حذار أن يفر منهم أحد.

الحلقة ـ ٦٥ ـ

(نقلة صوتية)..

أبو سفيان: والله ما أدري يا بن نوفل ماذا يريد منا قيصر الروم

ابن نوفل: لعله في أمر محمد..

أبو سفيان: وهل وصل محمد إلى أسماع هرقل حتى يهتم به هذا الاهتمام.

ابن نوفل: أن الغزوات التي قام بها محمد لشمال الجزيرة ومحاولته اخضاع القبائل العربية المتاخمة لحدود مملكة هرقل هي ولا شك التي نقلت أخبار محمد إليه.

أبو سفيان: والله وأمي محمد حتى باتت تتحدث باسمه القياصرة.

ابن نوفل: اقول لك الحق يا أبا سفيان.

أبو سفيان: قل ولو أن الحقيقة تجرح أحيانا.. قل..

ابن نوفل: إني فخور بمحمد كقرشي منا يتردد اسمه على كل لسان بالرغم مما بيننا من العداوة كما تعرف..

أبو سفيان: أن قيمة الرجال لا يقدرها غير الرجال ومحمد وان كان عدوي إلا إني أقدر له ثباته على مبدئه واستماتته في الدفاع عن عقيدته وها هي الأيام أراها تسير في ركابه.

(اصوات أبواق ونفير.. وجلبة جند وسلاح واصوات تصفيق حاد ومنية جنود وصوت الحاجب يعلن).

الحاجب: إمبراطور الروم.. ملك القسطنطينية وانطاكية وأورشليم..

أصوات: يحيى الامبراطور... يحيى الامبراطور.. يحيا... يحيا..

(تصفيق حاد... وهمعمعة وأصوات مبهمة... ثم سكون مطبق)..

القيصر: شكرا... شكرا... اجلسوا... اجلسوا..

(نسمع أصوات جلوسهم من تحركات المقاعد والأرجل)

القيصر: يا عظماء الروم.. لقد جمعتكم اليوم لأطلعكم على الرسالة التي بعث بها إلي مدعي النبوة في الجزيرة العربية.

أحد الحاضرين: هل يأمر مولاي القيصر بأن تتلى علينا الرساله؟

القيصر: ستكون تلاوة الرسالة بعد أن تروا رسول مدعى النبوة وبعض العرب الذين يمتون إلى هذا الداعي بصلة القربى والنسب... يا حاجب..

الحاجب: أمرك مولاي.

القيصر: أدخل جماعة محمد واجعل رئيسهم أمامهم يكونون من خلفه ثم ادخل رسول محمد واجعله في الجهة المقابلة لهم.

الحاجب: أمرك مولاي.

القيصر: يا عظماء الروم.. لقد كنت أطلعتكم في اجتماعات سابقة على

التقارير التي وردتنا من حكام المقاطعات المتاخمة للجزيرة العربيه وفيها أخبار عن مدعي النبوة محمد وصراعه مع أبناء عمومته وأقربائه وهجرته إلى يثرب وبداية ظهور أمره ثم غزواته للقبائل المجاورة لحدودنا.. وأخيراً فتكه باليهود في الجزيرة والقضاء على سلطانهم فيها.

أحد الحاضرين: يظهر أننا ومدعي النبوة هذا متفقون على كراهية اليهود ومستشعرون خطرهم وغدرهم وخيانتنهم.

الثاني: وإنه لمن غريب الاتفاق أن تكون بطشتنا باليهود القذرين في هذه الامبراطورية في الوقت الذي يبطش فيه بعض مدعي النبوة بهم في الجزيرة العربية..

(الحاجب يعلن دخول أبي سفيان وصحبه قائلا):

الحاجب: هذا أبو سفيان وجماعته.

(نسمع صوت دخولهم وجلوسهم وبعد ذلك نسمع صوت الحاجب يعلن):

الحاجب: هذا دحية بن خليفة الكلبي رسول محمد..

(نسمع وقع دخوله ثم صوته يقول):

دحية: السلام على من اتبع الهدى..

القيصر: وعليك السلام أيها الرسول... اجلس.. اجلس..

(همسات مبهمة وغمغمة وموسيقى انتقالية وصوت ابي سفيان يهمس إلى أحد أصحابه قائلاً):

أبو سفيان: ألم يجد محمد غير هذا الكلبي رسولا إلى قيصر الروم.

أحد أصحابه: صه يا أبا سفيان... أن القيصر يتطلع إلى ناحيتك.. وكأنما يريد أن يسألك.

(موسيقى خفيفة)..

القيصر: يا أبا سفيان... أأنت قريب نسب لهذا الذي خرج بأرض العرب وبزعم أنه نبي.

أبو سفيان: بلى.. يا ملك الروم.. إنه من أبناء العمومة.

القيصر: حسنا.. أدن مني.. كيف نسب هذا الرجل فيكم؟

أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

القيصر: هل ادعى النبوة أحد منكم قبل محمد هذا..

أبو سفيان: لا أيها القيصر..

القيصر: هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال؟

أبو سفيان: لا يا ملك الروم..

القيصر: هل كان من آبائه ملك..

أبو سفيان: لا أيها القيصر..

القيصر: كيف عقله ورأيه؟

أبو سفيان: لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط.

القيصر: هل أكثر أتباعه من الضعفاء؟

أبو سفيان: نعم من الضعفاء؟

القيصر: هل يزيدون أو ينقصون أو يرتد أحد منهم عن دينه عن كراهيه وعدم رضى بعد أن دخل فيه.

أبو سفيان: إن أتباع محمد يزيدون ولا ينقصون ولا نعرف أحداً منهم ارتد بعد أن دخل في دين محمد.

القيصر: هل يغدر إذا عاهد؟

أبو سفيان: لا.. ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها..

القيصر: كيف حربكم وحربه؟

أبو سفيان: سجال يوم لنا ويوم علينا.

القيصر: فما يدعوكم إليه؟

أبو سفيان: يدعونا إلى أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والمروءة والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

(موسيقى انتقالية)..

القيصر: يا أبا سفيان!

أبو سفيان: نعم يا ملك الروم.

القيصر: لقد سألتك عن نسب محمد فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

همهمة من الحاضرين وهمسات

القيصر: وسألتك عما سألت فكانت إجابتك جميعها تؤيد انه نبي وليس مدعيا للنبوة كما قيل وإنني أعلم من كتبنا أنه سيظهرني فإن كان ما حدثتني به حقا فإنه ليوشك أن يملك موضع قدمي هاتين.. أيها الترجمان اقرأ كتاب محمد بن عبد الله..

الترجمان: (يقرأ)... بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله...

إلى هرقل عظيم الروم.. سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد.. فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسين.. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.

(أصوات شغب وضجيج غير مفهوم ثم صوت القيصر يقول):

القيصر: أخرجو وفود العرب وضعوهم في إحدى دور الضيافة واكرموهم وانتظروا أمرا آخر مني.

(نسمع أصوات خروجهم.. وصوت أبي سفيان يقول):

أبو سفيان: لقد عظم أمر ابن أبي كبشه.. هذا ملك بني الأصفر يخافه..

(نقلة صوتية إلى مكان اجتماع القيصر بمن معه)..

يعود سماع الضجيج والهرج والمرح ثم نسمع صوتا يقول):

عم القيصر: ما هذا أيها القيصر.. لم تسمع بقراءة هذه الرسالة المهينة لك.

القيصر: وأية إهانة فيها يا عماه..

عم القيصر: أما ترى إنه ابتدأ باسمه ثم سماك صاحب الروم.. مزق هذا الكتاب والق به جانبا فإنه لا يستأهل أية اهتمام أو اجابة.

القيصر: إنك غريب في رأيك يا عماه.. أترى ارمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر وهو أحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم.. والله مالكي مالكه.

عم القيصر: لا يا هرقل.. إننا لا نرضى بما تقول.. إنها مذلة من عربي لا نحتملها ويجب أن يؤدب صاحبها حتى يعرف كيف يخاطب الملوك.

القيصر: لقد بعث إلي الحارث الغساني يستأذن في أن يقوم على رأس جيش لمعاقبة هذا المدعي بالنبوة.. ولكني لم أوافق.

أصوات: لماذا أيها القيصر.. لماذا..؟

القيصر: إنني أخشى أن يكون مصير هذه الحملة مصير الحملة الرومانيه التي تاهت في صحاري الجزيرة ودفنتها وما لها وقضت عليها سيوف سكان هذه الصحارى.

عم القيصر: ولكن لنا الآن بين القبائل العربيه على تخوم الشام أصدقاء سيكونون أكبر عوناً لنا في حملتنا هذه.

القيصر: العرب.. العرب... من يأمن للعرب... إن أول من ينتقض عليكم هم الغساسنة.. إنهم يريدون التخلص منا والتعاون مع أي زعيم عربي لتحريرهم ما هم فيه لقد أمرت الحارث أن يكون معي في زياتي للقدس ليشهد المهرجانات الدينية معنا فيها.. يا حاجب..

الحاجب: مولاي الملك..

القيصر: أغلق الأبواب علينا وامنع دخول أي انسان..

الحاجب: أمرك مولاي.

القيصر: يا معشر الروم.. هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي.

(هرج ومرج وضجيج ولغط وأصوات تعلو تهبط ثم تتضح وهي تصرخ):

أصوات: لا... لا.. لن نترك ديننا.. لن نتبع هذا الاعرابي.. افتحوا الأبواب.. اتركونا نهرب.. بديننا.. لا تفعل أيها القيصر.. لا تفعل.. لا تفعل..

القيصر: يا معشر الروم.. إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم..

أصوات: يحيا القيصر.. يحيا حامي النصرانية.. يحيا يحيا.. يحيا.. تصفيق حاد..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

زيد: لقد عاد دحية بن خليفة من سفارته إلى قيصر ملك الروم.

سعد: وهل جاء برد على رسالة النبي ﷺ.

زيد: نعم.. لقد علمت أن قيصر بعث برسالته يقول فيها أنه مسلم ولكنه مغلوب على أمره كما بعث بهدية مع دحية.

سعد: من كان يصدق أن مثل قيصر يرد هذا الرد على رسالة النبي ﷺ إن الروم كانوا ينظرون إلى العرب على إنهم قوم حفاة عراة يأكلون الضب والجربوع صناعتهم النهب والسلب والغدر والخيانة..

زيد: ألم تكن كذلك يا سعد قبل أن يهدينا الله للإسلام ويعزنا برسول الإسلام محمد ﷺ.

سعد: ﷺ. قل لي يا زيد.. هل من جديد عن رسل النبي ﷺ إلى كسرى والنجاشي والمقوقس في مصر..

زيد: لا يا سعد.. ولكننا ننتظر عودتهم في الأيام القريب..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى همهمة وغمغمة وأصوات مبهمة تدل على اجتماع هام وصوت حاجب كسرى يعلن):

الحاجب: هذا عبد الله بن حذافة السهمي رسول محمد بن عبد الله إلى الشاهنشاه كسرى انوشروان..

(نسمع أصوات أقدام جنود ودخول عبد الله بن حذافة السهمى وهو يقول):

عبد الله بن حذافة: السلام على من اتبع الهدى؟

كسرى: وعليك السلام أيها العربي.. أيها الترجمان خذ منه رسالته واقرأها علي.

(يأخذ الترجمان الرسالة ويقرؤها):

الترجمان: (يقرأ).. بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس الذين هم أتباعك.

الحلقة ـ ٦٦ ـ

(يستشيط كسرى غضبا ثم يخبط على منضدة أمامه ويصرخ)..

كسرى: أنا الشاهنناه كسرى أنوشروان.. يخاطبني هذا الأعرابي بمثل هذا.. أخرج أيها الرسول.. عليك لعنة النار والمجوس.. هاتوا الرسالة لأمزقها.. هاتوها..

(نسمع صوت تمزيقه الرساله ونسمع خروج عبد الله بن حذافة السهمي وركوبه فرسه وسيره.. ثم صوت كسرى يقول):

كسرى: أكتب أيها الترجمان إلى عاملنا في اليمن بازان بأن يأتيني برأس هذا الذي خرج بالحجاز ويزعم أنه نبي وهدد بازان بالموت إن لم يفعل ما آمره به.

الترجمان: أمرك يا مولاي.

كسرى: يا حاجب.

الحاجب: أمرك مولاي!

كسرى: ارسل من يسأل إن كان حامل هذا الكتاب ما يزال ببابنا.

(نسمع أصوات همهمة وغمغمة وهمسات بين الحاضرين نتبين منها صوتاً يخفت في إذن جاره)..

الصوت: إن كسرى يريد أن يرهب العرب بهذه القضية المفتعلة إن رسالة محمد ليس فيها ما يثير كل ذلك.

صوت آخر: إنه بهذه القضية يريد أن يخفف آثار هزائمه أمام قيصر الروم وبراعة السيف في الميدان..

صفوان: إنكم قدوتنا الصالحة يا عماه.

خالد: بورك فيك يا بني وبورك لبني مخزوم في فارسها..

صفوان: والآن ماذا ترون أن نفعل في غياب أبي سفيان

سهيل: إننا ملزومون بتنفيذ صلح الحديبية.. ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نتخذ الحيطة لكل شيء.. وقريش غنية برجالها الصناديد وفتيانها الأشداء.

صفوان: إذن يجب أن نستعد لأي طارىء وأن نهيء الخيام لتضرب في التلال المجاورة لمكة حتى نفرغ إليها حين يأتي محمد.. وإن يكون رجالنا على أهمية القتال عندما تلوح أية بادرة للغدر من محمد.

سهيل: هذا رأي سديد يا صفوان.

صفوان: إذن تولَّ أنت يا سهيل تنفيذ التزاماتنا بصلح الحديبيه.

(نقلة صوتية)..

زيد: يا لفظاعة ما أقدم عليه كسرى.. لقد مزق رسالة النبي ﷺ وطرد حاملها.

سعد: ألم تكن حاضراً حين دعا الرسول ﷺ على كسرى؟

زيد: لا.. وماذا قال؟

سعد: لقد كان الزحام حول الرسول شديدا حين عاد عبد الله بن حذافة السهمي من عند كسرى فلم أسمع بالضبط ما قال ولكن أذني وعت قوله ﷺ: اللهم مزق ملكه كل ممزق.

زيد: إن عداء كسرى للعرب فظيع جداً.. إن تاريخه وتاريخ آبائه حافل بصنوف الاضطهاد والتنكيل للعرب.. ولعل أفظعها هو حادث النعمان بن المنذر ملك الحيرة فقد غدر كسرى به وقتله شر قتلة.

سعد: ستستجاب دعوة الرسول وستشهد الأيام القادمة تمزيق مملكة كسرى كل ممزق.

زيد: أنظر ها هو علقمة مسرع إلينا..

سعد: إنه لا يسرع الخطى إلا إذا كانت جعبته عامرة بالأخبار.

علقمة: السلام عليكما.

زيد وسعد: وعليك السلام يا علقمه.. مالك تلهث؟

زيد: إنه يلهث قد ثقل جعبته بالأخبار.

علقمة: (ضاحكا معها) لقد جاء وفد من قبل بازان عامل كسرى على اليمن ومعهم رسالة منه إلى النبي ﷺ.. وبعد أن فض الرسالة أمر أن يؤخذ الوفد إلى دار الضيافة ويؤتى بهم صباح الغد ليحملوا جوابه على رسالة بازان.

سعد: وماذا كان فحوى الرساله يا علقمه.

علقمة: كانت تهديدا من كسرى نقله عامله بازان إلى النبي ﷺ.

زيد: أيظن كسرى إننا نخشى تهديده.. لقد غاب عنه أن قلوبنا تتفجر بقوة دافقة لا تنضب تلك هي قوة الايمان.. تلك هي حب الجهاد في سبيل الله.

علقمة: أتدريان ماذا قال وفدا بازان للنبي ﷺ

زيد: لا يا علقمة.. قل..

علقمة: قال له: شاهنشاه كسرى بعث إلى عامله بازان باليمن بأن يبعث إليك من يأتي بك، وقد بعثنا بازان إليك فإن أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك.

زيد: قاتلهم الله. قبح ما جاؤوا به أيظنون أن النبي ﷺ ليس وراءه أحد..

سهد: إن خالقه سيحميه.

زيد: ونحن المسلمين من ورائه بعد الله نغديه بأموالنا وأرواحنا.

علقمة: هيا بنا ننظر بم يجب ﷺ هذا الوغد.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

(همهمة وغمغمة وأصوات تدل على اجتماع ثم صوت زيد يقول):

زيد: ها هم أفراد الوفد يغادرون مجلس الرسول ﷺ.

علقمة: لقد جئنا متأخرين.. هلما نسأل.. ها هو جابر يخرج من عند الرسول ﷺ. هيا إليه نسأله.

سعد: السلام عليك يا جابر.

جابر: وعليكم السلام.

علقمة: أرى وفد بازان عامل كسرى يعود أدراجه فماذا تم معهم.

جابر: لقد زودهم الرسول ﷺ إلى عامل كسرى جاء فيها ما معناه: إن ربي قد قتل ربكم فقد سلط على كسر ابنه فقتله في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى.

زيد: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.. إنني على يقين تام بأن كسرى قد هلك فعلا كما أخبر الرسول ﷺ.

الجميع: ﷺ.. وهل عند أحد منّا شك في ذلك.

(نقلة صوتية وصوت يقول):

الصوت: وفد من ثقيف يا صفوان.

صفوان: يا مرحبا إلي بهم.

غيلان: عموا صباحاً يا معشر قريش.

صفوان: عم صباحاً يا غيلان وأنتم يا وجوه ثقيف.. نزلتم أهلاً ووطئتم سهلاً..

غيلان: بورك فيك يا صفوان.. لقد جئنا ننشدكم هل عندكم علم بوفد بازان

عامل كسرى على اليمين إلى محمد بن عبد الله. لقد مر بنا هذا الوفد قبل مدة يسأل عن مكان محمد فارشدناهم إلى يثرب.. فهل جاءكم شيء عن مهمة هذا الوفد؟

صفوان: لا.. إننا نسمع بمرور هذا الوفد بالطائف لأول مرة منكم.. كل ما نعلمه أن محمدا أرسل رسلا إلى هرقل ملك الروم وكسرى ملك الفرس والنجاشي ملك الحبشه.

غيلان: ألم تأتكم أنباء عما لاقته هذه الرسل؟

صفوان: لا... ولكني أميل إلى أنهم سيرجعون بردود سيئة من هرقل وكسرى.. أما النجاشي فميوله مع محمد وأصحابه منذ هجرتهم الأولى للحبشه كما تعلمون.

غيلان: إن أمر محمد يستطير وقد أصبحنا لا نأمن من شده.

صفوان: يا غيلان لو تتفق ثقيف وقريش على حرب محمد ستغير مجرى الحوادث ولن يفلت محمد من أيدينا وستكون نهايته حتميه لو يتحقق ذلك..

غيلان: أن الانتصارات التي يحققها محمد تلح في هذا الاتفاق وتدعو إليه ولكن أنتم الآن في هدنة مع محمد لعشر سنوات وأي اتفاق بيننا سيفسره محمد بأنه نقض للهدنة.

صفوان: إننا مستعدون لنقض الهدنة إذا رأينا أن فيها الوسيلة للقضاء على محمد.

غيلان: نحن نرحب بأي تقارب يدفع عنا بلاء محمد.

صفوان: سنتدارس هذا الرأي مع أبي سفيان عند عودته

غيلان: وثقيف ننتظر تزويدها بما يجد عندكم من أخبار محمد ووفود محمد.. عموا صباحاً.

صفوان: عموا صباحاً.. رافقتكم السلامه.

(نقلة صوتية مسبوقه بموسيقى)..

(في مجلس بازان عامل كسرى على اليمن).

بازان: ادخلوا وفدنا القادم من عند محمد.

رئيس الوفد: لك المجد والرفعة أيها الأمير

بازان: بورك فيكم.. هاتوا ما عندكم من أخبار محمد.

رئيس الوفد: لقينا رجلاً يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر.. إذا تكلم انتثر الكلام من فيه كالدرر.. أعطي جوامع الكلام لا فضول فيما يقول ولا تقصير فيما يتحدث.. لين الجانب.. جم التواضع محبوبا من أصحابه إلى درجة العباده.. رحب الصدر واسع الحلم.. يجلس بين أصحابه وكأنه واحد منهم لا فرق بينه وبينهم إلا بما أوتي من سمو الخصال... إذا تكلم أطرق جلساؤه وانصتوا وكأنّ على رؤوسهم الطير.

بازان: إن هذه الصفات إن صدقت يا هذا صفات الأنبياء قل لي.. هل غضب حين قرأ التهديد.

رئيس الوفد: لقد قابل التهديد بالهدوء ورحابة الصدر مع أن وجوه أصحابه كان الغضب يتردد فيها... وقال لنا ارجعوا إلي غد لأحملكم جوابي ثم أمر بانزالنا في دار الضيافة.

بازان: هات الرساله.

رئيس الوفد: تفضل يا سيدي.

بازان: إن كان محمد نبياً حقاً فسيصدق ما أخبر به عن قتل كسرى.

(الحاجب يعلن):

الحاجب: رسول من عند شاهنشاه كسرى..

بازان: ادخله في الحال.

(نسمع صوت دخوله ثم صوت بازان يقول):

هات ما عندك

الرسول: رسالة من شاهنشاه كسرى شيرويه.

بازان: يا أمير السر فض الرسالة واقرأها.

أمير السر: (يقرأ) من شاهنشاه كسرى شيرويه إلى عاملنا المحترم بازان في اليمن.. أما بعد: فقد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس فإنه قتل أشرافهم وانزل بفارس الهزائم المنكرة أمام الروم بمعاملته السيئة وسياسته الخرقاء فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه.

بازان: هل قتل كسرى يوافق ليلة الثلاثاء لعشر مضين من شهر جمادي الأولى بالتقويم العربي.. أحسب ذلك يا أمير السر.. وقل لي.

أحدهم: لم ذلك أيها الأمير؟

بازان: سترى.. سترى..

الحلقة ـ ٦٧ ـ

أمين السر: شيء عجيب أيها الأمير أن الليلة والتاريخ يوافقان ما ذكرت.

بازان: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

رئيس الوفد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

بازان: أأسلمت حتى أنت يا رئيس وفدي إلى محمد!!

رئيس الوفد: نعم أيها الأمير لقد تأثرت أنت بمحمد عن بعد فأسلمت فكيف بي وقد شاهدته عن قرب ورأيت من آثار نبوته ما لا تستطيع عين أن تنكره ولا قلب أن يجحده.. كما أن من معي قد أسلموا أيضاً..

أصوات: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

بازان: الحمد لله... الحمد لله..

أصوات: الحمد لله. الحمد لله..

بازان: يا أزدشير!!

بازان: أكتب: من بازان عامل كسرى على اليمن إلى محمد رسول الله.. أما بعد.. فقد هداني الله بك إلى الإسلام.. أشهد أن لا إله إلا الله وإنك عبده ورسوله.. وقد خلعت طاعة كسرى وولاءه وليست طاعتك وولاءك.. فإن قبلت ولايتي عنك على اليمن فثبتني على ما أنا فيه وإن رأيت غيري أهلا لها فابعث إليّ حتى أسعد بأن أكون في رحابك وبين أصحابك المؤمنين المخلصين.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يأمركم بأن تتجهزوا للخروج إلى عمرة القضاء وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية عن الخروج.

زيد: هيا يا سعد نتجهز للخروج.

سعد: هيا يا علقمه... تجهز للخروج.

علقمة: إنني تجهزت أما تروني على قدم الاستعداد دائماً وأبداً.

زيد: ألا يريد النبي ﷺ أن يحتاط من غدر قريش به إذا دخلنا مكه ونحن عزل من السلاح إلا من سيوفنا المغمده.

علقمة: لقد علمت أن الرسول ﷺ جهز مئة فارس بقيادة محمد بن سلمة وأرسلهم طليعة له على ألا يتخطوا حرم مكة وأن ينحدروا إذا هم بلغوا مر الظهران إلى وادي قريب منها سعد: ما أعظمك يا رسول الله.. لقد حسبت لكل شيء حسابه.

تسمع أصوات الزحف.. وقعقعة السيوف.. ووقع حوافر الخيل ورغاء الابل وثغاء الهدي ثم نسمع صوتا يصرخ بلهفة وفزع.

الصوت: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. محمد ساق عليكم الفرسان المدججين بالسلاح لقد رأيت مئة فارس منهم في مر الظهران..

(هرج ومرج وأناس يركضون وصليل سوف وأسلحة وخيل ثم صوت صفوان يقول):

صفوان: يا قوم.. لقد سمعتم المنادي.. وها هو محمد قد أجلب عليكم بخيله ورجله فماذا أنتم فاعلون:

عكرمة: أرى يا عم أن ننهد لقتالهم.. وأن نقضي على طليعة مفرزة الخيل الموجودة في مر الظهران قبل أن يستكمل تلاحق جيش المسلمين واجتماعهم.

صفوان: رأي سديد يا عكرمة.. ما تقولون فيه يا وجوه قريش.؟

سهيل: نحن على أهبة الاستعداد يا صفوان للقتال في أي وقت تدعو إليه الحاجة وأرى قبل أن نبدأ مهاجمة طليعة محمد من الفرسان أن

نرسل وفداً إليه نذكره بشروط صلح الحديبية.. فإن لمسنا منه نية الغدر قاومناه وكنا معذورين أمام العرب إن نحن صديناه عن زيارة مكه.

صفوان: ولكني أخشى ألا نستطيع مقاومته إذا استكمل تجمع قواته.

سهيل: كن مطمئنا يا صفوان.. ففي قريش وفتيانها وأحابيشها ومواليها وحلفائها القوة الكافية لرد عدوان محمد.. إنما المهم الساعه أن ندفعه بالغدر والعدوان وأن تكون الحجة لنا عليه لا العكس.

صفوان: ماذا تقولون؟

حويطب: ما يقوله سهيل بن عمرو هو الصواب.. وإني وجماعتي نوافق عليه..

أصوات: نوافق على ما ارتآه سهيل.

صفوان: حسنا.. حسنا.. انتخبوا من بينكم وفدا لمقابلة محمد.

عباس بن مروان: أرى أن نبعث مكرز بن حفص على رأس وفد من قريش لهذه المهمة.

(تسمع أصوات تلبية المسلمين: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)..

زيد: انظرها هو علقمة يسرع إلينا وهو يلهث..

سعد: لعل جعبته حافلة بالأخبار.

علقمة: السلام عليكما..

الاثنان: وعليكم السلام..

سعد: ما لك تلهث؟

(الجميع يتضاحكون)..

علقمة: نعم. لقد أرسلت قريش وفدا على رأسه مكرز بن حفص لمقابلة النبي ﷺ

زيد: أعوذ بالله، ولماذا جاؤوا؟

سعد: هل يفكرون في صدنا هذه المرة أيضا عن زيارة البيت؟

علقمة: لا... لا... عندما رأيت قريش المائة فارس في مر الظهران ظنوا إننا سنغدر بهم فارسلوا وفدهم يتساءلون.. فطمأنهم النبي ﷺ.. فعادوا من حيث أتوا..

سعد: إذن سندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين ومقصرين.

علقمة: نعم... نعم.. أن شاء الله.

(تسمع أصوات التلبية.. ثم صوت المؤذن يقول):

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يأمركم بالمسير إلى مكة... لأداء العمرة.. هلموا يرحمكم الله.. هلموا أثابكم الله.

(تسمع أصوات التلبية: لبيك اللهم لبيك.. ومسيرة الزحف ثم صوت زيد يقول):

زيد: انظر يا سعد وأنت علقمة إلى المشركين يطلون علينا من سفوح جبل أبي قبيس والخندمه وأعالي مكة غيظاً وحنقاً..

(أصوات التلبية تشق عنان السماء مصحوبة بوقع أقدامهم وأصوات الهدى وتحركاتهم).

(نقلة صوتية)..

أحد المشركين: انظر إلى المسلمين.. لقد وهننتهم حمى يثرب..

الثاني: وهنتهم من أين يا خنفس.. تطلع إنهم يضطبعون بثيابهم.. ها هم يرملون.. وهم يطوفون.. انظر محمدا كالأسد يهرول منتصب القامة لم تحنه السنون ولا وكدته الأيام.

الثالث: ولا تستحي يا خنفس بعد هذا أن تقول أن حمى يثرب قد وهنتهم، لقد وهنتنا نحن سمائم مكه.. ولوافح قيظها ونيران حرها..

(نقلة صوتية)..

(أصوات المسلمين وهم يطوفون ومن ثم يسعون وصوت زيد يقول):

زيد: اضطبع بردائك واخرج عضدك الأيمن يا سعد وأنت يا علقمه.. أما تسمع رسول الله ﷺ يقول: اللهم ارحم أمرا أراهم اليوم من نفسه قوة.

سعد: حسنا يا زيد..

علقمة: سنفعل كما أمر الرسول ﷺ..

(نقلة صوتية)..

عمير: (بسخرية وهزء) كان أبو سفيان وصفوان بن أميه ومن لف لفهما يحدثوننا أن المسلمين في عسر وشدة وجهد.. فبالله عليك من هم في عسر وشدة وجهد.. ألسنا نحن المعسرين.. ألسنا نحن المنكوبين.. تطلع إلى منظر المسلمين الباهر في كل مكان وقل معي ألسنا نحن المنكوبين بزعامة أبي سفيان وصفوان..

مسافع: بلى يا عمير: إن الأيام تمشي في ركاب محمد وأصحاب محمد وإن قلبي ليحدثني أنهم سيفتحون مكه عاجلاً أو آجلاً يا عمير.

حفص: صدقت يا مسافع... أن ذلك ليس ببعيد.

المؤذن: (يؤذن لصلاة الظهر)

مسافع: أسمع مؤذنهم.. انظر إنهم يقفون في صفوف متراصة، كالبنيان المرصوص.. ها هو محمد يؤمهم.. هل هنالك منظر أروع وأشد أثرا في النفس من هذا المنظر؟

حفص: إنهم يعبدون إلها واحدا.. ونحن نعبد آلهة ليس لها حصر ولم تغن عنا شيئاً.

مسافع: ما رأيك.. أيسمعنا أحد..؟

حفص: لا ... قل...

مسافع: ما رأيك أن ندخل في دين محمد.. ونخلص مما نحن فيه من كبرياء وعنجهية أبي سفيان وصفوان.. إن التواضع والسواسية شعار المسلمين.. انظر... ها هم يجلسون مع محمد في صحن المسجد وهو كأحدهم لا فرق بينهم وبينه.. قل لي.. أتستطيع أن تجلس إلى أبي سفيان أو صفوان وتحدثه حديث الند للند..؟

حفص: لا والله.. لو فعلت لألهب ظهري بسياطه..

(نقلة موسيقية)..

أحد المهاجرين: انظر يا بن أسيد هنا كنت أسكن قبل أن أهاجر إلى يثرب.. وهناك كان والدي الذي استشهد في أحد يسكن.. وها هم كفار قريش يحتلون دورنا..

ابن اسيد: ابشر يا سالم فإن يوم فتح مكة آت لا محالة باذن الله.. ألم يبشرنا الله سبحانه وتعالى بذلك حين أنزل على نبيه قوله بعد بيعة الحديبية، لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة

فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً.. إن هذا الفتح القريب هو كما أرى بشرى من الله لنا بقرب فتح مكه..

سالم: إن شاء الله.. إن شاء الله.. لقد أثار دخولنا مكه في نفسي ذكريات وذكريات.. وهذا هو اليوم الثالث يكاد أن ينصرم وعلينا أن نغادر مكه عملا بشروط صلح الحديبية..

المؤذن: (يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يأمر بالتجهز لمغادرة مكة.. هلموا يرحمكم الله هلموا.. أثابكم الله..)

(تسمع أصوات تحركات جيش المسلمين وهمهمات وهمسات وأصوات تعلو وتهبط ثم صوت صفوان بني أمية يقول):

صفوان: ما حمدت شيئا مثلما حمدت موت أبي وأخي قبل أن يريا هذا اليوم الذي يدخل فيه محمد مكه دخول الفاتحين.

عكرمة: لقد كرمت الالهة يا عماه والدي أبا الحكم قبل أن يسمع صوت العبد بلال يؤذن من فوق ظهر الكعبة.

خالد ابن أسيد: نعم يا عكرمة وإنه لمن سعد والدي أن يموت قبل أن يشهد هذه الأيام الثلاثة يا عكرمة.

صفوان: لقد رأيت سهيل بن عمرو يغطي وجهه خجلا طوال الثلاثة الأيام التي بقي فيها محمد بمكه.

عكرمة: كان أبو سفيان أكثرنا حظا فغيابه في الشام كفاه عار الخزى الذي لحقنا في هذه الايام الثلاثة.

صفوان: أين خالد بن الوليد يا قوم..

عكرمة: لم يشأ أن يشهد دخول محمد وأصحابه مكه.. فغادرها إلى جهة بعيدة عنها..

صفوان: ربما لم يشأ أن يشاهد أخاه الوليد بين جموع المسلمين التي دخلت مكه.

عكرمة: إني أرى حنظلة حليف بني مخزوم يعدو إلينا مسرعا يواكبه اثنان من الموالي.

يدخل حنظلة وهو يلهث فيقول له صفوان بن أمية

صفوان: ما وراءك يا حنظلة.. أراك تلهث وكانك آت من مكان بعيد وأنت تركض

حنظلة: نعم يا قوم.. نعم.. لقد رأيت خالد بن الوليد يتجهز للخرج إلى المدينة.

عكرمة: إنك تكذب يا هذا.. لا.. أن هذا مستحيل..

حنظلة: أقسم باللات والعزى

«نسمع ابن الأعلام ينادي من أعلى جبل أبي قبيس قائلاً»:

ابن الأعلام: يا معشر قريش.. يا معشر قريش.. يا معشر قريش..

صفوان: من هذا الذي ينادي من جبل أبي قبيس..

سهيل: إنه ابن الأعلام يا صفوان

ابن الأعلام: وصلت قافلة الشام وعلى رأسها أبو سفيان

صفوان: هيا يا قوم للقاء أبي سفيان والقافلة...

الحلقة ـ ٦٨ ـ

سليمان: هذا كتاب يا والدي إليك من عمي الوليد بن الوليد.

خالد: فضه يا بني واقرأه علي.

سليمان: (يقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم.. أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام.. وعقلك عقلك.. ومثل الإسلام لا يجهله أحد مثلك.. قد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال: أين خالد؟ فقلت يأتي الله به. فقال ما مثله يجهل الإسلام فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحه والسلام على من اتبع الهدى..

خالد: (يتنهد) لقد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي أني من غير شيء وأن محمدا سيظهر..

سليمان: ما دمت يا والدي موقنا من أن محمدا سيظهر فلماذا لا تتبع محمدا فإنه خير من يقدر أمثالك من الرجال.

خالد: لقد نشطني للخروج وزادني رغبة في الإسلام كتاب عمك وسرتني مقالة محمد عني.. ولئن كنت يابني لا أصدق الرؤيا والأحلام ولكن ما رأيت في المنام كان شيئاً عجيباً.

سليمان: وماذا رأيت يا أبتاه؟

خالد: رأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.

سليمان: إنه حلم جميل يا أبتاه ربي اجعله خيراً..

خالد: هيا يا بني لقد أزمعت وأجمعت على الخروج إلى المدينة ولكن أريد

أن أرى زعماء قريش فلعلي أقنعهم كما قنعت هيا إلى صفوان ابن أمية..

سليمان: ألم تجد أحدا غير صفوان.. إن قلبه أقسى من الجلمود هيا يا أبتاه. هيا.

(نقلة صوتية)..

صفوان: يا مرحباً بك يا خالد.. لقد طال غيابك عنا وكنت ظننت أنك صبأت ففررت بصبوتك إلى محمد.

خالد: أن مثلي لا يعرف الفرار يا صفوان وها أنذا أجيء إليك وقد قررت أن أتحدث إليك قبل أن أخرج إلى المدينة..

صفوان: وماذا تريد أن تقول لي يا أبا سليمان.

خالد: يا أبا وهب أما ترى أن محمدا أظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا.

صفوان: (ساخرا) يا أبا سليمان لو لم يبق أحد غيري ما اتبعت محمدا أبدا.. لقد قتل أبي وأخي فكيف تصافح يداي يديه.

خالد: هيا يا سليمان فهذا الرجل موتور قد حجب الثأر نور الإيمان عن عينيه.. هيا إلى عكرمة بن أبي جهل..

سليمان: هيا يا أبتاه.. ألم أصدقك رأي في صفوان بن أمية.

خالد: نعم.. لقد صدقت فراستك فيه يا بني.

(يصادفهما جمع من رجال وشباب قريش فيقول أحدهم):

أحدهم: ما هذا الذي سمعناه عنك يا فارس بني مخزوم

خالد: وما هو الذي سمعته يا فتى؟

أحدهم: لقد سمعنا أنك تزمع الخروج إلى محمد بالمدينه.

خالد: يا بني وأنتم يا شبيب قريش وشبانها.. لقد استبان لكل ذي عقل أن محمدا ليس بساحر ولا شاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين.. فحق على كل ذي لب أن يتبعه..

أصوات: لا.. لا.. لن نتبع محمدا.. لن نترك آلهتنا ونعبد أله محمد.. لا يسحرك محمد يا فارس بني مخزوم.. لا يسحرك.. (يأتي عكرمة بن أبي جهل على صوت الجلبة فيرى خالد بن الوليد فيقول):

عكرمة: ما هذه الجلبة؟ ما هذه الأصوات؟

أحدهم: تعال أنظر يا عكرمة لقد صبأ فارس بني مخزوم.

عكرمة: أحقا صبأت يا خالد؟

خالد: لم أصبُ ولكني أسلمت يا خالد.

عكرمة: والله أن كان أحق قريش الا يتكلم بهذا الكلام لأنت.

خالد: ولم؟؟

عكرمة: لأن محمداً وضع شرف أبيك حين جرح وقتل عمك وابن عمك ببدر.. فوالله ما كنت لأسلم ولأتكلم بكلامك يا خالد.. أما رأيت قريشا يريدون قتاله؟؟

خالد: هذا أمر الجاهلية وحميتها.. لكن والله أسلمت حين تبين لي الحق.

صوت: يا أبا سليمان.. يا خالد.. أن أبا سفيان يدعوك إليه بدار الندوة.؟.

خالد: قل له إني قادم إليه.

عكرمة: هيا يا أبا سليمان فلعل أبا سفيان يستطيع أن يقنعك بالعودة إلى ما كان يعبد أباؤك.

خالد: هيهات.. هيهات.. لقد تبين الرشد من الغي وانجلى الصبح لذي عينين.

(نقلة صوتية.. مسبوقة بموسيقى)..

أبو سفيان: أهلا بأبي سليمان.

خالد: أهلا بك يا عم.

ابو سفيان: أحقاً ما بلغني عنك يا خالد.

خالد: نعم إنه حق يا عماه.

أبو سفيان: (بغضب) واللات والعزى لو أعلم أن الذي تقول حق لبدأت بك قبل محمد..

خالد: والله إنه الحق على رغم من ذلك.

أبو سفيان: (منفعلا) أتقولها ولا تخشاني.. ولا تحترم شيبتي.

عكرمة: مهلا يا أبا سفيان.. فوالله لقد خفت للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه.. أنتم تقتلون خالدا على رأي رآه.. وهذه قريش تبايعت عليه والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم..

خالد: هيا با بني.. اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

سليمان: إلى أين يا أبتاه..

خالد: إلى عثمان بن طلحة.. ولكن لا.. لا.. أن أباه طلحة وعمه

وإخوته الأولين قد قتلوا يوم أحد فإن فاتحته فسيكون جوابه مقذعا ولاذعا.

سليمان: من يدري يا أبتاه.. قد يكون أجمل ممن قابلت ردا ولقاء.

خالد: السلام عليك يا عثمان بن طلحة.

عثمان: وعليك السلام يا أخي وصديقي.. لقد أسفت واستشعرت بالغضب حين بلغني ما فعله أبو سفيان معك.. والله لولا أنه بمنزلة الأب منا لكان لي معه شأن من أجلك..

خالد: بورك فيك يا عثمان.. ما رأيك في الأمر الذي أقام قريشا وافقدها؟؟

عثمان: كنت أريد أن أفاتحك بشأنه ولكنك سبقتني إليه كعادتك سباقا إلى كل مكرمة.

خالد: لقد أخجلني ثناؤك يا أخي عثمان.

عثمان: إنه أهل للفضل.. قل لي أين نلتقي في طريقنا إلى محمد.

خالد: في الهدة فأينا سبق إليها انتظر الآخر..

عثمان: فليكن.. بسم الله عليه توكلنا، إليه أنبنا واليه المصير.

خالد: توكلنا على الله.. توكلنا على الله.

(نسمع حركة ووقع حوافر خيل وصوت خالد وابنه سليمان يرددان في خفوت).

بسم الله عليه توكلنا، إليه أنبنا واليه المصير.. أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

خالد: ها هي الهدة.. هيا ننح بها ننتظر عثمان بن طلحة.

سليمان: أمرك يا أبتاه..

(نسمع صوت نزولها وجلو سهما ثم نسمع صوت حوافر خيل.. ثم صوت خالد يقول):

خالد: سليمان.. سليمان.. أرى شبحا قادماً في الظلام أشرع سيفك وانتظر أمري.

(نسمع صوت إشراعها سيفيهما ثم صوت الشيخ يقول):

الشيخ: لا تشرع سيفك يا خالد.. إنني عمرو بن العاص.

خالد: أهلا بك يا عمرو ما جاء بك إلى هذا المكان.

عمرو: جاء بي الذي جاء بك.

خالد: يا بن العاص.. والله لقد استقام الميسم وان هذا الرجل لنبي فاذهب معي وأسلم فحتى متى ونحن سادرون في الغواية.

عمرو: لقد جئت لما جئت.. ولعل إسلامي قبل إسلامك يا أبا سليمان.

خالد: كيف قل لي.

عمرو: (يسمعان وقع حوافر خيل): إني أسمع وقع حوافر خيل فمتى يا ترى؟

خالد: إنه أخي عثمان بن طلحة فإني بانتظاره.

عمرو: أهو رفيقنا إلى محمد.

خالد: نعم.

(يصل عثمان)..

عثمان: السلام عليكم.

الجميع: وعليك السلام.

عثمان: من عمرو بن العاص.. أهتديت كما أهتدينا.

عمرو: نعم والحمد لله.

خالد: وقد سبقنا إلى الإسلام كما يقول..

عثمان: كيف.. أين بالله.

خالد: كان على وشك أن يقول قبل مجيئك..

عمرو: سأحدثكما في طريقنا إلى المدينة.. هيا بنا فقد انبلج الصباح.

(نسمع حركات سيرهم ووقع حوافر خيلهم.. وصوت عمرو يقول):

عمرو: عندما انصرفنا من معركة الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأي ويسمعون مني فقلت:

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

يا قوم... تعلمون والله أن أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي من الحبشة فإن ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب إلينا من يد محمد.. وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم إلا خير.

أصوات: إنه نعم الرأي يا عمرو.

عمرو: تعالوا نجمع ما يهدي إليه.. وإنكم لتعلمون أن أحب ما يهدي إلى النجاشي من أرضنا هو ألأدم.

أصوات: نعم.. لدينا منها الكثير الجيد.

عمرو: هيا إلى النجاشي. هيا..

(موسيقى صاخية ثم سكون مطبق ثم صوت الحاجب يعلن).

الحاجب: عمرو بن العاص على رأس وفد من قريش يلتمسون الأذن بالدخول.

النجاشى: فليدخلوا..

(نسمع صوت دخولهم وصوت عمرو يقول):

عمرو: باركتك الآلهة أيها المليك العظيم وحفظتك راعيا لشعبك المخلص.

النجاشة: انهض لا تسجد فالسجود لغير الله حرام.

عمرو: لقد جئتك أيها المليك بهدايا متواضعة من بلادي إنها بعض الأدم الجيده.

النجاشى: مرحباً بك يا صديقي وشكراً على هديتك اللطيفة.

عمرو: لقد رأيت عمرو بن أمية الضمري خارجا من مجلسك أيها المليك.

النجاشى: نعم.. لقد جاء بشأن جعفر بن أبي طالب والمسلمين الذين هم معه.. وقد أمرت بتجهيز سفينتين لنقلهم إلى الحجاز

عمرو: أيها المليك العظيم.. إن لي عندك رجاء وملتمساً.

النجاشي: قل ما هو؟

عمرو: إن عمرو بن أمية الضمري رسول عدونا محمد الذي أصاب من أشرافنا وخيارنا فهلا أعطيتنيه لأقتله بمن قتل محمد من قومي

(نسمع صوت حربة وصوت عمرو يقول):

اتضربني أيها المليك.. لقد كسرت أنفي.. والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألته.

النجاشي: تسألني يا عمرو أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي من سبقه من الأنبياء لتقتله؟؟

عمرو: كذاك هو أيها المليك.

النجاشي: ويحك يا عمرو اطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه.

عمرو: أفتبايعني له يا ملك الحبشة على الإسلام.

النجاشي: نعم.. ابسط يدك.. وقل معي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

عمرو: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الحلقة ـ ٦٩ ـ

(نقلة صوتية نسمع بعدها وقع حوافر الخيل وصوت خالد يقول):

خالد: إذن أسلمت على يد النجاشي يا عمرو.

عمرو: نعم.. ثم خرجت من عنده عامدا إلى المدينة وفي طريقي علمت من بعض فتيان قريش إنك يا خالد أيضا في طريقك إلى يثرب وها نحن نلتقي والحمد لله على طريق النور والهداية.

خالد: الحمد لله.. الحمد لله.

«هرج ومرج ولفظ وأصوات تعلوا وتهبط ثم صوت علقمة ينادي»:

علقمة: الي يا سعد.

سعد: ما وراءك من أخبار يا علقمة؟

علقمة: كنت عند رسول الله ﷺ وإذا بالوليد بن الوليد يخبره أن أخاه خالد وأبنه سليمان وعثمان بن طلحة العيدري وعمرو بن العاص قد جاؤوا للدخول في الإسلام فابستم ﷺ وقال لنا: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها هيا يا سعد نشهد إسلام خالد وصحبه.. هيا..

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى).

علقمة: ها هو خالد وصحبه يدخلون.. ها هو خالد يقول):

خالد: السلام عليك يا رسول الله.

علقمة: وها هو الرسول ﷺ يرد التحية بأحسن منها..

خالد: يا رسول الله إني أشهد أن لا إله إلا الله وإنك لرسول الله.

علقمة: وها هو الرسول يقول له: الحمد الله الذي هداك.. قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا خير..

خالد: يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك... وها هو الرسول يقول له: الإسلام يجبّ ما قبله.

(انظر يا علقمة ها هو خالد بن الوليد يبايع ثم يتبعه عثمان بن طلحة فعمروا بن العاص).

علقمة: لقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها.

(نقلة صوتية مسبوقة بموسيقى)..

أبو سفيان: ما تألمت لشيء في حياتي قدر تألمي لفعلة خالد وصحبه يا صفوان.

صفوان: أتعدها فعلة فقط يا أبا سفيان.. إنها خيانة عظمى لقريش.. إنها طعنة لكبريائها وسيادتها.

أبو سفيان : والله ما ندري من أين نتقي ضربات محمد.. لقد بدأ يستشعر القوة والسيادة وحق له أن يفعل من كان يصدق أن هرقل ملك الروم يصانع أحدا من العرب أو يحفل بأناس يسمون العرب.. لقد

تلمست في حديثه ووجهه شعارات الخوف والقلق من هذا الدين الذي جاء به محمد.

صفوان: ألهذا الحد يا أبا سفيان؟

أبو سفيان: أقسم لك أن هذا هو الواقع وان الدين الجديد هو تسبيحة على كل لسان وترنيمه في كل مكان في بر الشام.

صفوان: إنك مصدق عندي يا أبا سفيان.. بيد إني أتساءل كيف قتل الحرث بن عمير الأزدي رسول محمد إلى عامل هرقل على بصرى؟

أبو سفيان: قتله أعرابي من الغساسنة كان له ثأر عند قبيلة الأزد وقد دفعه اليه شرحبيل بن عمرو الفاني عامل هرقل على بصري.. وقد جاء اليوم من يخبرني أن محمدا يجهز حملة تأديبية لمن قتلوا رسوله..

صفوان: إن هذه الحملة ستجعل محمدا يدخل في صراع مسلح مع الروم وذلك لأنك في صالحنا.. انه سيوهن قواه أنه سيلقي قوما تمرسوا صناعة الحرب والقتال.

(نقلة صوتية)..

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يدعوكم للتجهيز إلى مؤتة. هلموا يرحمكم الله. هلموا أثابكم الله..

(أصوات مختلفة وضجيج وقعقعة سلاح وصليل سيوف ووقع حوافر وصوت علقمة يقول):

علقمة: هيا يا سعد نتجهز لهذه الغزوة.

سعد: هيا لنثأر للحرث بن عمير الأزدي الذي قتل هناك..

سمعت أن خالد بن الوليد سيخرج في هذه الحملة متطوعا ليدل بحسن بلائه في الحرب على حسن إسلامه.

(موسيقى الزحف وتسمع تحركات الجيش ثم صوت علقمة يقول):

علقمة: لقد سمعت النبي ﷺ يقول أمام قائدنا زيد بن حارثة أن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس»

سعد: الا تظن أنه ﷺ اطلع على مصارع هؤلاء؟

علقمة: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.. لقد سمعته أيضاً لا تقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ولا تهدموا المنازل ولا تقطعوا الأشجار كما سمعته يدعو لنا قائلاً: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا سالمين...

(نسمع تحركات الجيش... وأصوات مبهمة تعلو وتهبط ثم صوت زيد بن حارثة يقول):

زيد بن حارثة: لقد وصلنا معان فاذنوا لنزول.

المؤذن: يا معشر المسلمين... يا معشر المسلمين... يا معشر المسلمين أميركم زيد بن حارثة يأمركم بالنزول في معان...

(نسمع أصوات هجوع المسلمين وتوولهم ثم أصوات همهمة وهمسات مبهمة تدل على إجتماع وصوت زيد بن حارثة يقول):

زيد بن حارثة: يا معشر المسلمين دعوتكم إلى هذا الاجتماع لتبادل الرأي بعد الأخبار التي تواترت عن أن الروم قد حشدوا مائة ألف من رجالهم..

جعفر: أرى أن نكتب إلى النبي نطلب رأيه ونرجو منه المدد والمعونة وهذا

شيخ معان مالك وشيخ الطفيلة وضاح يذكران الشيء الكثير عن ضخامة حشود الروم.

عبد الله بن رواحة: يا معشر المسلمين.. والله أن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثيرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإما شهادة..

أصوات: بالصواب نطقت يابن رواحة... إلى الجهاد في سبيل الله. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

المؤذن: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين أميركم زيد بن حارثة يأمركم بالزحف لمقاتلة عدوكم هلموا يرحمكم الله. هلموا أثابكم الله.

(نسمع أصوات الزحف.. ووقع حوافر الخيول ثم صوت علقمة يقول):

علقمة: ها هي جموع الروم يسيل بها السهل الفسيح المحيط بمؤتة.

سعد: إننا سنغرق في خضم هذه الجموع الغفيرة من الروم إذا التحمنا بهم في هذا السهل الواسع وجها لوجه.

علقمة: انظر أن جيشنا ينحاز إلى مؤتة ليتخذ من التل الذي يرتفع جنوبها درعا يقيه التفاف الروم.

سعد: إنها نعم الخطة يا علقمة.. نعم الخطة.

(أصوات من جهات الروم عظيمة تدل على ضخامة الجيش وكثرة عدده وعتاده ثم صوت علقمة يقول):

علقمة: سعد... يا سعد... ارهف بسمعك.. وجند كل حاسة وجانحة فيك فقد أوكل إلينا سير تحركات الروم.

سعد: يا لله. ما أشد سواد الليل في هذه الجهات.. إن نسيمات باردة تلفح وجهي فتصطك ركبتي من لسع قرصها..

علقمة: في سبيل الله تستعذب الآلام.. سعد... سعد... أتسمع.. إنها مشية شخصين كن مستعدا.

سعد: إني مستعد دائما.

(يظهر شبحان فيهجم عليهما علقمة وسعد شاهرين سيفيهما).

علقمة وسعد: قفا من أنتما؟

جريح: إنني جريح قائد منطقة الكرة وهذه ابنتي (ماريا) وقد أسلمنا وفرزنا بديننا اليكم.

علقمة: سعد... سعد أرسل اشارة لمركز المراقبة لارسال من يتسلم الأسيرين.

(يصفر سعد... فنسمع وقع أقدام وصوت يقول):

الصوت: ها أنذا... ها أنذا..

علقمة: خذ هذين الأسيرين إلى مركز القيادة... وحاذر أن يفرا.

«في مجلس زيد بن حارثة... أصوات تدل على اجتماع وصوت يعلن»..

الصوت: قبض حراسنا على المقدمة على رجل رومي وابنته.

زيد: ادخل الرومي وأرسل ابنته إلى خيمة النساء..

(يدخل الرومي وهو يقول):

جريح: السلام عليكم.

زيد: وعليك السلام.. حل وثاقه أيها الحارس.. اجلس لا عليك.. تكلم ما جاء بك؟

جريج: إنني قائد جيش الروم في منطقة الكرك.. وقد هداني الله للاسلام على يد أحد تجار المسلمين منذ كنت ضابطا بسيطا في دمشق.. وقد كتمت أسلامي وظللت أرقى في جيش الروم حتى أصبحت قائد جيشهم في منطقة الكرك..

زيد: وكيف تثبت لنا إسلامك؟

جريج: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

زيد: الحمد لله الذي هداك للاسلام.. قل لي ما هي أخبار الروم.

جريج: أن هرقل قد حشد جيشاً عرمرماً بقيادة أخيه تيودور ولا أدري مبلغ استعدادكم للقائهم..

ابن رواحة: إن إيماننا بالله وبرسوله محمد ﷺ هو عددنا وعدتنا.

جريج: الايمان بالله لا تعد له قوة في الأرض ولكن ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).. وعدوكم كما جاءت به عيوننا قليل.

زيد: أتحفظ شيئا عن القرآن الكريم؟

جريج: نعم أيها الأمير.. أنني كنت أتزود ببعض آيات من القرآن الكريم من التجار المسلمين الذي يفدون إلى هذه الأماكن..

زيد: بم تنصحنا أيها الأخ المسلم؟

جريج: لا مفر من القتال بعد أن أصبحتم وجها لوجه أمام الروم والله معكم.

ابن رواحة: الله معنا.. الله معنا..

جريج: أين وضعتم ابنتي ماريا أيها الأمير.

زيد: انها مع اخواتها المسلمات.

جريج: إنها أيها الأمير تحسن تضميد الجراح واسعاف المصابين وإنني أرجو أن تستفيدوا من خبرتها للقتال... أما أنا فعلى استعداد للقتال وعسى أن يكتب الله لي الشهادة فإن كانت فإني أوصيكم بابنتي خيراً.

زيد: ثق أنا سنرعاها ونحرص عليها كما نحرص على بناتنا..

جريج: الحمد لله . . الحمد لله..

زيد: خذ جريجا إلى قواتنا في القلب فسيكون بجانبي غداً إن شاء الله إذا التحمنا مع الروم.

(نقلة صوتية)..

ماري: يا اخواتي أروني ما لديكن من وسائل الاسعاف فإنني خبيرة بذلك ولعلي استطيع أن أؤدي عملاً أثاب عليه من عند الله تعالى؟

إحدى المسلمات: بورك فيك يا أختاه... قومي معي لاطلعك على ما عندنا من تجهيزات لاسعاف المصابين.

ماريا: علينا أن نحضر كل شيء قبل بدء المعركة حتى إذا ما بدأت كنا مستعدين لها.

التتمة في الجزء الرابع